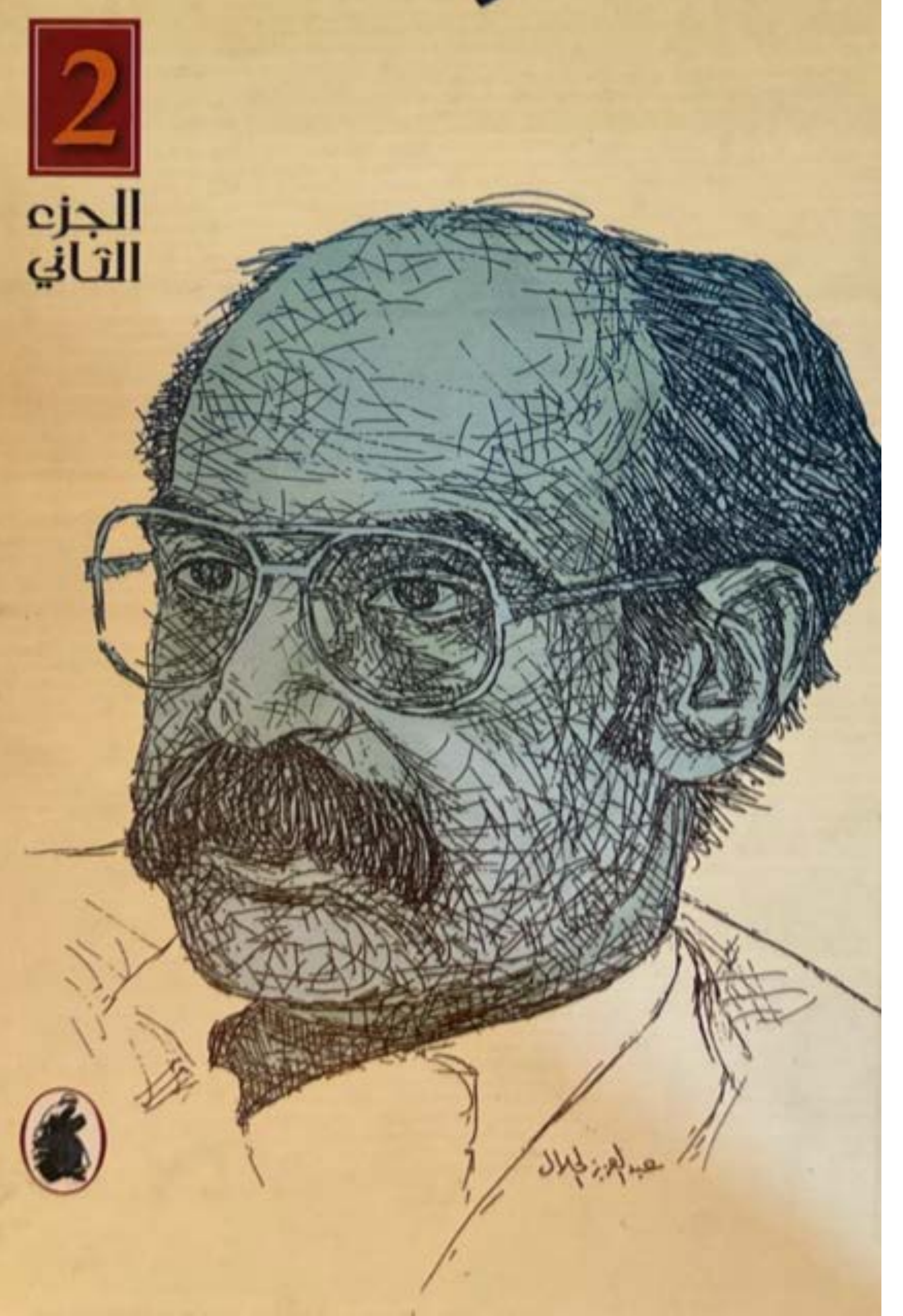
الأعمال الشعريّة

قاسم حدّاد

2

الجزء الثاني





الأعمال الشعرية

قاسم حدّاد



الأعمال الشعريّة (الجزء الثاني) / شعر عربيّ معاصر
قاسم حدّاد / مؤلّف من البحرين
الطبعة العربيّة الأولى ، ٢٠٠٠
حقوق الطبع محفوظة



المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي :
بيروت ، ٥٤٦٠ ـ ١١ ، العنوان البرقي :موكيّالي ،
هاتفاكس : ٨٠٧٩٠٠ / ٨٠٧٩٠١
التوزيع في الأردن :
دار الفارس للنشر والتوزيع
عمّان ، ص.ب : ٩١٥٧ ، هاتف ٥٦٠٥٤٣٢ ، هاتفاكس :٥٦٨٥٥٠١
E - mail : mkayyali@nets.com.jo
تصميم الغلاف والإشراف الفنّي :
®
لوحة الغلاف :
عبد العزيز الحلال / البحرين
الصفّ الضوئي :
مطبعة الجامعة الأردنيّة ، عمّان



الأعمال الشعريّة

قاسم حدّاد



الجزء الثاني



يمشي مخفوراً بالوعول

عن سلالة الغبار
ومرح الذبيحة
ونهايات البحر

1982

إهداء

معي في العذوبة والعذاب
أم طفول
إليها

(فلما طال عليهم الليل وهم يجرون في قبضة الهلاك ، وقد حكمت عليهم الريح العاصفة والبحار الزاخرة والأمواج الهائلة . ومركبهم يئن ويتقعقع ويتتعتع . توادعوا ، وصلى كل منهم إلى جهة على قدر معبوده لأنهم كانوا شيعا من أهل الصين والهند والعجم والجزائر. واستسلموا للموت . وجروا كذلك يومين وليلتين ، لا يفرقون بين الليل والنهار . فلما كانت الليلة الثالثة ، وانتصف الليل ، رأوا بين أيديهم نارا عظيمة قد أضاء أفقها ، فخافوا خوفا شديدا ، وفزعوا إلى ربانهم ، وقالوا له :

يا ربان ، ما ترى هذه النار الهائلة التي ملأت الأفق ، ونحن نجري إلى سمتها وقد أحاطت بالأفق . والغرق أحب إلينا من الحريق . فبحق معبودك ألا قلبت بنا المركب في هذه اللجة والظلمة ، لا يرى أحد منا الآخر ولا يدري ما كانت ميتته ولا يترع لوعة صاحبه ، وأنت في حل وبل مما يجري علينا ،فقد متنا في هذه الأيام والليالي ألف ألف ميتة . فميتة واحدة أروح .

فقال لهم :

اعلموا أنه قد يجري على المسافرين والتجار أهوال هذه أسهلها وأرحمها . ونحن معشر ربابنة السفن لا نطلعها إلا وأعمارنا معنا فيها . فنعيش ونموت قليلا منها ونموت بعطبها . فاصبروا واستسلموا لملك الريح والبحر الذي يصرفهم كيف يشاء) .

كتبه الربان

بزرك بن شهريار الرامزهرمزي

سنة 509 ميلادية

الباب

يحاور مخلوقات الله ، يعارضها . يكسر مرآة الخلق الأولى ، ويحفر تكوينا بهيّ الأفق تلجه المخلوقات مطهرة ، مطهمة بالنقاوة ، لا جذر لأصابعها ، لا أسلاف ولا أسماء . يدجج وجناتها بالقرنفل . يدعوها ، ادخلي أزواجا أو أفواجا هنا باب لا يوصد فيلج الهيكل والروح والخلية . كطفل ،كطين النطفة . يمحو وجه الأرض ، يرسم وجه الأرض يلهو باللون والتضاريس . ينثر مواطئه هنا وهناك . لعل المواكب تقتفي آثاره وتهتدي بشكل أنفاسه .

والرب في التيه يهيئ هودجه ويقايض الجند بأسرار الجنة والنار يطمس غربة صارية واقفة في اللج . يشد سعفة نخل ساهمة كالسيف .

يرسل نورسه في الغمر .

ويزين تاج يديه ليمحو لغة ويرسم لغة يعلمها سر الله والفتح

وباب الله شهي .

تصلصل قيد في شفتيه . لجلجت الكلمات . وتاهت عيناه . صارت يداه تشـقـان الغـيم ، ويدخل في لب الشكل وتيـه الأصـلاب . قـال كلاما يمزج حزن النخلة بالترنيم .
وكان الباب إلها يذكر غفلة أهل الدار ويغفرها
يصير كلاما يخرج من نثر الخالق   يندفق في شعر المخلوق .
وجنسا يطلع كالمعجز في فردوس الأرض ، يصير كلاما أشهى . لغة أجمل .
سيشعل قنديل الجنة والنار .

طائر الروح

أحتفي بالنهايات
حيث الأصابع في الجرح
والموت سجادة لي
بها أصطفي سورة ضرّجتها التأويل والشك
لكنني أحتفي
كل ماء ترجل عن غفلة الغيم أعطيه كأسا
وأحسوه ، أحنو عليه وأحميه من وسخٍ في الكلام
أخبّئه في رماديَ .
لا يفتح الحلم لي شرفة
أيها الحلم أعطيك ترنيمة من دمائي
وأعطيك مائي
ولكنه . أيها الحلم . لكنه .
افتحوا الدفتر الآن

دفّأت روحي على جمر عشقٍ وأدخلتها جنة كالجحيم
افتحوا الدفتر
ارتاحت الروح في ساعة الخلق
فالماء في طين روحي وتكوينها
إنه الماء في الطين . .
قلت للماء . قال : افتحوا
مثل جنية هذه الروح ،
مثل الغموض الذي لفَّ تاريخيَ المستعاد
انتهى ؟! كيف ؟
لا ينتهي .
غاب حيناً وعاد
افتحوا . إن في شرفة الحلم طيرا
فمن يطلق النار في ماء روحي
قلت : من يطلق الطير من قفص الروح
من يحتفي بالنهايات
من يستعيد السقيفة قبل الصلاة
قلت للماء . قال : افتحوا طاقة الحرف
للروح ما تشتهي .

تاريخ الماء

جاء مأخوذا
تقمصه الرماد ، وغادرت عيناه في هلع
سيسأل : لماذا مرت العربات في بطء على رئتيه ؟
جاء مطهما بالملح
كان البحر يعرفه ، وكان النخل يعرفه
لماذا عندما تاهت سفائنهم
نسوه معفرا في الرمل ؟
هل سينسى البحر مقبرة الصواري والقراصنة النهاريين ؟
لماذا عندما اختلجت جوارحهم نسوه؟
كان الماء جنته
وكان الماء نارا للذي ينسى
لماذا عندما اكتنزت قوافلهم
نسوا تاريخ هذا الماء ؟

هو

هو الصعب الأليف المهاجِم المهزوم . ياقوتة الكأس حين يترع فيه . هو الفأس يفتح المغلق . أصلابه مكنوزة بالرقيق وهمس القواقع . أخرج العذب من المالح . أسرى مثل جيش مطارد . غده في الشرائك ، والشك فيه . هو المحو في الصحن كالزعفران ، كالندى يكسر النصل . لا معجز ، ولا شهوة الخوف فيه .

غده في الرماد المخادع ، في سطوة الخف والحافر ، في الأرض مهتوكة حصاة حصاة . في الجسر يحنو بغزو جسور . وشهقة الرعب فيه . أصلابه مشحونة بالضحايا . يغطي أحفاده بالتعاويذ . صلصاله صوت نهد . صوت لأحلامه .

أليف مهادن مثل فخ .

هو الصعب المؤرخ ، يمزج الماء بالماء . يكسر البحر صارية صارية . ويبسط الأرض سجادة للخديعة .

تصفن أحصنة في قطيفة وتصلي . يحتفي بالنهايات . أيأته في يديه .

يتأنسن :
رافقته ، كان وحشا صديقا ، وشّحني وأعطاني
سريرة الكلام الباقي . اختبأت في خلق ،
وجئت .
يتوحشن : أخلع جلد البداية . لست آدم ولا حواء من أضلاعي
أمعن في التيه ، جنتي في ضياعي .
هو الصعب الأليف والفارس الفريسة . مولع في جناحيه . يهلع ،
كالخوف في النخل ، والطريدة فيه .
أصلابه تتهودج بالتذكر ينسى أنه سوف ينسى .
أبواب . مفاتيحه في غيهب وفي غيوم .
يا سيّد الهتك . أرض مذبوحة ، مخنوقة بالصمت ،
والذين انتهوا في الكلام ، انتهوا . هات التعازيم ،
قدّاسنا مهيأ ، وأشهى من كلام النخيل نخل ويبكي .
تهاديت ، أرخيت
حتى مشى في ردائك جيش جبان
فيا سيّد الهتك ، صعب أليف
لك الملك فاحمل عليهم
تخندقت في خوذة خرقة !
تخندق لهم في قميص أليف ، وفي قصعة
أرض وبحّارة
وخيّالة يحرثون
يا سيّد الهتك
ازرع الطين بالكاف والنون

واهتف لكل النهايات تبدأ .

يا سيّد الهتك

افتك بنا في هدوء

هدوء

لكي لا ننام .

تراث الليل

أنا الحطب الذي للنار
كل سقيفة وشم على جسدي
يدي في زعفران الليل
يا وجعا تراثيا
أنا الحطب الذي مثل الرماد الكامن المرصود
كل سقيفة تعطي ضياع الخيمة الأوتاد والرقع الوسيعة
كنت مزدانا بأحلام الرجوع ، رجعت في حلم
وكنت وشيعة للريح . شرّدني الغبار
لا ذئب بريء من دمي .
جسدي تراث الليل
لا جبّ بريء في دمي كذب
أنا الحطب الذي يجتاز
من شجر إلى سفن إلى نعش

شريدا سوف يحملني
وكل سقيفة بوابة للقبر أو للقيد
لا وحدي ولا جبّانة صوتي
أنا مستقبل الماضي
أغادر في الطبيعة ، في دم الأشجار
أعضائي مسافرة لترميم العناصر في غبار النار
سوف يقال :

(تكوين تقمّصه الرماد
وفارس أغفى كئيبا . . وانتهى)

جثث مرمّمة تواري عارها ،
ودمي يهاجر كالوشيعة .

ذاكرة الرمل

للأرض تاريخها
مثلما للتراب التفاصيل والنخل والذاكرة
من يقرأ الرمل
مازال في نرجس البحر شوق
وياقوتة القلب تغوي الإشارات
فاستنهضوا سرّها
أي بحر يقود السفائن والريح مرصودة للشراع
وللدفة النافرة
للذي جاء للنوم في ليلها
إن للأرض أحداقها الساهرة
ربما كان يأتي لينسى
ربما يذكر الآن سيفين في الغمد
ليل السقيفة

خيل وخيّالة واحتيال
كأن الكتاب الذي كان بوابة ينتهي في التفاصيل
أو ربما سوف ينسى
سيفان في الغمد
سيف وتعويذة للقتال
وسيف لأحلامه الغادرة .

شهوة الغزو

جاءوا لها من فجوة السقيفة ، أدنى من القوس .
فأغاروا عليها . وكانت مشدوخة الرأس ، تجرجر من حروب إلى غدر .
لهم خيمة هرأتها الريح والرماح .
يتدحرجون في جيفة وفي جناز .
خيول تخادع خرقة الخيام وتغير . تيمموا لصلاة مجوسية .
ولم تكن الأرض سجادة ، كانت سورا وزنزانة .
ولهم قبة ، قاب قوس وأدنى من الموت ،
جاءوا يدقون أوتادها في القرى بالقرابين .

قال طفل لأطفاله :
الأرض محزومة بنشيج ، فاشربوا الدمع .
منذورة لسبع عجاف . ربما قاب قوسين .
قال طفل لأطفاله .

الفاتح

جياد الفاتح الرملي في رئتي وأنسى
ربما أنسى ليذكر كاهلي المكسور   قوس الماء
لي أرض وكوكبة تسافر
والمدى يأتي إلى بابي ويرمي في حقائبه نخيل الدار
يرمي زنبقات والمدى شبّاك شطآني
يناديني . . وينسى .
كنت مأخوذا بترديد القواقع والطحالب
عندما جاءت جياد الفاتح الرملي
مأسورا بوقع الموج عند حديقتي . .
أمشي . . وأنسى
والجياد مدجّجات بالقبائل
كنت لا أ بكي على أحد سواي
وكنت أنسى عندما أمشي

وأنسى عندما أبكي
وأنسى عندما أنسى
ولكن المدى ، شبّاكُ أحزاني .
يهيئ نورسا يبكي على كتفي
سيذكرني . . وينساني
فتفتح لي جياد الفاتح الرمليّ تاريخا تزينه القبائل
تفتح الآفاق حيث النورس المذبوح
لا يبكي على أحد سواي
وشمس أيامي تغادر دفّتي
فأظل مشدوها ، أمد إلى المدى يأسي . . وأنسى .

خراج الجزيرة

أذكر/

...عندما هجعت الجيوش في سقيفة الوقت ، لهثت الصحراء كالذئبة الهـاربة من الهـجم . تناسلت . وأكلت من نسلهـا ، ثم أطلّت على الماء :

(لنكتشف الأرض الصغيرة التي هناك ،
الوحيدة التي هناك .
نفـتـحـهـا ونرضى بخـراج يجيء من الرمل والنخل والأصداف)

أذكر/

...من فجوة البحر ، وطرحوا السيف والذهب . السيف من هناك . والذهب من هنا . جيوش مهزومة تتناسل في خوذة القبيلة التي

ثقبتها الريح والخديعة . غطت الرمل بالخيام ونامت في الجواسق .
تلهث في الهزيمة مثل ذئبة محاصرة بالهجوم .

أذكر /
. . . حيث النخل لا ينسى
والحيازيم المكسورة لا تنسى
والأحجار المطلولة ذاكرة الماء

والرمل
والرمية .

نبوءة النخل

تشبثتُ بالأرض حتى مشى الدم
حتى بكت نخلة الله تحت السيوف الغريبة

يا نخلة الله هاتي قميص القتيل الموارى
رسولاً إلى الأرض صاريةً في المياه
ربما يسمع الغائبون
ربما القراصنة الأوفياء يحنّون للنخل
يأتون للّؤلؤات السليبة
يا أرض
يا أرض لا تفتحي شرفة للبكاء
افتحي نار عينيك نحو الغزاة
افتحي للطريد النجاة . افتحي واستعدّي
أعدّي لحزن الكئيب اشتعالاته في بحار غريبة

أعدّي له هودجا لا يميل
وهاتي عشاء المحبة في ضوء نهديك بالزيت
والزنجبيل
فهذا المطارد ، هذا القتيل الجميل انتخاب المرايا

فيا نخلة الله ماذا ترين على الأفق ؟

الحوذي

يا سيّد العربات لا تمش على مهل بحافر خيلك البدوي لا تستبطن الساعات ، هذي الأرض من طين المرايا والرؤى مجبولة
هل تحتفي بالوقت ، فالعربات ترهقها الرصاصة في عظام الروح
والعربات في هجم الوعول كأنها ريح محاربة كأن الليل منتصف الخليقة ، فانتظر يا سيد العربات أحلامي مشعشعة بأشلاء الضحايا
وانتظر صوتي دروعا للنباتات البخيلة
أيها الحوذي هل تمشي على مهل لكي تنسى
وتمشي كي تؤرخ للدقائق وهي تحتز الوريد القرمزي بشهوة السكين
هل تمشي على مهل بلا وجل لكي تعطي المقابر فسحة للدفن
يا جبّانة لا تحتويني راكضا بين البقايا
إن لي في سيد العربات ثارات سأحملها على كتف الدروب
قلت : يا جبّانة البحر الفسيحة هيّئي سعة لقناصين
يزدردون في مهل نخيل البيت .

غفوة القتيل

أغفى على وجع قديم يحتفي
حقواه مكسوران
مخذول ، وقافية تضيق به
يطأون تذكاراته فيميل في جزع
فأغفى . . وانتهى
طحنته في بطء يد العربات عند الساحل الصخري
أغفى . . وانتهى
حقواه مكسوران ، كل نوارس النسيان تذكره علانية
فيبكي في اختلاج
ربما ينسى لآلئه المصادرة . انتهى
يتذكر العجلات والخيل الغريبة ،
ساهرا يمتد من بدء بعيد مثل قافلة من
بدء بعيد مثل قافلة من الرمل .

استوى بيتا

تذكر أو تناسى ، أو سلّته الريح

محاراته غرف ، تجاسر واحتمى فيها وحارب . . وانتهى

من يحتفي

حقوان مأسوران . أرخى

كلما أرخى تحاصره السفائن والسواحل .

كلما أرخى خبت في مقلتيه النار

خانته القلوع ومزقت رئتيه قابلة قبيل الوقت

أغفى . . وانتهى

من يحتفي بنهاية ويعالج الحقوين

من ينسى بدايته ويمشي مثل قوس

كلما أرخى . .

تهجى . . وانتهى .

اللؤلؤة

وطني بعيد مثل لؤلؤة البحار
وطني تزنّره المياه وتستريح يدي عليه كأنه سعة المدار
مستفرد في زرقة الملكوت ، لا ملك عليه ولا يد
إلا صهيل الساعد البحري منفلتا
كنجم الله في شفق الصواري
وطني .
تهجيت الكواكب واحتميت ، كأنّ بيتي موقد
وكأن مائدة النبيذ على دمي
وكأن أحلام الوشيعة خبز أيامي وقافلة انتظاري
وطني بعيد فالتجأت
قلت ، أستثني لآخر مرة
وأطوف أكتب هذه الشطآن ، آخر مرة
وأصير ذاكرة الضواري .

بكاء الخريطة

يطوي خريطته القديمة . لم يكن يبكي
دم في راحتيه ، كأن كوكبة من الأصحاب ينتظرون عند الجرح
مشحون و مختبل بعشق
لم يزل أصحابه المتشردون على خريطته القديمة مشرئبّين
انتهى جرح ليبدأ .
ربما يطوي خريطته لينسى
ربما ينسى دما في الراحتين ويرتخي ، يرخي أعنة خيله
والنخل يعرف أهله
يطوي خبيئته ويذكر أن أصحابا له انتظروا بقرب الجرح
كوكبة تعيد صياغة الفرسان
لو ينسى ليذكر . ربما يطوي دما في الراحتين
ولم يكن يبكي
طوى تاريخه البحري واستلقى على أمل لكي يأتي البكاء .

حجر الضياع

لماذا كلّما أرخيتُ في هذا البياض حجارة تمشي ورائي
كلّما أعطيت من مائي تساقطت السماء على دمائي
كل قنديل بهذا البيت مزدان بزيت الله
يغفو ثم يصحو ثم لا سجادة للركع
لا وقت يطل على يدي وحدي
وكل ترابة مجبولة . أرخي على هذا البياض
وكلّما أرخيتُ أعطوني دما
أرخيتُ أعطوني دماً
أرخيتُ
لو أرخيتَ لي أرضاً أسوّيها مدائنَ مشرئبات
وأدخل في ضياعي
إلهي
جندك المتحاجزون تكاسروا في وحشة الصحراء

تاهوا
كلّما أرخيت في بيت أضاعوني
وداري خيمة أرخيت
لو أرخيت لي حجرا بنيت الكون فيه
كلّما أرخيت شَدُّوا
هذه الأرض انطوت في خيمةٍ
ما أدخلوني في يدٍ ضاعوا
أضاعوني

وأيّ فتىً
لماذا كلّما هيّأت أحلامي أحالوني إلى خرق
أشد لكي أردّ البرد ، يأتي الثلج
وحدي
ليست الصحراء لي جسد يفيض به
إلهي كلما أرخيت شدوني على خشب وتاهوا
جنودك ، أم قراصنة نهاريون
لو أرخيت لي سفنا غزوت بها وناديت المدى
وحدي
لماذا كلّما وحدي على هذا البياض ،
وقلت للماء :انتصر
أعطيت .لو أعطيت لي بلّورة التكوين
لو أن الفتى . ماذا سيبقى
جندك احتكموا و أرخوني
وهذا الجُبُّ تاريخ

لماذا كلّما أرخيت كي أنسى أحالوني لذاكرة الجنازة
كلّما أنسى لكي أرخي دمائي
يستحيلون احتفالا شاحبا كالليل .
داري خيمة ، والأرض لا تبكي .
إلهي
جندك احتالوا وأعطوني
لماذا خيمة في البرد ، أعني خرقة .
وحدي
وليست فسحة الصحراء .
لي جسد يفيض به
لماذا كلّما أرخيه في سعة تضيق به
لماذا كلّما أرّخت كي أنسى أحالوني لذاكرة السقيفة؟؟!

تجربة الجسد

جسد هاصرته الأراجيف واستفردته النمور
إذا ازَيّنَت الأرضُ غطى بها فجوة في الخليقة
وارتاح في فسحة ، واحتذى نخلة
ربما خادعته النذور

جسد
كلّما هز جذعاً تساقط تيهاً ومذبحة
كلّما هَزَّ جذعاً تراكضت الدارُ في وحشة
أي جذع سيفضي إلى النخلة المشتهاة
وأي الترانيم محفورة في الصدور
مَدَّ أعضاءه في تراثٍ بطيء
تُصلصِلُ أحلامُه مثل قيد القناديل
أغفى ، وقيل انتهى

ربما طاردته الذئاب البريئة
من برأ الذئب والجب أشداق مقصلة
هزّها ، فانحنى هودج
ليس عرسا ولكنها الدار سكرانة
كالذبيحة مغدورة وتدور
جسد ، كل تاريخه نخلة
حوّلوها إلى خيمة فاستوت واحة للقبور .

سفن الانتظار

وتتهادى السفن المكتنزة بشبق الياقوت والغبطة مثل نساء ولودات في ظهيرة الوحم الفاتك ، والهوادج المرهرهة بالحليب الغامر ، والأحضان المبسوطة تبدأ من سرير الرمل وزبد الخلق . يفتك المرفأ الوحيد بصرير الصرة . وتقتحم الحيازم ريف الحشائش الطرية والعشبة الأشهى . فتطل الأرض في خجل الأنثى . تطل في شكيمة الشاكل وبياض البدايات ، من شرفة الشراشف المتهلهلة في الأفق كالسواحل ، تمد يدا للصارية ويدا للطقس معصوبة الرأس ، غسلت كل حيوانات البيت في الماء موجة موجة . وغزلت للنار قميصا من الماء موجة موجة .

رسمت الصحو لكي تنداح المراكب خشبة خشبة .

قيل يصلون في شريعة الليل ، وقيل لا يصلون قبل صهيل البداية . نصبت سرادق العرس وتشبثت باحتمالات الوعول . وللسفن أن تتهادى وتكتنز . ولها أن تقتحم انتظارات الرمل والعشب . لتظل مرجانات الليل تتدفق في حضرة الفصول والمواسم . وحدها السفن

المكتنزة تراهق بصدرها المكابر وتكسر قميص البحر .
وحدها السفن تفضح أسرار الحيض والخصب واللقاح .
والأرض تنتظر .

أسرار الساحر

...فاستسلمتْ شرفات روحي عند مفترق الوضوح
كانت الأشجار ذاهلة الغصون ورفقتي تهذي
على طرف الحوار بلا طموح
كل غامضة من التذكار محتمل
وكل مدجج بالرمز مفتوح ويحلم بالفتوح
ساحرا أنسى وتأخذني التأويل الجديدة
كنت مزداناً بأعراسي ومنتشياً
وكان الكأسُ يدّخِرُ النبيذَ على جراحي
مستسلماً في خلق أشكالي
لي الأنخابُ لكنْ ليس لي دِرعٌ يَصدُّ الفتحَ
لي صدرٌ ينازِلُ لستُ أسأل عن حدود القتل أو شكل السلاح
فلكل أصلٍ سِرُّهُ
من يحتفي بنهاية الأسرار

من يعطي لهاوية الحوار خديعة ويدسُ في أملِ الصباح
قلت : في حلٍّ أنا من شهوة التوضيح
نسرٌ جامحٌ صوتي
ليَ الشَهْقُ الشموخُ
وللضفادع شهوة الموت البطيء على السفوح .

الربان

بنى سفينته وسواها بروجا تشهق فيها البيارق .
وسوّرَ الماءَ بحزام من المنارات
النوارسُ وحدها تُعرف الضوء والوقت والمدارات الوسيعة .
كَنَزَ الأروقةَ بالنبيذ والخبز ،
وأرخى المدارجَ للبحارة المحتملين .
هيّأ القلوع فصار الأبيض فضاءً يملأ الأفق .
ووقف ، كالصارية الأعلى ،
يحرس وينتظر البحارة .

تأخر . تأخر كثيرا ولكنه بقي ينتظر .

السقيفة

هل أضاعوكَ على جسر السقيفة ؟
لاهجاً مستوحشاً
لا أزرقُ العينين يُهدي رمله الفضّي
لا نخل يهودج فوق كتفك
لا جياد .   غادروا
ويداك في طين الخليقة ، كنت مهتاجا وفي شبقٍ
وتاريخ الوعول يَخُبُّ في حقويك
مندفقُ البذار ، كأنما تركوا رماداً كامناً
ويداك في عنق القذيفة
ماذا أضاعوا عند مفترق السقيفة :
سيّدَ الكلمات ؟   محتملَ النبوءة ؟ شاهدا يغوي القضاة ؟
مقاتلاً هزمته نارُ الله في شكٍّ ؟
أضاعوا – ربما – وطناً

وأعطوا فاتحا سيفين من ذهب ، وأخطاءا نظيفة
وحشٌ   وتبحث عن يدٍ في ظلمة الصلصال
فاستأنسْ جسارتك ، احتكمْ للخائف المهدور في دار الخليفة
هل أضاعوك على جسر المرائي ؟
ربما ضاعوا بلا ماء وتاهوا في سلالات السقيفة .

نخلة العذاب

أيها المستجير بعلم السلالات
لا تخلع الدرع
مازالت الحرب منصوبة
والقبائل في ريبة
ومحتمل شكّها
مازالت الأرض مهتاجة
والخيام التي غادرت عشبها للمتاهات
مرصودة للرحيل
لك أن تصطفي باب موت يليق
وتعطي السلالة خرقتها لتسدّ الفضيحة والعار
لك أن تحتفي بانتصار الهزائم
أو ترتدي بيرقا ردّه آخر الهاربين
لك أن تختفي أو تلين

لك . لا   لم يعد .
ملكك الآن في الطين ، في الوعر
في فجوة الأرض   فوق السرير الذي /
تذكر الآن هذا السرير الذي ليس يُنسى
لا تخلع الدرع ،   دعه
مازالت الحرب في جسد الأرض
والأرض ذاكرة للنخيل
نخلة تعرف علم السلالات
تذكر دفق الدماء التي ارتعشت في التراب
ليطلع لون ويزهو
تذكرُ من جزّها ،لتموت ، ويلهو
وتذكر زَحْفَ الخيام الفقيرة
تذكر وحشَ القبيلة يجتاحُ رِيفَ القرى والمدينة

نخلةٌ طفلةُ الأرض
من قال تمشي النخيلُ   وتنسى ؟

تأويل الأسماء

فقرأتُ أسماءَ النخيل
وبكيتُ في كتف النخيل .
ورأيت أيامي الملفّقة المضاعة
كلّما تمضي همست لها : اطمئني إنه وطني
سينسى غدره اليوميّ يوماً
قلت : لا تستعجلي موتي فهذا النخل يعرفني
عقدت بكاحليه الخيلَ يوماً
كنت مضطرباً طريداً شارداً والماء ينقصني
فأعطاني عباءته وكوخاً دافئاً
فدخلت في التأويل والأسرار
يا أياميَ المتراكضات عرفتُ أسماء النخيل ،
وضمني كتفٌ . سينسى – حين ينساني – عناصرَهُ
وينسى حافر الخيل التي صهلت على رئتيه

يا أيامي الأولى التي تمضي : اطمئني إنه وطني
وأغوتني البحار ، صرخت في وجع الغياب
ارتجّ في جسدي دمٌ ، والأرض دورته الأخيرة .
لقد ضيّعت أخباري ، على جزرٍ مُجزّأة
وأرخيت المراسي في متاهة لجة وحسبتها وطني
ولكني رأيت بآخر الآفاق محتمل النجاة ،
بكيت من فرح : هو النخل الذي ينسى ليذكرني
فيا أيامي احتملي مرارات الهزيمة
ربما هيّأت للنخل الحزين رماد أسمائي
وسوّرت المدائن بالندى والعشب
هذا النخل يعرفني ،
حزينٌ شاحبٌ مستغرقٌ في شهوة النسيان ،
يذكرني لينسى فاطمئني ، إنه وطني .

البحر

طارد البحرُ فرائسَه وحاصرها في مضيق تحرسه الوعول ، فجاءت الريح والرماح و انشقت الأرض عن بلاد مكسورة تدور المآذن فيها كقلاع في ريبة
وفي تمائم .
حيث القناديل في غرف محفورة في صخرة الماء
والماء مشكاة .
حيث الطريدة محبوسة في فجوة الأرض .
ليست الأرض باباً و لا السماء ، ولا ينقذ الخوف .
طفل مقيد يسمع النصلَ فيرخي يديه و رجليه ،
جزر مغدورة بلا قياد ولا قارب و الجوع ختم .
صخرة الماء في كهف و الكهف في غور عميق ،
عمقٌ مجهولٌ مرصودٌ مقدسٌ
و الماء مشكاة .

أيها الطفل   هل تعرف البحر؟
البحر هجوم مباغت ،لكن لا تبتل ولا تلمس الرمل .
اسحب يديك ودعهما مغلولتين .
لك الطريدةُ أنتَ لكَ الطعنُ و الطردُ وعليك الهجوم
ارفع يديك ودعهما   جُزرا .
و المضيق يضيق ،   ادخلْ القبر أيها الميت
ولا تَشُكُّ ولا تَشْكُ
ميتٌ أنت ،   فادخلْ
كنتَ في البحر ؟   كنتُ
زرعتَ نخلةً ؟   يكفيك مجدُ الزراعة و الغوص .
لا لؤلؤَ و لا نواةَ
سريرك القبرُ ،   طأطئ :
ذلك البحر يهجوك ،

يهجو   و   يهجم
أنتَ الطريدة .
هل كنتَ ؟   كنتُ .

لك القيدُ و القبرُ و القرائنُ مبذولةٌ
لتقرأْ   لك الموت و المجد   فاقرأ .
لك النعشُ عرشاً   لتقرأ
ألف   ياء   جيم   جاءوا من البحر
و البحر مستنفر

يتهجى   و   يهجو .

النساء

نساء يخرجن من البحر قواقعَ تمشي في خفر جنسي
يتمرأى فيهن الشبق الأزرق . فيهن كلام يفضح .
صبر عتقه الوقتُ
كأنَّ الأعشاب تجر الموج لهن .

نساء يخرجن ، قواقعَ تمشي خجلا في لذتها .
تمشي تيهاً بالأصداف

يداهمن الأرض بزرقتهن .
نساء يولدن كدمع الفجأة في الأصداف
تلألأ فيهن عذابُ المحار
فمن يكتشف البحر و يرسم صورته
ويزاوج بين الألوان ليطلع خلق مختوم بالنسيان

نساء يفتحن الشرق بشمس تغزو
يفتحن ببارق هذي الأرض ، يُساررن الطين الطازج
يا طين الأرض تقدَّم
تلك نساء تنسى فيهن بكاء الزنزانات
وتنسى برد الخيمة تنسى أرصفة الطرد
تقدَّم
تلك نساء عذبهن العشقُ وشَهقُ اللغة الفصحى .

مخلوقات الماء

أقذفُ مخلوقاتي نحو مضيق متسع
أمسحُ عن لغتي ويديَّ الطحلبَ و الطمي
و أطهو كلماتي .

أكتب تاريخاً أرَّخَ لي ونسي .
فارتبك البحر وهزّت صاريةُ الريح قلائدها
أذكرُ نسيانَ الكتب الصفراء لأحفادي
فأدحرج مخلوقاتي للأرض لكي تخرج من غفلتها
وتعيد العشبَ لشعبٍ شرده النسيانُ
وطافت كلُ العربات الوحشية في رئتيه

أسمّي لغتي شجراً ، و أسميها طرقاً ومسافات
و أسمّيها أحصنةً ، و أساوم بردَ الليل على كفنٍ يدفئ

أرض تسحب خرقتها الملصوقة في اللحم
فتخرج أرغفة و عصافير تغني قبل الكلمات
وقبل الخلق
تعرف مخلوقاتي لغةً
تعرف غيماً وحشياً يرتاد السفن المقذوفة للشطآن
يغرر بالريح لكي تأخذها للتيه السيد
تكشف عورة دار خانعة
وتفضح غدر الصاًرية الأعًلى بالنورس

تعرف مخلوقاتي لغةً
تعرف شوقاً شبقاً مكتظاً بالنرجس و الأفخاخ
وتعرف أن النورس في حلٍّ من خمرة أشرعة
مزقها التيه السيد
لغتي شجرُ الأشراك
يضيع الغافلُ فيها ويحاورها الضائعُ يغلبها
لغتي تنسى بهجتها الأولى
تخلع أقنعة الكلمات الأولى
تفتح تاريخاً
كتباً
أنساباً كاذبةً
لغتي تطلع من فضح العار وثلج النار
لغتي تبدأ بالأحجار السوداء
لغتي . . . هذا الماء . . .

نهار القراصنة

قلت ، من يخشى انتخاب الموت في دهليز تاريخ يناوشه القراصنة النهاريون .
أيّ قبيلة زاغتْ فَطَشَّ الزيتُ والزَّقومُ ، واندحرتْ .
و أيّ قبيلةٍ قَبلتْ مهادنة القطيع وخوذة مأخوذة بالموت .
من يخشى انتخاب الموت في غسقٍ لينتصر القتالُ

مرة . إن مرت العربات في لحمي بهودجها ، تضرجت المنافذ بالدم المطلول ،
واحتفلت حيازمُ السبايا مثقلاتٍ بالمعادن ،
والمدى ضاقت سرائره بأثداءٍ مشرعة لرضع ،
ليس تعرفه الطفولة أو تنازله الرجولة

مرة . لي صافناتُ الخيل ، و الأنخابُ لي مرصودةً

ولي السؤالُ

فالنخلُ يعرف أهلَهُ
وحقيبةُ الأخطاء لي مشحونةٌ بالمسكِ من دارين
والأصفادُ من داري .
وقمصان الذبيحة سوف تغزلها الجبالُ

كلّما / عيدٌ ، وتنعقد الحبالُ

قيل لي جبّانةٌ داري
ومنفيون فيها منذ أن مشتْ الحجارةُ
و احتفى بالخاتمات البحر
منذ الدورة الأولى بصارية وبحارين
هيّأها ورافقها احتمالُ

قيل لي :لا تقرأ التاريخَ في قلقٍ وفي شكٍ
وليس لك الخيارُ أو الخيالُ
قيل لي :أرضٌ من الصُبّير فاصبرْ
قيل /
وانحدرتْ أراجيحُ العزاء بمقلتي
ليستْ بكاءً هذه الشرفات . أخطائي ملفّقة
ولي في الصافنات مطهمات فانتظرتُ
يلتقي لحمي مع العربات في شبقٍ تطاولَ وارتدى غيمَ السرادق ،
وانتشى شغفاً فطوّحه الجمالُ

مرّت العربات فاختلجَ السؤالُ
يا فارس السفن الغريبة ، ينثني ميزانُ هذا البيت
لو لغةٌ من الأشراك تبدأ في التداعي
لو تأبينُ الفرائس تغمر الأفلاك و الكتب العتيقة
لو حريقة دارنا دارت وراء الدورة الأولى
هنا جسد الرقيق مسّيج بالبحر
مسحوب على سجادة المحار و الملح
انتظرْ
لو أن لي صبراً ولكني انتظرتُ

محبوسة روحي كلؤلؤ هذه الأعماق
في محارة الجسد الرمادي
انتهى فيها الهواء وشاغلتها رغبة في الموت
لا مقتولة روحي ولا مهدورة في الريح
و الأعماق راسبة على قاع ولا قاعٌ يُطالُ
قلت : من يختارني هدفاً ويطلق رحمةً روحي
ويطويها و يبسطها ، ويحرق روحَهُ فيها ،
ويفتح في تراث الدار نرجسةً ويرسم هودجاً ليدي ،
وأيّ يد ستحمل نعش أسمائي تشيّعها كعرس النخل ،
أيّ دَمٍ يقالُ .

المذبح

عائش في مذبح النيران و الموتى يموتون ،
انتهى حلم
ووعلُ البحر يغوي خمرة الحانات و الأقداح مترعة دماً
و طرائدي في الوحل .

في حلٍّ أنا من زيزفون الوعد والغزلان
في حلّ من الألوان
في حلّ من الصور المعارة للضفادع
قلت في حلّ أنا من نجمة في عسكر الأعداء
في حلّ من الأسماء
في حلّ من اللغة الكسيحة و الهوى
من زعفران المحو من جبّانة تمشي
وفي حلّ من الحرب التي غدرت بأسلحة المقاتل

من جدائل طفلة موؤودة
من أمةٍ لا تقرأ التاريخ
في حلٍّ أنا من ميتين يواصلون الموت
في حلّ .   سأمسك دفّتي بيدين من نارٍ وماء
أحتمي في مذبحي   و أصيرَ أغنية النُفورِ .

سورة التهيؤ

تهيّأن يا نساءً يخرجن من يقظة البحر
ويفتحن فحولة الرمل
لكُنّ تاجات العشب تشق من الريبة
لكُنّ سرير الغمر و نوارس الخديعة
حيث لا يابسة غير ذخيرة الصدر ،
ولا طريق سوى دهشة الناس
تهيّأن بالعري و العنفوان ولهج المواكب
هذه فجوة المساء العاصف
هذه خبيئة الصدر
اخرجن في وقتكن ولا تعقدن السفائن في أحجار النوم
تهيّأن الآن قبل الفجر في صحوة الجند وانتباهة الرماح
فالفتيان هنا يقتحمون الشهقة و التعازيم
يقيمون سقيفة الزواج قدام المعسكر

كل خيمة نبيذ وراحة من الماء الدافق
كل خيمة أطفال مؤجلون ونسل من المرايا
وليكُن في أقدامكن تميمة العرس
حيث وحشة النهايات خلق يبدأ
للأرض أن تحتفي ، أن تهذي في ماء الجسد الطاغي وزبد الخلق .
كل خيمة طريق لعناق يتعاقب فيه نسلُ الأيّام

يبدأ مثلما تبدأ فوضى الكلام و النسيان

تهيّأن يا نساء يخرجن من ماء السكينة
إلى تلال تشرف على الهتك .
تهيّأن وتسلّحن بشكيمة الجوارح
افتحن أحداق صدوركن لاحتضان الشبق الشاهق في فتية المعسكر
بهيّ عناق الجسر
حيث المواكب مفتوحة على الحلم والنسيان ،
مفتوحة على أطفال يدّخرون النسل الجميل
افتحن قبل الوأد
فالقبيلة تعبر الجسر بعد السقيفة
ادخلن في العناق
حيث الفتية في غفوة البحر و النخيل .

الخلق

ها تخلق الأرض في خضرة .
ليست اللون
ليست ضبابا على الأفق .
ها يخلق الكون طيناً طرياً وشمساً بلا موعد تصهر الدار
تختال فيها وتختار ألوانها
ليست الأرض أرضاً
ومن شرفة الغيم أقدامنا موطن يحتفي
فاستعدوا لها و احتفوا
أيها الطين هيّئ لها موطنا ، سوف تأتي

إن أقدامنا في قطيع من الخوف
أقدامنا في غزال شريد وفي زرقة
ليست البحر .

دار تطارد سكانها .

أيّ دار تقيد أخطاءنا بالتعاويذ

هاتوا ، أعدوا لغزو من الصدر

غزو من الظهر

فالأرض في دورة الخلق مذعورة

إن أقدامنا في بياض يؤرخ

هاتوا التمائم ،

كاس الأسئلة

من أعطى رمَ الدفن لتمشي في تخريب جمال الأرض وتستبدله بخيام وخوازيق
و أخلاط خائفة ، من أعطاها غفلة هذا البحر لتحرثه بحيازيم قراصنة وقبائل ،
من أعطاها طقس الطاعة   كي ترتعشَ الأرضُ على الأرضْ

تفتح دار الناس سرادقها وتكفّ عن اللغو ، تكفّ عن الأسئلة المهدورة واللهو ، تكفّ ، لتدخل مخلوقات الله مطهّمة ، فيصير جمال الأرض بلاداً ومدائن مترعة بالتيه ، وبوابات تصرخ نحو البحر ونحو النخل
تظلّ الأرضُ متوجةً فوق الأرض
لا تسأل كيف تزيف مخطوطات الردة قبل شتاء الصيف
وتسقط فوق خريطة هذه الأرض صحارٍ كاملة بقبائلها المحزومة بالأنساب

وحدّ السيف

لا تسأل كيف

سيحني جبل الليل عباءته ويهادن كأس الخمرة ،

يرخي تاريخ البحر مراسيه لنخل الناس

لا تسأل كيف

سرادق دار الناس مشرعة

فاترع كأسك و ادخل في التيه

إن جمال الأرض المغدورة يبدأ عند بكاء السيف .

محتملات

غيرّتُ محتملَ الخيالِ
وجلست في سعة الغبارِ مؤرجحاً قدمي على ماء الجمال
كتفي سرير الله ،
و الأنهار تركض حالمات مثل شاردة الغزال

غيّرت ، لكن الدم المنذور في شكل له
يحتال في شبق ويشهق في اختيال
ففتحت للوقت اجتياح الدار مغمورا ومشتعلا
بخاتمة القتال
بحريّة العينين ، جمر الجنس يخلقها
تراهق ثم تنضج ثم تستعدي سيوف الماء
تبدأ بالنزال
أرضٌ و مكتشفون

لا سقف لصوت يدي ،
وأشلائي موزعة على حجر الطريق
ورفقة الحانات في صحو
ولي في شهوة العينين محتملُ النصال على النصالِ

غيرت مكتشفات أحلامي
تهيّأت
وهيّأت احتمالي .

لمن لا بيت له

جحيمٌ وجنةٌ ،

وجحيمٌ ثانيةٌ

قلادات في القيد وقناديل تقدر على العتمة ،

وكلام لا يقول

قوافل في الصيف وقوافل للشتاء ،

قوالب قند

وطريق على السيف إلى سمرقند وقندهار والقدس و القطيف والفسطاط .

أسئلة لها شهوة الهتك و الفضيحة .

رفقة لا تخلع الخرقة ، وسرير لمن لا بيت له

لها كل ما تشتهي

نارٌ و جارٌ وقصعةٌ ، و فرسٌ تصهلُ .

ولا للسقيفة حيث كسرة الخبز و الفضاء

لها كل ما تشتهي
و الفارس يتشبث بلجام الحرب و الحسرة ، لا يصل
يمسح أحجار الطريق خائفا هاربا يتذكر أحلامه

لها كل ما تشتهي
فأعدّوا لهم ما استطعتم
أعدّوا ، ولكنهم
لم يزل فارس الليل في وحشة الليل يجتاز جيش الكلام .
أحتفي بالنهايات
أصحو على خمرة الوقت ، قلبي لها الكأس
أحسو وأرسو بدفة روحي على شاطئ يحتويني
ويحمي شظاياي
لي كل بدء وتنهيدة و اهتياج
ولي ثغرة في السياج
بدأت بكل النهايات ، رافقت لهث الطريدة
حاورتها ، وانتخبنا كؤوسا ، تجرعت ماء الزجاج
أحتفي بالنهايات كالبدء
لي شهوة الروح سجّادة
من يصلي ؟
تفيأتها . خرقة هذه الروح
قال : الذي ينتهي ينتهي في حذاء وتاج .

جنوح الهوادج

جامحٌ أطويك يا ماء التراث مجللاً بدم الذبيحة و النذور
متلبّساً سمتَ الحجارة في سرير الله
أستعدي الفؤوس لكي تعيد كتابة الأسماء
مستبقاً حضوري
ربما أطوي تراث الروح في سجادة
في طينة مجبولة بالوهم .
لا نبكي على أحد
لنا جثث تغادرها التمائم
مثلما فسقيّة تبكي على ترف القصور

أمشي ، وتجنح بالهوادج رغبة الأسلاب
لا نبكي على أحد
أضعنا دربنا في الليل

مقهورون منذ الساعة الأولى
ومنذ الدورة الأولى لهذا المركب المكسور
هل قالوا سيجنح هودج في الموج
لا ندري
ولكن الكواثل تحتفي بالرمل
يا ماء التراث ، يدي مسافرة
و أيامي تجرجر جرحها ولـهـاً
ولا نبكي على أحد

سأطوي صفرة بنخيل هذا الوقت
يا أرضا لها سعة الفضاء وتستضيق بلثغة الغزلان
لا نبكي على أحد

سأطوي ماءك الطيني
كنت ملجأ للنفي ، أو كنت حواراً غير متصلٍ
سيبدأ

قيل لي جبّانةً كنتِ
سأطويك ، ونخرج من تقاليد القبور
سوف أجنح بالهوادج
فاربطي جرحي بجرحك ، وادفقي ماءً بلا ذكرى
على عبء الجذور .

بحارون

سفنٌ و بحارون ،
للتذكار سطوته وشهوته القديمة
مستبسلون ،
كأنما وحش البحار عباءة للشمس
والمحار زنبقة النهار
مقاتلون ،
وخوذة الجندي نافذة ،
وغربتهم تميمة
جسد الرقيق على صليب الملح .
من يحنو على وجع القواقع
كلّما تعبوا يعود الليل محلول الشكيمة

سفن و بحارون ،

ليست نزهة .
نعش تهدهده المياه ،
ونورس ضاعت عواصمه على صبر السواحل
لم يعد في لؤلؤ الأعماق محتمل سوى نصر الهزيمة .

العطايا

أعطوك ؟! لا تغفرْ لمقتصليك
كل ترابةٍ وطنٌ وجيشٌ
عندما مروا على حقويك حطّتْ آخر العربات أوتادا وحامية
و ما التفتوا
إذا أعطوك لا تَسْهُ عن الموتى إذا ماتوا
عن الحجر الذي يرتد تحت يديك
لا تغفر لمغتصبيك ، لا تدخل خيامهم الكسيحة
ربما أعطوك أوسمة النهاية
عندما دخلوا إلى عينيك في شرر الحوافر
فاحتفل بالبدء في قوسٍ وفي قدح
لتسكرَ ، مثلما تحلو النوارسُ ، مثل كأسٍ
قيل لي أعطوك . لكن
عندما تغفو على وطنٍ بكل ترابةٍ ،

تصحو كمكتنز الهوادج ،
أيقظْ الصلصالَ وارسمْ شكلَ مقتصليك
لا تغفر لمحتفلي نهايتك الأخيرة .
مرت العجلات في لحم الكواحل ، فانتخبْ موتاً جميلا
عندما لا تنتهي تنسى
فكن مستقبل الماضي ، ولا تغفر لذاكرة الوعول
استنفر الأحلام
كل مدججٍ بالحلم ذاكرةً تهندسُ شكلها
وتغادر الأيام .

إن أعطوك لا تأخذ سوى لغة تحاور نفسها
تمحو وتنسى
ثم ترسم شكل مغتصبيك

هل أعطوك ؟

أعطوني دماً و جنازة ، فاخلعْ قناعَ الوحم
واطلق زهرة الصلصال
لا تغفر لمزدردي ترابك ، وانتخب وطناً
له أطفاله ونخيله
ومحارة تعطي .
لترفض كلّما أعطوك .

ماء المعنى

آخيت فوضاي ، واستسلمت يداي للغواية
جعلت جسدي آنية اللغة ، ورسمت غموضي فضحا للأرض
لأخبارها ، لصورة تمزج الماء بالكلام
سمّيت الكتابة خطيئة القول ، وهيّأت لجموح المعنى
أرخيت الهذيان الهادر ، روّضته
مرة ، كنت ريفا من الكلمات القديمة ، رممت قبرا
وتكلمت كلام البحر الغادر ،
غيرت كلاما يخرج من كتب النوم . . . كسرت النوم
ففاضت أحلام الفوضى المحبوسة في الليل ،
فتحت الليل و آخيت يدي لتغوي لغة في جسدي
وتخالطت بماء المعنى
تطاير في أعضائي سرب الكلمات القادمة
من يقرأ هذه الكأس ويعشق مخلوقاتي . . . ويطير .

فضاء العناصر

نَسِيَتْ عناصرَها السماءُ
فهذيتُ مثل فراشةٍ في الليل تنقل جرحها
بخطى ثقيلة
سور وسنبلة تزاحمت الفصول بخصرها
مزدانة بالاحتمال .
لها يد تمتدّ إذ تمشي ولا تجد الوسيلة

نسيت سمائي بابها الأرضي ،
و احتالت لئلا تعبر العربات غرفتها
و تهتك شهوة الأحلام و اللغة الجميلة

أنسى يدي في عنصر التكوين
ما أبنيه من هذيان أسراري سيخلع أول العربات

مرخيّة لغتي على ماء العناصر
لي يدٌ مشدوهة ويدٌ قتيلة
ليس احتضارا
إنه شجر تحاصره المدائن و المآذن
يا سماء الله
أيّ عناصر في الغيب و النسيان
أية خوذة تكتظ بالأسماء ،
أيّ محارب يزهو بضحكته الطويلة
جسدي جواد الليل
هذي الأرض لا تنسى عناصرها
أنا مستقبل الماضي
و وحدي ،
ربما أبكي على جزر مضيّعة
و أحلام بخيلة .

اعتذارات

قدّمتْ الشمسُ اعتذاراتها
فلن تعبر الجسر
لن تنحني عند باب السقيفة
فالطين يأخذ أشكاله وازدهاراته بالفجيعة
لن تعبر الجسر
مأخوذة باعتراضات سيف القبائل
موغلة في ضجيج العساكر
فالغائبون التهوا بالجنازة
من يغسل الجسد النبوي
و من يحتفي بالتأويل
من يبسط النعش في هدأة النخل
يا نخل
هذي بقاياك مكنوزة في ختام النبيين

و الشمس مرصودة للخديعة و الفقد
يا نخلُ
لو أنهم أحضروا رقعةً ثم أصغوا
يا نخل
لو أن سجّادة الله مشغولة بالكلام الأخير
يا نخل
لكنها لن تعبر الجسر
لن تنحني للسقيفة
فاقبلْ جميعَ اعتذاراتها ،
واعطها أن تعيد الهدايا لمائدة الرمل
يا نخل يا نخل فاشهد
هنا فسحة البحر تحنو على الأرض
والشمس لا تنحني مثل ذل العبيد
السقيفة معقودة
والغزاة المعارون مستنفرون
دم الشك في ساعديك الكسيرين
فاخرج على الأرض في شاهق الشمس
واقبل جميع اعتذاراتها .

سقيفة النهايات

....فرأيت أكواخا مهددة ، رأيت عشبا يغلب النار
كانت الجبال في ذهول ، والشرائك مدهوشة الأوداج
رأيت المرايا بلا وجوه ولا ماء ولا زجاج
السيوف تسكن الصدأ و العواصم تخلع هجومها درعا درعا .
تقول القتال ، وتوزع الخيام وأكواخ الصفيح من هنا
وتهويدة الصكوك من هناك .
حيث السقيفة منصوبة من الشرارة حتى الرماد .
كنت في أضيق من الوحدة ، وأكثر غربة من الكلمة
أتداخل في أنوثة اللغة .
أقول لمخلوقاتي كوني
فأرى أكواخاً ليست لي
ولستُ لسقيفة تشتبك فيها النهايات
وتفتح الصّديد والصدى .

الكواسر

أسع المدى
وتضيق بي طرقات أرضي

أينما أمضي تطاردني الكواسر
خيمتي مهتوكة ، ولغات أهلي تحتفي بنهايتي
وتجس نبضي

كلّما أرخيت أحلامي على حجرٍ مشى
وبقيت في سر المدى وبقيت وحدي

كلّما أرخيت شدّوني على خشب المدينة شاردا
تهتاج بي ساحاتها
وبقيت في لغة الصدى و بقيت وحدي .

غبار الملك

فوقفت في قدم الوقيعة كاشفا جسدي لمملكة الغبار
كلّ محتدم على جرحي قراصنة وقناصون محترفون
تنحدر الدروع على ذراعي
مثلما جبل يسير إلى جواري
قيل لي : تغفو على ضيم التميمة
ثم تستعصي على النسيان
فاسترخيت في وجع النهار

قيل لي ما قيل للأوتاد

فازدحمت ضعاف الخيل واهتزت يدي في حمحمات الليل
كلّ سقيفة عُقدتْ تشابكتْ الفصولُ بها
وظلّ دمي تخوضُ به الممالكُ

كنتُ في غفوِ المؤامرة القديمة ،
والدمُ المهتوكُ متسعٌ تضيقُ به الوسيعة .
كل محترب يهيّئ حربة للصدر أو للظهر
و الخيل الضعيفة مستجيرات بمملكتي وناري

يا رب
يا نار الوشيعة و الشجار
حاربت ،
لي جسد يكافح راعشاً وجع الفجيعة مستجيرا
بالرماد الكامن المرصود
يا رئة تخوض بها العجلات ، يا وحش الفرائس
أين محتمل الضواري
ليس في جسد الرقيق زجاجة للضَوْءِ
مثل زجاجة الأسماء كالمشكاة

كنت محارَباً ويدي قلوعٌ في السفائن
ليس في جسد الرقيق مغامر يجتاح

كنت محارِباً ويهادن الأشلاء
يا مستوحشاً يغري الذبيحة بالصواري
وقفت ،
لي قدم تخبّ على القرى و النخل
تشتعل ابتهاجاً بالذي ينسى ويبدأ

مثلما نهدٌ يقاوم حربةً
ويشد أشتاتاً ويستثني وينسى
وقفت ،
كأنَّ في فرح الطبيعة شرفة شرقية
تغوي النساء المستحمّات اشتعالا للحوار .

أحفاد الأرض

اتكأتْ نخلةٌ على شفرة الحلم
حَمَلَتْ و تَوَحَمَتْ وحاضَتْ و أجهضها الجيشُ الهاجع
أرض تئنّ تحت الحافر ، والخفّ يخبط الخاصرة

كيف تخرج من خديعة البحر ؟
نخلة ، و أطفالها الهائمون في حلّ من التميمة
شرّدتهم سقيفة البدو
لم يخرجوا من سلالةٍ ولا يتصلون بالأنساب
لكنها أرضهم
للنفي ، لكنها أرضهم
للدفن ، لكنها أرضهم
للفناء ،
لكنهم أطفالها الهائمون منذ صحوة الخليقة

حتى خفقة الخوف

اتكأت في وجع

عبّأها الغزو   الغزو و التناسي
في احتشاد الجبل حجرا
حجرا ،
تحتدم النيران
حيث الحطب الذي للنار ، في شظايا وفي جنائز .

فالنخلة زينة القرى و المدائن
لها متكأ الجرح و الجيش ،
حيث شفرة الحلم
طريق مغدورة ، و أطفالها الهائمون . . . يهيمون
من سقيفة البدو حتى دورة المجرة

دار تبدأ من الماء ولا تنتهي ولا تنسى
فالبحر حزام لها ،
والعبء أطفالها
لا تسعهم المراكب ، وتجهلهم السلالة .

خوذة الرمل

مجد الغبار لنا ، وكوكبة من الأنساب في لون البيارق
والمدى المائيّ مفتوح كجرح الأرض
أيّ مغامر ينسى القلاع ويفتديها ،
أيّ جندي سيملأ خوذة رملاً يسميه بلاداً ،
قلْ أفقْ و افتحْ لهذا الزعفران الباب
أفق يا أيها الكذاب
جرح الأرض يزدرد القلاع المستطيلة
قـل دماً ، علانية يغادر زنبقات الليل
لا خوذ ستحميه ، ولا درع يرّد تراجع الجثث الجميلة
قل ستحتفظ البلاد بعارها ،
وتضيع في جزر مضيّعة
وقل مجدُ الغبار لكلّ شاهدة تؤجل موتها
وتظل باكية على رمٍ قتيلة .

أخطاء الموج

ينشرن جدائلهن كأنها القلوع التي تعبر البرزخ
تشبث بالخطأ أيها الموج ، ولا تصب
دع الملح يهيّئ الطقس
و اغمس كاحليك في دم الطريدة
اغمسهما ، حتى تلبس الجوزتان قميصهما القرمزي
فليس للبرزخ مضيق غير التوغل
انظر لهن جدائل منشورة تغمر الأفق
تتزاحم و تنتظم
تتدافع و تتهادى
تغوص و تطفو
تيأس و تنقذها أخطاء الموج .
فترى البرزخ كخاتم الخنصر الذي في الكف و يكفي
أيها البحر الجميل ، لا تخلع الطريدة .

خطيئة المغفرة

مثلما أعطيتني أعطيك
فاستجمع شجاعتك النبيلة و انتظرني
كل مرآة مغامرة إليك .
عليك أن تنسى مراياك الطويلة
أيها الموج اعتمر زرد القواقع و افتح القوس الذي يغويك ،
ها أعطيك أنخابا على شرف القبيلة

قلت لي :
افتح ضلوعك ، ربما تأتي النساء إلى هوائك
ربما يبدأن من ضلع يضل طريقة الرؤيا
فتحت و ما رأيت سوى نساء يختلجن وراء قلبي ،
كانت الجثث الجميلة
ربما أعطيك ، فاكسرني علانية على غصن البكاء

جسد الرقيق محاصر بتناسل الأنساب
إن أعطيتني سفنا موشّاة بدمع ،
والكواحل رقصة في الرمل
كانت نسوة يذرعن خط الماء
كان البحر مختبئا وراء الأفق ،
لو مرآتك انثالت قليلا .
مثلما أعطيتني أعطيك ،
فانذرني على قوس لأبتكر الوسيلة
أيها الكونيّ يا مستسلما ليدي
لك الأنخاب ، لي أعطيك من بلورة التكوين .
هل جثث مرمّمة ،
وللغزلان تقفز من هداياك النحيلة
ربما أعطيك أسمائي ومحتملي ، فلا تغفر
تشبّث بالخطيئة ، وابتكر عذرا لموتي ،
وابتكر جبّانة للقادمين من الغبار إلى رماد الدار
لا تغفر لسهوك عندما تنسى ،
فقد أعطيتني قوسا على نار أصيلة
ربما أرخيت أشلائي و آخيت التمائم ، فابتكر غدراً لدمع النسوة المتأجّجات لرقصة الرمل ،
ابتكرني لانتظار الأبيض السكران في الأفق البخيلة
ربما أعطيك صيفا في شتاء العشب ، مخذولا جسوراً
فانتظرني
كل أيامي ملفّقة ، وعظم الحافر الوحشي والعربات والخوذ الأليفة في

دمي
والأرض زينتها المدائن و القرى
أعطيك أيامي الملفّقة المضاعة
و المضاعة مرة أخرى
و أعطيك الحيازيم التي تندسّ في لـج
فإن أعطيتني أقواسك العطشى ، سأعطيك المدى المفتوح للماء المهاجر .

أيّ عذب يصطفيه الموج للعطش المغامر
للبعيد الغائب المخذول
يا جسرا وحيدا في بكاء النسوة المتأججات البوح
إن أرخيت لي سر البحار ،
وفي يدي سر ،
وفي أحلاميّ الأولى نساء
ينتظرن عباءة السفن العليلة .

صباح اليأس

ها عدت مأخوذا . يشف اليأس عن أملي
وتحتدم المواكب في جراحي

ها عدت مشتملا على أيقونة .
وقميصي المغسول في غبش الغياب كبيرق الهزم المهيأ
كاجتراح الحلم
يغدرني سلاحي
ها عدت ، لي قدم هنا ، قدم هنالك
من يسيِّرُ للغزالة موسماً ، ويطمئن الشطآن
إن الأرض في سعة
هنا كأس تشفُّ عن الصباح .

وحش الموج

من وحشة الموج أخرج
من غربة في عيون النساء .
انتظرن الصواري و لما تصل

خارج ،
وحدها شهقة القلب تدري
يدي في رصاص ثقيل ، يدي نترة في الحبال الخطيرة
كفاكهة الليل صوتي على الرمل . أمشي ،
ألملم أطراف سجادة الماء .
و الناطرات احترقن اشتياقا
و أخرج ،
أشلائيَ المشتهاة المضاعة مرصودة للنساء الجميلات
للدار مفتوحة الجرح للحرب من غير أسلحة أو ذخيرة

ليس لي شرفة أدفع الخيل فيها
وليست قلوعي مصادفة أو هيام
و ليس المدى قوس ماء جميل
و ليست بلادي جزيرة
ستبقى تمد العيون على زرقة الأفق .
تبقى مدلّهة بالغياب العميق الموارى ،
ويبقى عذاب العبيد
سلاسل منذورة كالوصايا الأخيرة

من وحشة الموج هذي السفائن هاربة كالغزالات مذعورة
كيف تنسى
دعوا نخلة الله مفتوحة
مثل باب البلاد الذي دكَّهُ الفاتحون
الذي داست العربات الغريبة أخشابه
مثل بحر سينسى
ترى كيف تنسى السفائن ، ينسى العبيد العذاب

خلّوه سجادة للنساء العفيفات .
للسبي تلك النساء العفيفات للهتك
فاستنهضوا نخلة سوف تنسى الحروب الصغيرة

يا نخلة الله لا تغفري للقبور التي تحكم الأرض
لا تغفري للبيوت الفقيرة .

كوامن الرماد

كلّ مكللٍ بالنار قلبي
كلّ فسقيةٍ توزع حزنها المائي قلبي
كلّ جرحٍ باب قلبي

آه لو أن القتال مشى سريعاً فوق هذا القلب
لو سعة لنصل تحتفي بنهاية .
قلبي تناثرَ في قلوبٍ
ربما هلعاً
فخلوه علانية يعالج يأسه بالجمر أو بالزعفران
وربما ولعاً
دعوه مستجيرا بالرماد الكامن المرصود أبوابا
على قلبي
سيعبرها القتال الشامخ المسجور في بطء

أباهي بالدم البحريِّ كل قبيلة دقت على قلبي سرادقها
لقلبي شهوة النسيان
أعطوه علانية لينسى
ربما يبكي على نخل . . . وينسى .

أنخاب الوقيعة

أعطيك قوساً مثلما أعطيتني
ليديك متّسع ، وماء للندى . . فارتد
كي تمشي بلا قدمين .

هذي جنة الأحياء إن ماتوا
وتابوت لأطفالي
لتفتح .
إنه قوس على مستقبل الماضي .
لتفتح
إنه جبّانة الأيام .
هات الكأس ها أعطيك نخبا مثلما أعطيتني
لا تحتمي في شهوة النسيان
أن أعطيك أيامي و أدفع بالهوادج في اتساع يديك

لا يغري بمحتمل من النكران
هذي جنة مخفورة بالسيف والخوذات والحرب التي هربت
وتمشي مثل عوسجة بلا هدف ولا عنوان

ها أعطيك أقواسا ملفّقة لئلا تهتدي للماء
لو أعطيتني لغة تحارب نفسها
فالنخل في تابوته الرمليّ
ها أعطيك ياقوتا وصافنة وبحّارين
أعطيك الحيازيم السريعة

ربما أعطيتني مدنا و أسرى
ربما جندا وكشافين ، أو أعطيتني ماءً بلا قدح
وسمّيت الهواء زجاجة تمشي وخمرا
ربما أوشكت أن تعطي يدي حجرا لكي أبني
فأوشكت الفجيعة

مثلما .
لكنني أعطيك أقواسا مطهمة ، وتذكرة لمحتمل الوشيعة
ربما أعطيك تاريخا كما أعطيتني
و أهيّئ الطقس المشاغب و الفصول ، كأن قانون الطبيعة
يمشي كما أعطيك
لو أوشكت أن تمشي بلا قدمين
لو حاولت أن تحتال ، أن ترتد . .
كنت رأيتهم يَرِدُونَ

بحّارين منجردين في خشب المدى
لا النورس المرسوم في جسدي سيرشدهم
ولا نجم سيأخذهم إلى الدار الوسيعة
لتفتح
إنه قوس على مستقبل الأيام
و الأفق الذي يفضي لمفترق الخديعة
يا بحر
أن أعطيك أحلامي ، فلا تغريك غافلة السفائن
إن بدت مهتاجة في الريح أو مشحونة بدم الوجيعة
أعطيك أفلاكا مدججة ، وتعطيني قراصنة ومكتشفين
تعطيني .
أرى فيما أرى
جسد الرقيق مجللا بالزيت والزرنيخ و الأم الصريعة
يا بحر
ما أعطيك لا يكفي لكي أنسى
ولا يدعوك للنسيان .
فلتشرب
إذا أعطيتني . .
أسقيك من كأس الوقيعة .

من كل ذلك

من وجع النوافذ التي تطل على سريرة الناس
من التربص للحلم وحلمة الرضيع
من الشهقة الأخيرة لبداية الخلق
من الرسائل التي انتظرتها وكانت لا تصل
من تضرّع الخبز و قصعة الجوع
من الذي لم يمت و الذي قتلوه و الذي صديقا لي
و الذي لا أعرفه
و الذي لا اسم له
من الزجاج الصادق الذي لا يشفّ عن شيء غير البرد والشظايا
من الخوف الذي لا يذهب مع القمصان ولا الغسل
ولا يصير ذكرى
من الخطوة التي وراء قدمي
من الحقائب المشحونة حصارا

من كل ما ليس في الظن و المحتمل ولا يصدق
أتكوّن كتابا يتحول إلى صفرة السنابل
ورقة ورقه
وعليّ أن أتشبث بما ليس يأسا .

هي

ساعديني ..
كي أرمّمَ مخلوقات الله
أضع الفصول في قصعتها و أستدرج الطبيعة ،
لم تعد الأرض في هيئتها ولم تعد السماء ،
و البحر تائه ،
فالسفن التي جنحت عند المساء
بشّرت بخطيئة الموج ،
والمخلوقات المتناسلة تغادر جيلا بعد جيل
تجرّ القيود و السلاسل كأنها الأعشاب
و الطحالب و المرجانات ترتدي قفطاناتها
التي من اللازورد
فحولة تفترع البكورة في أنوثة الطين .
تطلع من الأزرق ،

فيتخندق الرمل مستنفرا قمصانه وسراويله

ساعديني
لكي أدخل في فوهة اليابسة ،
شامخا مثل شهوة السرطانات وشرَّهِ الطريدة و شكيمة الثاكل
أتمترس أشراك الموج وغواية الزبد ،
محاربا كجيش في جسد .

أكلم الأرض بكلام الغسل فتختجل .

ساعديني ،
لكي يبدأ الترميم
افتحي خطيئة اللغة
وكلّمي الله
قولي له :
لم يعد الخلق كاملا ولا جميلا
ولا عدل فيه

ساعديني .

عزلة الملكات

(1992)

اهداء

إلى الحسن ابن الهيثم . . . ومراياه .

قاسم

واقف على الرصيف أنتظر شخصاً ما
أو شيئاً ما
من ورائي يأتي رجلٌ
لا أعرفه ولا يعرفني
يطعنني في الظهر بلا مبرر
بلا دافع ،
وقبل أن ألفظ أحلامي الأخيرة ،
أتوسل إليه ألا يفشي السر .

إن كانت حياتي لعبة مكشوفة
فلا أقل من أن يكون موتي لغزا .

هكذا أشتهي أن أموت .

قاسم

الحديد

ليديه حديدٌ يقود صرخة المدينة
ويفتل العربات المصابة بفتوى النهب
حين يتدافع الجليدُ في نفير المداخل
يَحتسي جنودَه ويرتدي خوذَةَ الحلم :
قافلةٌ لزينة الغبار
طريقٌ كبئر ينبغي أن تُردم
قطيعٌ من الوصايا ونقيضها .

لحديد يديه
لشهوته المبذولة
لقميصه الملطخ بشهداء الأنخاب
لمصطفى أشيائه المنهوبة
وقتٌ يعبر ردهات السجن

وجمر الحانات
ومختبرات العسف .

يموت قليلا وينهض
ينهال على العجلات
لئلا تفتضَّ بُكورة الكأس
ينام وملء يديه حديدٌ ينضح مجداً ومكابرة
وفتاوى تكبح رائحة الغيم بنار يديه .

خطيئة 1

يَشْغلُ الكتبَ
ويخلّصها من شريعة التثاؤب
كل نافذة تمحو الشمس من فجيعة الأم .

فضاء

لا أعرف كيف ،
أجلس هكذا
رأسي قبعة الكون ويداي في جنون
لست متعَباً ولا حزيناً
أرى البياض أبراج الفوضى
ألَمسُ الحِبرَ وراحتي جنةُ الكلام .
حرفٌ
وتنهمر عليَّ شظايا الغيوم
مثل طرائد تقع في الكمين

لا أعرف كيف
هكذا أبدأ
أعطي جسدي لحرير المباغتات

أرخي أعضائي لهذيان النيازك
و أتبع رنين الملائك وهي تمجّد الغموض .

لا أعرف كيف
لكنني أبتهل للسّر أن يصطفيني عبداً
لحرف ينسج المرايا ويهندس الشكل
لبياض طاعن في التحول

ربما ينهض القتلى بقمصانهم الباهرة
ربما يقرعون أقداحهم ويتبادلون الأنخاب
في صباح مسكون بالضجيج
عندئذ يفقد النبيذُ جسارته
ويحاورني مثل رفيق مبلل بالسفر
و أعرف ، آنذاك ، أنني كنت الحلم وظل الحلم
وأنني ماء في مجرة القصيدة .

قدّاس

البغال تجر الجثث   على مهل
بينما يتهشم الموت في مرآة الفرسان
ثمة أطفال يخشون القذائف
ويسألون القتلى عن الطريق
لكن البغال تحمحم وتمضي مقتحمة الغبار
وأحيانا ، حين تنهمر النيازك ،
تسأل أهدافَها وتهرول في نشيج النهر ،
في أنفاس الغابة
على التلال الرصاصية
تنثر الجثث المضيئة
ثم تنحدر في هاوية دليلها
هتافُ شعب مأخوذ باليأس .
على مهل   ينحسر الفرسان   وتتكسر المرآة .

دمٌ سَيدٌ

كنا نَشْغلُ الطبيعة بهيبتنا
و نكرز للعناصر كي تألفَ الماء
هيأ الكهف أسماءنا و رؤانا
كنا أمل الرمل و الغصون
تميمة الوهم و النبي
نفتح الوقت و الحجارة
كنا وتر القوس و السماء
نسمّي أخطاءنا و نهيم
نعيد لأجسادنا شغف الموت
لأحفادنا
لمنتهانا
لم تزل لأشجارنا طبيعة الوحش
لم تزل شريعة الرعب فينا

نَشغَرُ الوقتَ بالكتاب   ونكبو .
طينة تبرأ
لم تزل هذه الفرائس تهرب
و الذي يطلق الطرائد   فينا
لم يزل سيدا
عبده سيد في دمانا .

خطيئة 2

عندما خرقةٌ تستر الخريطة
لا يكاد العار يكفي
لكل هذه الدول العارية .

ذاكرة

كأنك طفل
تهَبُ الموت لتنجو من جسد يرث الأنصال
كأن الأطفال يهيمون
تغوي الجرحى برهيف الخنجر

هل أنت كلام يكفي ؟
رفاقك في طين الله ويرتبكون
رفاقك يبكون
و أنت تسوق قطيع الهذيان
وتمنح يأسك حريات الموتى

يجدل حبل كلامك للأعناق
كأنَّ رفاق الماضي يمضون

كلامك يكفي
مثلك أجسادٌ تسأم مجدَ القتل
وتبحر نحوك
هذا الضوء يؤجج جرح الناس
وأنت تكلَّمْ

شَطٌّ الأصحابُ
نسوكَ كماضٍ يمضي
غطّاك الغيمُ
تفزع في قمصانك أخبارٌ تهذي
مثل قناديل الماء
كأنك تَسْحَبُ في جسد يقتتل الآن
كأنك مثلك
تمنح رفقتكَ الخنجرَ
كي يختبروك

كأنك مثلك تلهو .

الصخور

أفهم الصخور
ذريعة الوردة ومهانة الطريق
أجراسها ترشد الجنائز وتهدهد الموتى
أعراسها تهيب بالوعول أن تقبل
وتلقح الأحلام بأظلاف مطلية بالعسل

أفهم الصخور
انتصاب الفحولة
اغتصاب الأنوثة
تهذي كلما تحشرج عندليب في الفخ
تهذي كلما سفح الماء مراثيه ونذوره

لكن

عندما يفقد الجنود غدّاراتهم
ويخسرون الحرب تلو الحرب
تبدأ القوافل الرافلة بالعبيد في النزوح

أفهم أن الصخور
لم تكن سوى أنين الأرامل
و كآبة الغريب .

الأنصال

يسمع الأصدقاء صرير آلاتهم ،
ثمة عطب في سلة الرأس
و الضفادع تنقّ
كل جريمة   تسمّى .

وهم محصنون بالإثم
مجبولون على مكيدة الفراغ ،
لهم مخلب في كل عرس
يقفون بين السفينة وثقبها
القصر و منتهاه
السجن ونزيله
الدولة وعارها

الأمل ويأسه

. . . .

. . . .

الحانة و الكأس المترعة .

الانخاب

يسير لا يعبأ ولا يكترث
خطواته طريق
وفي رأسه شغفُ النار
يرى الحسنَ ابن الهيثم هنا
يراه ساحر المرايا
يَهَبُ الضوءَ و الماءَ مملكةً ويراه
مدججاً بالبريق
زجاجة في يديه لا يعبأ ولا يكترث
وريث الطبيعة
يشفَ يخدع الأفق و المرايا
ويرسم الماء في الكأس
للرأس أن يَسكرَ
أن يَكسر الكتابة

و المرايا في دورة في دوار
له الطريق خطيئة الأرض
نهرا   يراه
يفضّض الجثة كي تحسنَ الحلم
و الماء زينة المرايا

يغادر النهر
يلجأ في خندق الضلالة و الضوء
هو الحسن ابن الهيثم
يغرر بالعين   كي لا ترى ما تراه
طريق مكنوزة مثل طير
يسير   لا يعبأ ولا يكترث
يرفع الكأس للشمس : هذه نخبكِ أيتها المليكة .

الخيول

هكذا تركض الخيول
تسفح عربات التبغ
وتجتاح سكينة السوق
تسأل النساء عن أخطاء الليل
وتبوح لهنّ بأسرار الهتكِ
وحماس الجمر
خيول هائجة ، مجبولة بشهوة الينابيع
توغل في حكاية المساء وتغوي .

الطريدة : بهجة الخطيئة
الأعضاء : إشراقة الجسد
خيول لها أعراف الهداهد وشكيمة القرون
يفزع لها مدمنو الكنائس

والمشحوذون بطينة العقاب
وحين يغسل الهجوم صليل النبيذ
تضع الخيول أعناقها في شرفة الحانة
تاركة للنساء حرية المعانقة
لتعطي الممالك نسلا   من المقاتلين الطغاة .

السهرة

تنام مختلفا مع الطبيعة
ظهرك لتضرعات السهام
وتزعم أنَّ في صمتك ما يكفي من الجنادب
لحبال الذاكرة
الوديان ترسل كائناتها سرباً سرباً
لتملأ الغرفة وتفسد عليك المكابرة .

هكذا كل مساء
ما إن تبدأ سهرة الخلق
وتشعل الكائنات أعناقها
حتى تفتعل عراكا
وتمضي إلى السرير عاريا من الحلم .

تآلف

. . . لذلك برى خشبةً ناعمة
و بــرم حبلا ليّنا
وترك ظلّهما يسقط في هدوء   على الماء
ثم استند يشحذ ذاكرته
لم ينس شيئا
اعتذر لرقبته
ملّس عليها بحنان الأعزل
وأغمض عينيه
لكي يرى تلك الومضة   قبل المغادرة .

خطيئة 3

أيها الملك . .

نحن رعاياك الذين تباهي بنا الأمم :

لقد سئمنا هذا المجد .

تقمّصات

يَحارُ

مثل النهر النافر في ماء المرايا

كجنون النرجس المغرور

كل طينة تمنحه الخطوة

كل طائر يأتيه في جنازة

كأنه عاصفة الرؤيا ، يطل :

من أعطى يدي هوية الفقد

ومن هيأني لشهوة الخطايا

يحار

هذا موكب الأسماك حتى صخرة الجنة

هذي غيمة

يحار ، لا يسأل

لكن ناره تسرج أجناسا و تستثني

وتختار من الغابات أشتاتا
و تدعو أرغناً من قصب الهيكل
أعضاءً عباءاتٍ
وتلهو فيِ البقايا .

هائما يحتار :
هذي قدحي الأولى ، وهذي خمرة الرؤيا
فهل يعرفني بيت
وهل تفتح لي سجادةٌ كهفَ الهدايا .

مديح

رأيته يلهج بالبيارق
جذوره في كهوف الكتب
يداه مكفولتان بغدر التوقّع
يؤرّخ لهزائم الحروب
ويتذكر المستقبل
قبراً
قبراً

لكنه لا يخلع دروعه
يرى البيارق تشغل المدى كغربان
فيتهلل ويبتهج
يصادف في غمرة يأسه أجنحة و توابيت
فيصعد في حبور

يرى فزاعات أحلامه تنتخب له الكفن
وتعدّ له المديح
فيصاب بالتهّدج .

سهرة الأضداد

على الطريق
نافذة تدعو لسهرة الندم
خبز ونبيذ وقلعة الرمل
وليس أمام الرفقة إلا تعتعة التذكر
واستعادة العذاب
كأن عليهم الخطأ   و خيمة الاجتهاد
تتلاطم أجنحة النافذة في رعدة التجربة
ما مِن جسد إلا أصابه الليل
ونحتته حديدة الباب   وثقبته كهرباء الأسئلة
ما من روح إلا تَقَفَّصَتْ على النيازك   والكائنات .
هذه هي الكأس ،
لك الندمُ إذا احتسيتَ ،
وإن فاتك القدحُ   تأخذك الندامة .

هذه هي الكأس ،
والطريق على نافذةٍ تقطع الطريق
تفسد النسيان . .
وتجعل التجربة خديعة المستقبل .

يخرجون من السهرة ملطّخين بالجبال
لهم الطريق والنافذة
ولهم الكمين .

هذيان

لستُ في نوم   ولا يقظةٍ
لكن الحلم الفاّتن يخطفنيَ
ذات الحلم   كل يقظة
كل نوم

كوكبة تدّخر النار في عرباتها
وتدفع الأكواخَ كي تتسع الطريق
وكلما وضعت عينيٌ على شيء تحوَّلَ
و أخذَ شكلَ البراكين
تطلق المرأة نمورها ورائي
و لا أكاد أعرف   من الفارس   من الفريسة
أرى الأطفال ينبثقون
من شجر يتدافع ، يبذل أنوثته

و النهر في غفلة التدفّق
و البراكين تتلاطم مذهولة ورائي

يقودني خيط من الملائك :
هذا لك   لا تفتح عينيك ولا تغفو
هكذا   لا أنت في نوم و لا يقظة .

و أكاد في جمرة البهجة أضجّ بالأسئلة
هل الريح سرير أقدامي
هل أنا في رقص
هل التهجّد يأخذ أقدامي إلى الطريق
هل أمشي في جحيم أم جنة
و الأرض فضاء ؟
حلم فاتن وأنا في الأقاصي
بلا نوم و لا يقظة .

خطيئة 4

أيتها النار   يا مليكة الوقت
أين أخبئك
و الهشيم سيّد المكان ؟

تلك البلاد

سألتك في حدود المنازعات
بين جبل يمحو الغيوم
و رمال تحمي البحر من يقظته
سألتك . .
كل يوم في حرس و راية و نشيد
في دول تُشبه القرى المنسية
كأنها تكبت الكارثة وتقتسم الشوارع
تهابك الممالك وينشدك العبيد

سألتك في شعب من الحفاة
يذرعون الخرائط يبحثون عنك
مثلي .
هل أنت موجودة في مكان ؟

لغة

جعلتُ هذه اللغة ملكةً تخدم العبيد
جعلت البريق الباقي بوابات ليس لها عدّ
مفتوحة على كل الطرق
و أرخيت لخيول أحلامي دهشة السهول
وعشب المخيّلة
هذه اللغة ليست لسواي .. إلا شِراكاً
تحسن الهجوم و المؤامرات .

انهيار

دعوه بلا رأفة
خَلّوه ينهار وحيدا
هذا الهيكل المكابر ، ضحية التركات
لتتهاوى أفاريزه العاجية
تحت سنابك العاصفة وبهجة النار
لنرى مكابدته الأخيرة وهو يهذي
ولتكن القبة
– التي تستل بريقها من ضراعة السماء
و تبجّح الأعالي –
أقداما لوحل الأزقة
وناقوسا في لهو القطيع .

بلا رأفة . . . هذا الهيكل

لانهياره . .
لهدأة السفوح و المستنقعات
لا لهيكل جديد ،
لكن لهندسة الطبيعة   هندمة الفضاء .

في ذلك المساء

في ذلك المساء
الذي يلهم القاتل
ويحزم الأطفال بالحلم الساحر
في ذلك المساء الزاخر باندفاعات أشباح شاردة
تدس بين الطوائف
يحلو للقتلى محو بقايا النصل
و مسح الكآبة عن سجادة الدار
و الأسئلة :
من قال إنّـا قُتلنا
من رأى الدم

ها نحن فخورون بإرثنا
أصحّـاء مثل جليد الجبال

ما من نافذة إلا وتطل على أملٍ كان .

لماذا في ذلك المساء
يجوز لهم التذكر   وليس لنا أن ننسى .

الغابة

هذه الدسيسة
جرس الضريح وتفاحة تفضح الآلهة
لتكن فاكهة الحكمة شهية و حارّة
ليبتهج الطقس بثعالبه
ويُضاهِ صلافة الصيادين و أفخاخهم
فالغابة تخون الشجرة و تدس في أخبارها
ما من نبي إلا وصلبته في الصنوبر
غابة تسوق القطيع نحو الفأس و النار
لا لغة تدرك الكلام
وليس للماء حرس غير النيازك
مرة بسط الماء مخلوقاته ومنحها تاج الأسئلة .

احتفال خاص

قادم من الحديقة
أعطيتها تاريخ الماء
ورأيت العشب يكفّر عن أحفاده .

زرعت بوحشتها حكايات وقصائد
عن أسرى حرب ينتظرون على شرفاتي
كي يكتمل الوقت
وينتشلوا النعناع الهائم في جسدي
كانوا موتى يحتكمون على سجادة أيامي
يفتضّون بريدي
ينتهكون
يوارون
وينتظرون .

قبل قليل جئت ،
حديقة داري تكتظ بهم
يصغون إليّ مأخوذين بالأخضر الذي يهبّ
مثل غزال يسوِّر أعضائي
ويهيّئونني للذبح .

الأشباح

يسوق الحوذي أشباحه عبر البحيرة
لينجو من تواطؤات الإسطبل البشري
ويخرج بالأسرار من الدسيسة
يلهث كمن مسّته العاصفة و شغلت معطفه النار
لقدميه ريش ، ولعينيه بهجة النبيّ
يبتكر أشباحه في جسارة
ويمنحها حرية الفرار
لم يعد في الإسطبل متسع
و العناصر تشفّ و تشكو في وجع من الشراك
و أخلاق الأفعى .

البحارة

...لكن كم من الضمادات ستعوزنا
لنحصي جراح هذه الأرض
وكم من المراكب
لنقنع الماء بيقظة السواحل
وكم زجاجة سترشدنا إلى الذاكرة
و أنت أيتها الهتيكة
ماذا ستطلبين لاستعادة الفضاء وفرقة المغامرين

كان لنا أن نصون احترازنا
و نرأف بذلك الانتظار الشاسع
كان لنا أن نعبّئ الحرب في المستنقعات
وننساب في جرأة الموج
ونحشو مدفأة الكوخ بالمبتكرات

ومحظيات المخيّلة

الآن ينبغي أن نقذف المرساة
ونعد الأرض بغواية جديرة
ونقول للماء :
أيها السيد .

ابتهال

أتضرع لوعل المباغتة
أن يحزم سريري بشراك تهزم النوم
أخاف أن يجتاحني جيش   وتستفردني قبيلة المستنقعات
أرغب في حمّى تلهب أعضائي دون هوادة
وليس لمدخرات اليقظة أن تحرمني من جحيم المخيّلة
أتضرع   أن تختلج الدماء
وتفتح لها طريقا نحو القمصان و الوسائد
أتضرع إليه   كي يسمعني   و يراني .

القنديل

أجعل الخطأ قنديلا لخطواتي
وأستجيب لعذوبة المصادفات
وعندما يكاد الزيت . .

أهتف في الغواية لتدفع الأوج إلى التهلكة
هكذا أخرج كل صباح
في نشوة المحاربين ويقظةِ المجنون
لا أعِدُ بغبطةٍ وليس لمواطئي هداية غير الأخطاء .

الجسد

جسدٌ
يهب المداعبة بهوا من اللذائذ
ما من نبضة إلا ونحن هناك
نفرك الرغبة في جنة الليل
ونملأ الآنية بالفضة
جسد له قدرة المبارزة و الهجم
لا يأس يكبح الطعنة المظفرة
ولا يتهجى أعضاءه غير الرمل

ونحن هناك نتهجى :
طباق يفتح الرماد على الجرح
قوس من العضلات يشغف بالدم
غيم يغيِّر الطبيعة و يهجو .

ليس للجسد إلا شريعة الهواء
إلا هدوء التميمة
و الهدنة فتنة الجنس
جسد
يتلاطم وليس للهزم .

تحولات

لم تزل في هديل التأويل تهذي
وعيناك مذهولتان وحولك طين كثير

ترى رفقة يُـقبلون
ترى رفقة يَـقبلون

وعيناك مأخوذتان .... وتهذي .

إغواء

رأيت الزنزانة تنزع جدرانها
وتكشط الصدأ عن الحديد
تضع الزينة
وتؤرجح أقراطها و تنتقل .
رأيتها تضاهي الوطن
تضع الحدود في ظلها
تتبرج و تسطو على الأفق .
و الذي في شك و في يقين
عليه أن يعبأ .

الفتيات

أهيمُ في غفلة الخميرة
الفتيات يخلطن أحلامهن بزيت النسيان
يجدلن أسرارهن ويوقدن تنورهنّ
لعل الخميرة تسمع تنهيدة القلب أو رعشة الدم
تحت السوار الموارى
وترمي رغيفا على نهدة الصدر
. الفتيات يفرحن في غمرة الجنس
هذا إنائي ،
أقيس به غبطة الوقت
أحسو به خمرة الخبز
أغوي الفتيات
يسكرن قبل اكتمال الأنوثة
قبل اختلاج الهواء .

الحب

مثل مرايا العرس
هرعت السنديانة نحو أغصانها تشهق
حتى آخر جرح في الجسد
تأخذ خيطا وترسم به الهواء
لئلا تسقط العصافير
جسد يتأرجح بين مرآة خرساء
ومرآة مكتظة بالخطيئة .

من الطاهر النقي الذي سيرسم بحجر العقاب هواء
يخدع به اللغة ؟

أن للشجرة أن تحنو وتشغف .
وحدها ، حركة البذار ، تخفق مثل قلب

وحدها تجعل الكفن مهداً لأرجوحة الخلق .
جرح مفتوح و الشهق يغمر العضل
ويزجُّجُ الجسدَ بنشيد اللؤلؤ
وحيوانات الثلج تركض في حرير الرغبة
وغواية المصادفات
فلنقل للذبيحة يا مباركة
يا وحيدة الجرح .

و أنت أيها الجسد المغدور بالمحبة
لك المجد و المبارزات .

هناك

يتذكر زنزانته ونافذته
مثل عشق ليس للنسيان
يتهدج في قفص الحرية :

يـــا لهنـــاك

حيث الأفق اللامتناهي يشمل رعاياه بالغيم
كأن الحرية كانت هناك
شاسعة و مشتهاة
يباهي بها الحياة
لم تكن سلطة تطاله و لا يـد عليه
رهيفاً مثل شفرة الوقت
صارماً مثل برقٍ

شاهقاً كشموخ الآلهة
يداه في حرية الخلق
يمنح أحلامه اللغة
يرأف بمخلوقاته ويصطفيها

يـــا لهنـــاك

حرياته القادرة بدأت من هنـــاك
وهنا ..
يلزم البحث عن قرائن .

الأطفال

كان الأطفال يطيرون أمامي
و أنا أستجمع أخطائي و أحشدها
في سرة امرأة شاحبة الريش و الصوت
تفتح أرخبيلا من الغيم و المدّخرات
كان الأطفال يدلّــون البحر إليّ
ليغمرني بالأعشاب و بالأصداف
فأصيح بتوأمي المرأة أن تقرضني
عضوا
عضوا
كي تنجو أخطائي و مدخراتي
فتهتف بي : أدِرْ هذه الأقداح
لئلا تفسد القوارير .

القلعة

أبني القلعة من حولي
أشيّدها حجرا حجرا
و أستنفر الجيوشَ لتبدأ الهجوم
وحدي
أستعدي شهيّة القتال في شجاعة الأعداء
أهيّئ لهم كي يبدأوا شحذ الأسلحة
ويحسنوا التصويب
أبعث بكتب التحديات و أنتظر في القلعة
وحدي
كل موجة من الهجوم أسمّيها تفاحة الغواية
أمقتُ الأسلحة لا أحسنُ الحربَ ،
وليس لديّ جنودٌ ولا سُعاة وحدي
كلما ارتدّت هجمةٌ أسعفتُ الجرحى

وبعثتُ بالأسرى مدججين بالهدايا
أرمِّمُ أسوارَ القلعة
أدْهَنُها ، و أزيِّنُها بالقناديل
كي ترشدَ الهجومَ التالي ،
فربما يحلو لهم أن يَبْغتُوا في الليل
فها أنا وحدي القلعة صامدة .

مساء الحجر

بغتة يستفز الحجر ذاكرة الهدم
فللأزاميل سطوة البريق
وليس أمام النتوءات غير المدائح
غير عجينة الاندياح وعتمة المتاحف
هذا حجر يخلع السواد
و كلما ارتد الحديد
قلت إن للبيت وقتا يتخرّب فيه
ويركض سكانه مثل ثكلى النمور
كلما بدأ القصف أسلمت وجهي لتيه
سيرأف بي
مرة يستعيد الحجر مرة يستعاد
و الأزاميل تنداح مثل المراكب
أيقنت . . للبيت رب يخرّبه في مساء الحجر .

البحار

كل هذه البحار التي تجلس أمامي
مرخية حزام سروالها
مشدوهة بي
تنهار مثل يمامة تحت الملامسة
حيث الأصابع لا تحسن النوم
وليس أمام اختبار الفحولة غير النميمة
وبرج الريح .
من يقنع البحار بأنوثتها
ويبعث الكتب لكنيسة الأعماق
من يسعفها ،
تجهش بالموت وتعاقب السواحل
تجلس أمامي
كأن في سرادق السماء زرقة

تسعف الغرقى ..... في بطء
و تغرر بالقوارب لئلا تثق .
لست نجمة الجرح
لها أن تعرف الآن
لها أن تنهار بلا افتراع
بغير ضريبة النرجس
فريسة اليأس والمكابرة محبوسة بالأسلاف
سروالها لها
ولي جسد يعلن الماء
ويلجأ لشهوة الرخام .
هناك حيث العشب يهتز
كنهد وافد من الجحيم .
انهضي أيتها البحار
شدّي حزامك و انهاري هناك
حيث ينقض السائل طبيعته
ويبرأ من الخديعة .

السبايا

مثلما سمكة تفقد عادة الماء
و زعانفها تتلاطم في طين الشاطئ
القوارب تجمع التركات
وترمي بشباكها الواسعة
لتخدع الأسماك المكابرة   بحرّية الماء
فأرى إلى الأحزاب تتكدس في خراج الدولة
و الجباة يبجّلون قهوة الصيارفة .
أرهب السبايا بفضيحة الصمت
و أصغي لدسائس المثقوبين بوهم الدولة و الحزب
أعرفهم ثقبا   ثقبا
أرقبهم من برج القلعة
ينحدرون
و الحَسَكُ يتفصّد من أطرافهم .

استجواب

ليست لديّ أجوبة للريح التي تخلع الباب
لديّ شهوات تغرق نفسها في النوم
وفي نسياني يقدر الماء أن يتمرأى
وتقدر الشجرة أن تبرأ من عادة الغصون
وترسل أوراقها في بريد المساء .
أيتها الريح الصبورة
خذي نشارة الباب واذهبي .

؛

لا أجوبة لديّ
هنا أرانب مذعورة تهطل في البياض
مثلما تهطل اللذة في الجسد .

ظهيرة المنتهى

ستأخذنا الأقدام عبر الشِراك
جناة يحملون الجراح والقرائن
ليس بيننا عبدٌ لسيّدٍ أو عبدٌ لعبد
نباهي باقتراف الجريمة
وندفع عار البراءة عنّا .
ستأخذنا الأقدام للمنتهى
على كواهلنا أثر الأصفاد
ويغمرنا فرح القتلى
وهم يذهبون إلى النوم
نسمع الأقدام الذهبية فوق رخام الموتى
وهَتْفِ الطريدة .
نحن منتخب المذبوحين
نحرّض أحلام الناس

نتوشح بقميص الجناة
إلى المنتهى الأقصى ·

نعلن :
قتلناه في ظهيرة تخذل الشمس ·

الحرب

قلنا :
لأجراس المسافات نقرن الكتابة
بنميمة الطريق
نكافئ الغفلة بخطيئة مثلها .
قلنا :
نعطي المرأة سرادق لأعراسها
ونـمنّيها بجيش من الأطفال
وندفع عن القرى ضريبة النوم .
قلنا :
لعل القناديل تطرد الخجل و توقظ الأرصفة
فتهاوت في ثيابنا الأسلحة
و نشارة الحديد
و أخذت الحرب تزدرد الطهاة .

المبارزات

و أنت يا مجنون الأحلام
يا مفتدى الصبايا وشقيق الذبيحة
يا جنس التآلفات
و القوي المأخوذ بطبيعة الفتوى
تستوقفُ القوافل في جسارة
وتجرِّدُها من الطريق و الخرائط
ماذا لديك الآن بعد التجربة
ماذا سيبقى في يديك من عجينة المغامرة
و غبطة الأوج
و أيّ قلعة ستفتديك ،
من سَيَفْهَمُ المبارزات في كتابك الأخير
يا كشيفَ الجُرح و المعصم و المجادلات .
ماذا فعلت بالأرغنٍ ،

منذ لحظة ترفل في الإيقاع
ها أنت مثل ساحل يأتي إليك البحر
تمعن في الملابسات
هل يداك في ذهول الأفق
أم يداك في الهلاك
قل لنا يا أنت
ما الذي تراه من هناك ؟

أخبار مجنون ليلى

عن قيس

سَأقُولُ عَنْ قيس
عَنِ هَوَى يَسْكُنُ النَّارَ .
عَنْ شَاعِرٍ صَاغَنِي في هَوَاهُ .
عَنِ اللَّوْنِ والإِسمِ والرَّائِحَةْ .
عَنِ الخَتْمِ والفَاتِحَةْ .
كُنْتُ مِثْلَ السَّدِيمِ ، اسْتَوَى فِي يَدَيْهِ .
هَدَانِي إِلَيْهِ .
بَرِئْتُ مِنَ النَّاسِ لَمَّا بَكانِي إِلَيْهِمْ
زَهَا بِيْ وغَنُّوا الأَغَانِي بأشْعَارِه .
فَمَا كانَ لِي أنْ أُقَدِّرَ أشْعَلَنِي أَمْ طَفَانِي .

سَأقُولُ عَنْ قَيس
عَنْ جَنَّةٍ بَينَ عَيْنَيَّ ضَاعَتْ

عَنْ هوَاء أَسْعَفَ الطَّيْرَ واسْتَخَفَّ بِنَا واصْطَفَانَا
عَنْ كُلّمَا هَمَّ بِيْ تُهْتُ فيه
وبَاهَيْتُ كَيْ نَخْتَفِي بالْمَزِيجْ
عَنِ العشقِ تَلتَاعُ فِيه الحجازُ
ويَشْغَفُ فِي ضِفَّتَيه الخَلِيجْ .

سَأَقُولُ عَنْ قَيس
عَنْ حُزْنِهِ القُرْمُزِيِّ
عَنِ اللَّيلِ يَقفو خُطَاهُ الوَئِيدَةْ
عَنِ الماءِ لَمَّا يَقُولُ القصيدة
بَكى لِي البُكاءَ ،
وهَيَّأَ لِي هَوْدَجاً
وانْتَحَى يَسْأَلُ الوَحْشَ عَنِي
كَأَنِّي بِهِ لا يَرَى فِي القَوافِلِ غَيْرَ الخُيول الشريدة .

سَأَقُولُ عَنْ قَيس
عَنِ العَامِرِيِّ الذِي أَنكَرَتْهُ القبيلةُ .
عَنْ دَمِه الْمُسْتَبَاحْ .
عَنِ السَّيْفِ لَمَّا انْتَضَاهُ مِنَ القَلْب
واجْتَازَ بِي أَرْضَ نَجْد لِيَهْزِمَ كُلَّ السِلاحْ .
عَنِ اللذَّة النادرة
عَنِ الوَجْدِ والشَّوْقِ والشَّهْقَةِ الساهرة
عَنِ الخَيْلِ تَصْهَلُ بِي فِي اللَيالِي

عن الصُّهْدِ يَغْسِلُنِي فِي الصَّبَاحْ .
و يا قَيسُ يا قَيسُ
جَنَنْتَنِي أو جُنِنْتَ ،
كِلانَا دَمٌ سَاهِرٌ فِي بَقايَا القَصِيْدَةْ .

إنه لا أحد

هُوَ قَيسٌ، وهو مُعاذُ بنُ كُلَيبْ، وهو قَيسُ بنُ مُعاذ العُقَيلي، وهو البُحْتُري بنُ الجَعْد، وهو الأقْرَعُ بنُ مُعَاذ، وهو المهدي وقيلَ اسْمُه قَيسُ ابنُ الملوَّح مِنْ بَنِي عَامِر. ولما سُئلتْ عَنْه بُطُونُ بَنِي عَامِر بَطْناً بَطْناً أنكَرَتْهُ وقَالتْ (باطِلٌ وهَيْهات)، ثُمَّ قِيلَ إنَّهُ لا أَحَدْ. ذَهَبَ في حَياته بِقَلْب مَفْقُود وعَقل مَأْخُوذْ. أخبَرَنَا الأصفهاني عَنْ أحَد الرُاوة وكانَ كاذِباً فَصَدَّقْناه، عَنْ رَجُلٍ يَرَى غَيْبَ النَاسِ قَالَ «ثَلاثَةٌ لَمْ يَكُونُوا قَط ولا عُرِفُوا: ابنُ أبي العَقبْ صَاحب قَصيْدة المَلاحمْ، وابنُ القِريَّة، ومَجْنُونُ بَنِي عَامر». أَمّا نَحْنُ فَقَدْ رَأَينا أخْبَارَنا عَنْهُ في رُقَع أسْقَطَها الوَرَّاقُون واحْتَفَتْ بها الأحْلامُ، وكَشَفَتْها لَنَا طَبِيْعَةُ المَحَبَة أكثَرَ ممَّا كَرِّها الرُواةُ الذينَ أعانُونَا عَلى مَا نُريدْ. فَسَمِعْنا مِنْ أبي بَكْر الوَالِبيِّ الذي أَحَالَنَا عَلى غَيْرِهْ. ولَذَّ لَنا مَا يَخلُو مِنَ الأخْذ عَنْ أبي مِسْكين والشَيْبانيِّ وأَبِي إسْحاق والجَوهَريِّ والرِياشِيِّ وابن شَبَّة والمدائني والمُهَلّبي والأصْمَعي عن صَاحب الأغَانِي، الذِي أتاحَ لِظَنِنَا شَاسِعَ

الشَكَّ فَاهْتَبَلْنَاهُ . فَوَقَعْنا عَلى مَا لاءَمَ مِزاجَنَا . ثُمَّ سَاقَ اللهُ لَنا مَا تَيَسَّرَ مِنْ أصْدَق الكَذَبَة فِي رُواة عَصْرِنا ، فَانْتَخَبْنا مِنْ غِوَايَاتِهِمْ ، وتَبَادَلنَا مَعَهُمْ الأنْخَابَ ، وزِدْنَا فِي ذَلكَ كَمَا نَهوَى ، فَطَابَ لِلمَجْنُونِ ذلكَ واسْتَحْلَيْناهُ .

عن ليلى

سَأقُولُ عَنْ ليلى
عَن العَسَل الذي يَرْتَاحُ فِي غَنْجٍ على الزّنْدِ .
عَنِ الرُمَّانَةِ الكَسْلَى .
عَنِ الفَتْوَى التِي سَرَّتْ لِيَ التَشْبِيهَ بالقَنْدِ .
عَنِ البَدَوِيَةِ العَيْنَيْنِ والنَارَينِ والخَدِّ .
لَها عِنْدي
مُغَامَرَةٌ تُؤَجِجُ شَهْوَةَ الشُعَراءِ لَوْ غَنُّوا
صَبَا نَجْد مَتَى قَدْ هِضْتَ مِنْ نَجْدِ
عَنِ النَوْمِ الشَفِيفِ يَشِي بِنَا .
عَنْ وَجْدِنَا . عَنْها .
لِئَلا تَعْرِفَ الصَحْراءُ غَيْرَ العُودِ والرَنْدِ .

سَأقُولُ عَنْ ليلى

عَنِ القَتْلى .
وعَنْ دَمِنا الذي هَدَرُوا .
عَنِ الوَحْشِ الصَديْقِ .
وفِتْنَةِ العُشاق
واللَّيلِ الذي يَسْعى لَهُ السَهَرُ .
عَنِ الطفلَينِ يَلْتَقيانِ في خَفَرِ
ولَما يُزْهِرِ التُفاحُ يَخْتَلِجانِ بِالمِيزانِ
حَتّى يَخْجَلُ الخَفَرُ .
لِلَيْلى شَهْقَةٌ أَحْلى
إذا ما لَذَّةٌ تَاهَتْ بِنا
وَتَناهَبَتْ أَعْضَاءَنا النيرانُ .
مِتْنا أو حَيِينا .
أو يَقولُ الناسُ أخْطَأنا .
سَتَبْكِي حَسْرَةٌ فِينا إذا غَفَرُوا .

سَأَقُولُ عَنْ لَيلى
عَنِ المُسَافِرِ عِنْدَمَا يَبْكِي طَوِيْلا
عَنِ السِحْرِ اللَّذِيْذِ إذا تجلّى فِي كَلامِ عُيُونِها
عَنْ نِعْمَةٍ تُفْضِي لأنْ أُقْضِي رَحِيلا
عَنْ مَرايَاها مُوَزَّعَةً تُخَالِجُ شَهْوَةَ الفِتْيانِ
عَنْ مِيزَانِها مَشْبُوقَةً .
عَنْ عَذْلِهَا فِي الظُّلْم .
عَنْ سَفَرِي مَعَ الهَذَيَانِ .

عَنْ جِنِّيَةٍ فِي الأنْسِ تَنْتَخِبُ القَتِيلا
لَيْلايَ لَوْ يَدُهَا عَلَيَّ
ولَوْ يَدِي مَنْذُورَةٌ تَهَبُ الرَسُوْلا
سَأقُولُ عَنْها مَا يُقالُ عَنِ الجُنُونِ إذا جُنِنْتُ
ولِي عُذْرٌ إذا بالَغْتُ فِي مَوْتِي قَلِيلا .

البرق الأول

الصَحْيحُ الذي هُو شَكٌ خالصٌ ، أنَّ قَيساً ولَيلى عَامريان ، الْتَقَيا صَغيرينِ يَرْعَيَانِ في نَجْدِ الجَزيرَةِ ، بواديَيْنِ يَتَّصِلانِ بَكثيفِ النَخْلِ منْ جَانبٍ ، ووَعْرِ القَفْرِ منْ جَانبْ . هُو كَثيرُ الشُرُودِ ، بَاكرُ الحُزْنِ ، مَيَالٌ للعُزْلَةِ ، يَأنَسُ لِرفْقَةِ البُهْمِ فِي المَرَاعِي ، و يَرْجُزُ في قَطيعِه مَوَاجِدَ حَسبَها النَاسُ كَلاماً حَفظَتْهُ سَليْقَةُ الصَبيِّ منْ مَسَارِ الرُعَاة ، ولمْ يَصحَّ لَهُ أَنْ يَزعُمَ شِعْراً فِي ذلكَ العُمْرِ لِئَلا يُكَذِّبُوه . وهِي كَثيرَةُ الأَحْلام ، غَزيْرَةُ الخَيْالِ ، غَريْبَةُ الأَطْوَارِ ، رَوَتْ قَرينَاتٌ لَهَا أَنَّهَا منَ الجنِّ إلا قَليلاً ومنَ الإِنْسِ بِمقْدارْ ، اتَّصَلَتْ بِابْنِ عَمِّها وبِشَاعريَته الباكرَة ، رَافَقَتْهُ في الواديَينِ حَيْثُ كانَتْ قَريناً لَهُ فِي اللَّهْوِ البَرِيْء ، فيما كان يَشبُّ ويُشْعِلُ الشِعْرَ بِها . فأُخذَتْ بِهِ وصَارَتْ تَلِزُّ بِبَطْنِ الوَادي ، لِيَتَقَابَلا فِي غَديرٍ ، تَلتَقي عِنْدَهُ غَنَمُهما ، هُوَ مَعَ إخْوَته ، وهِي فِي قَرينات يَتْبَعْنَ القَطيعَ فَأتَلَفا . وازْدَهَرَ بَيْنَهُما وَلَعٌ ، مِثْلَمَا تَلْتَهِبُ الحُمْرَةُ في وَرْدَةِ القَلْبِ ، وَصَارَ الشِعْرُ مَوْقِدَ المَحَبَّة . ويُرْوى أَنَّ قَيساً حَكى فَقَالَ «عِنْدَ غَديرِ الواديَينِ

نُوردُ الغَنَمَ ونَتزاحَمُ عَلى المَوْرِدِ بمَرَح صَاخِب ، كُلٌّ يَأخُذُ بِالماءِ يَرُشُّهُ عَلى الآخَرِ ، فَنَتَدَافَعُ وتَضْطَرِبُ أَجْسَادُنا الغَضَّةُ ، فَصَادَفَ أَنْ قَارَبْتُها فَتَلامَسْنا ، ومسَّ كَتِفِي صَدْرَها ، ولَمْ يَكُنْ بَعْدُ قَدْ أكْعَبَ ولا اسْتَنْهَدَ ولا اسْتَدارَ ، لَكِنَّنِي شَعَرْتُ سَاعَتَها بِخَيْطٍ رَهِيفٍ مِنَ البَرْقِ يَجْتَاحُ أَعْضَائِي ورَأَيْتُها تَخْتَلِجُ و يَتَصَاعَدُ مِنْها شِبْهُ نُخَيب كَمَنْ مَسَّهُ الهَلَعُ ، فَعَرَفْتُ أَنَّها سَمِعَتْ مِنْ رُوحِيَ شِعراً لَمْ يَجْرِ عَلى لِسَانِي بَعْدُ فَرَكَضَ كُلٌّ مِنّا صَوْبَ غَنَمِه يَهُشُّها عَائِداً إلى مَضَارِبِه ، ولَمْ أَرَهَا بَعْدَ ذلكَ زَمَناً حَسِبْتُ فِيهِ أنَّني لَنْ أرَاها أَبَداً ، وَكُنْتُ مِنَ الحُلْمِ قَرِيْبا» .

لم يكونا في مكان

خَالَطَ الشَّكُّ سيرةَ المَجنُونِ ، ليَختَلِفَ الرُواةُ فِي شِعرِه ، فَرَدَّهُ بَعضُهم إلى شَاعرٍ من بَنِي أُمَيَّة ، عَشِقَ زَوجَةَ أَحَدِ الوِلاةِ وخَشِيَ أَن يَشِيعَ خَبَرُهُما ، فَأطلَقَ النَصَّ عَلى اسمَينِ لَم يَكُونَا فِي مَكان ، تَناقَلَهُ النَاسُ عَن لَيلى ومَجنُونِها ، وزادُوا فيه منَ الكَذِبِ مَا يُضَاهِي الصدقَ فَصَدَّقناهُ . وقَالَ أَمِين صَاحِبُ الحُجرَةِ فِي رِوَايَةٍ أُخرَى ، من غَيرِ حُجَّةٍ ولا وَثِيقَةٍ عَن شَخص يُدعَى رَضوانَ الجِنِّ ، قَالَ إنَّ قَيساً حَقِيقَةٌ ولَكِن شِعرَه مَوضُوعٌ ، وإنَّه يَعرِفُ خَطَّاطاً اسمُهُ جَمَالُ اللَيلِ الوَرَّاق اشتَغَلَ عَلى نَسخ ذلكَ الشِعر ، وقَد صَنَعَه شَاعِرٌ عَشِقَ فَتَاةً من بَدوِ الجَزِيرةِ بَينَ نَجد والطَائف ، تَزَوَجَت سِواهُ عَلى كُرهٍ ، فَذَهَبَ الشَاعِرُ إلى أَن يُشعِلَ النَارَ فِي القَبَائل ، فَانطَلَقَ فِي هَواءِ الجَزِيرَة خَالِقاً النَصَّ والخَبَرَ ، وقَالَ كُلَّ شيء عَن المَجنُون الَّذِي لا حَرَجَ عَلَيه ولا لَوم . فَطابَ لكُلِ ذِي رِيشَة أو قَلَم أن يَفعَلَ ما لَذَّ لَهُ مِنَ الجُنُون ، لئَلا يُقَالَ إنَّ ثَمَّةَ زَمَاناً شَغَرَ من أصحَابِ العِشقِ واللَوعَةِ . فَانهَالَ مَجنُونُ اللَونِ عَلى مَجنُونِ الشِعرِ بالنِيرَانِ مِن

كُلِّ جانِبٍ ، وبُعِثَت الحَرارَةُ فِي ذاكِرةٍ مَشبُوبَةٍ ، مِثلَما تَهُبُّ الرِيحُ فِي شَهواتِ الجَمرِ .

الأشياء

غَابَت عَنهُ وهُو فِي انتظَار، يَجلِسُ فِي غُرفَةِ الطَرِيقِ. أَشياؤُهُ مَنثُورَةٌ للنِّسيَانِ والتَذَكُّر، والنَاسُ يَعبُرُونَ مثلَ الأثِير. ومن نَوافذ أَجسَامِهم، يَرى إليها تَركُضُ إليه ولا تَصِل، يَركُضُ إليها ولا يَصِل، والنَاسُ يَعبُرُونَ عَلى أشيائه المَنثُورَة (رِيشَةُ قَطَا مُستَدقَّةُ الرَأسِ /خَيطُ حَرِيرٍ أخضَرُ عَقَدَتْهُ أُمُهُ فِي زَندِ طُفُولَتِه / خَاتَمُ عُرسٍ مَنحُولٍ مِن فَرطِ الخَلْع / حِجَابٌ فِي جِلدَةِ ضَبعٍ / عُودُ سِواكٍ يابِس/ كِسرَةُ يَاقُوتٍ مَعرُوَق بالفَحم / خُرْجٌ تَقَبّتْهُ الرِيحُ / أشلاءُ لِجَامٍ تَنضَحُ مِنهُ رِيحُ الخَيلِ / وَحشَةٌ) يَلتَقطُونَ مَا يُصَادِفُ أَقدَامَهُم. نِسوةٌ يَجلسنَ إليه يَستَنشِدنَهُ شِعراً، يَسأَلْهنَّ عَن لَيلى. فَيُخبِرنَهُ أنَها فِيهِنَّ وتَتَخَفّى لِئَلا تَفضَحَها القَبِيلَةُ. فَيَقُولُ إنّها وهِي مَحجُوبَةٌ تَتراءى لَهُ أوضَحَ مِمّا لَو كانَت مَكشُوفَةً. فَيَستَنشِدنَهُ فَيَرفَعُ صَوتَه لَعَلّها تَرَاهُ. وكانَت هُناكَ وهِيَ تَسمَعُ، يَقُولُ شِعراً يَفُتُّ الجَلامِيدَ، والنِسوَةُ يُطلقنَ التَنَهُّداتِ وهِي تَسمَعُ، يَتَفَجَّعُ لَهُنَّ بِالفَلَذاتِ، وهُنَّ يَستَزِدنَ وهِي تَسمَع. النَاسُ

يَمُرّونَ بِنَوافذ أجسَامهم الواسعَة ، يَأخُذُونَ أشيَاءهُ المنثُورَة (فَصٌ فيرُوز شَائخ/ حُقٌ بِشُمَالَة العَنبَر / كُوفِيّةُ طفل هَلْهَلَها الرَملُ / خُصلةُ شَعر غَامضَة / مَا يَرجعُ فِي السَّرج منَ الحَربِ / قَلَقٌ) ويَعبُرُونَ ، والنِسوَةُ يَتطَايَرنَ فِتنَةً وإعجَاباً . يَقولُ شعراً فَيَتَضَاحَكنَ ، و يَبكي ، وهِيَ تَسمَع . فَأدرَكَت النسوَةُ أنَّ الأمرَ تَجَاوَزَ طَاقَةَ الشَّخص ، وكَادَ يَتلَفُ من صَمت المحبُوب . النَاسُ يَعبُرُونَ وأشيَاؤُه المنثُورةُ (غِمدٌ فَارِغٌ / آثَارُ دَم فِي خِرقَة رِتَاجٌ مَكسُورٌ/ جُزء عَمٌ يَتَسَائَلُونَ فِي صُفرَةِ الوَرَق/ تَعويذَةُ إلفٍ/ سِقَاءٌ مُتَقَلِّصٌ / مخلَبُ نسر / عِرْقُ لُبَانٍ / قطعَةُ لَحم مَقدُود) تَكَادُ أن تَنفدَ ، وهِي تَسمَعُ . فَقُلنَ لَه «يا قيس ، لَقَد ظَلَمَكَ الحَبِيبُ بِلا رَأفَة ، وَحَقُّكَ أَن تُسَبِّبَه لَعَلّهُ لايَستَحقُ» . فَصَرَخَ بِهِنّ :

«لا والله ، كُلُّ خَشيَتِي أنّنِي لَم أكُن جَديراً ، فَحَقُّهَا عَليَّ أن أُبَاهِي بِأنِيَ الخَيطُ المُنسَّلُ فِي ذَيلِ وِشَاحِها ، وأَقبَلُ إذا هِي قَبِلَت» .

فَإذا بِنَشيج يَصدُرُ من جِهَة تَشفُ عَن رُوح أدرَكَها بُكاءٌ لَم تَقدِرْ عَلى صَدِّه ، فَالتَفَتَت النِسوَةُ يَنظُرنَ مَصدَرَ النَشِيج ، فَأشرَقَت شَمسٌ صَغيرَةٌ من مَطرَحِها وغَابَت كَأنَّها تَدخُلُ إلى خِباء ، وتَرَاءى لَهُنَّ أنَّ لَيلى طَافَت وأخذَت مَا تَبَقّى من أشيَائه المنثُورَة (ثَالثَةُ أثَافيٍّ مَحرُوقَة /غُصنُ أرَاك / صُوفَةٌ من وَبَر الإبلِ / نوَاةُ تَمْر مَثقُوبَة بِشَعرَة الخَيلِ/ خُفٌ حائلُ اللونِ/ نَومٌ قَليلٌ/ قَوسُ قُزَح شَاحِب) وقَيسٌ مَشدُودٌ ، يَكادُ يَخفُ إليهَا مِن مَكانه ، انْجِذاباً وهِيَ تَذهَبُ عَنهُ ذَهَابَ القَميص مَسلُولاً مِنَ الجَسَد . فَأدرَكَت قَيساً رَعشَةُ ريح بَارِدَة مَسَّت صَدرَهُ المَكشُوف بَعدَ انسِلالِ القَميص . جَالسٌ فِي غُرفَة الطَرِيق ، يَسقِي النِسوَةَ شِعراً ، ويَبكِي عَطَشاً ، وهُنَّ يَتَضَاحَكنَ مِمّا يُثيرُهُ الحُبُّ فِي كَيَانهِنَّ الذِي مِن مَاء لا تُطفئهُ النيران ، يَتَضاحَكنَ وهُو يَبكِي . وشَمسُهُ الصَغيرَةُ تَذهَب .

فتنة الجسد

يُقالُ لقَيس إنَّ البَاديَةَ كُلُها أَضْحتْ تَعرِفُ عِشقَكَ لِليلى ، وهذا يَكفِي ، فَيَقُولُ : «لكنَّ لَيلى لا تَعرف .»
ويُقالُ لَه إنَّ نَاسَ البَدوِ والحَضَرِ كُلهُم ، يَتَناقَلُونَ حُبَّ لَيلى لَك ، وهذا يَكفِي ، فَيقولُ (لكِنَّ قَيساً لا يَعرِف) .

قَالَت لَهُ ذَاتَ لَيلَة :
«إنَّ الذي لَكَ عِندِي أكثَرُ منَ الذي لِيَ عِندَك . وأُعطِي اللهَ عَهداً مَا جَالَستُ بَعدَ يَومِيَ هَذا رَجُلاً سِواكَ حَتى أَذُوقَ المَوتَ ، إلا أَن أُكْرَهَ على ذلك» .
فَسَمِعَت منهُ وبَكَت مَعَهُ وهِيَ تَضَعُ بَنانَها فِي زَعفَرانَة شَعرِهِ ، حَتَّى كَادَ الصُبحُ يُسفِر ، فَتَنَبَّهَت لِنَفسها فَإذا هِي سَجِينَة زَنده القَوِيَّ مِن غَيرِ عُنف الصَارِم بِغَيرِ غِلظَة ، تَتَمَرَغُ فِي صَدرِهِ الفَارِهِ ، مَحلُولَةَ الشَعرِ ، فَارِطَةً مِن كُلِّ قَمِيصٍ ، وهو يَمنَحُها ما مُنِعَت عَنهُ ، وما جاءَت إلَيهِ وما

لَم تَعرفُهُ من قَبل . وعندَما أدركَها الوَقتُ ، شَبّت مثلَ شُعلَة اللّهَب نَاهضَةً ، تَشُدُّ أرديَتَها وهُوَ يَبحَثُ لَها عَن ذُرّاعَتِها وأوشحَتِها ويَعقدُ مَعَها الدكّةَ والزُنّارَ ، وهِيَ تَلُمُّ نُثَارَها الذي غَطّى البُسُطَ ومَنَحَ الخِبَاءَ ألوانَ اللّيلِ والنّهَار ، ثُمّ وَدّعَتهُ وانصَرَفَت . وكَانَ هَذا أولَ عَهده بِالجُنُونِ الذي يُورِثُهُ استِذْواقُ قَنْدَةِ الجَسَد .

ها أنت سمعت .. ها أنت رأيت

رُوِي أَنَّ اليَومَ الذِي حَصَلَ فِيهِ اليَقِينُ ، وَقَعَ فِي ثُلَثاءِ يُوافِقُ العِشرِينَ مِن ذِي الحِجَةِ فِي عَامٍ صَادَفَت وَقفَتُه يَومَ جُمعَة ، فَاجتَمَعَ يَومَها مِنَ الخَلقِ ما لَم يَجتَمِع فِيَ حَجٍّ مِن قَبل . وهُو حَجٌّ جَفَلَ مِنهُ قَيسٌ عِندَمَا أَخَذَهُ والدُه إلى الكَعبَةِ بِنَصِيحَةٍ مِن النَاسِ لَعَلّ اللهَ يَشفِيهِ مِن لَيلى . قِيلَ فَلَمَّا طَلَبَ مِنهُ والدُه أَن يَتَعَلَّقَ بِأَستَارِ الكَعبَةِ ويَدعُو اللهَ الفَرَج ، وَقَفَ قَيس فِي نَهدَةٍ مِنَ الأرضِ صَارِخاً فِي البَيتِ وأَهلِهِ (اللهُمَ زِدنِي لِليلى حُبّاً وبِها كَلَفاً ولا تُنسِنِي ذِكرَها أَبَداً ولا تُشغِلنِي عَنها .»

فَبُوغِتَ أَبُوهُ ، والتَفَتَت إليهِ الجُمُوعُ مُستَغرِبَةً مُستَنفِرَةً ، فَمِثلُ هذا دُعاءٌ لَم يَعهَدْوهُ ولَم يَسمَعُوا بِمِثلِه فِي هذا المَوقِف ، فَاستَكبَرَهُ جُمهُورٌ رَأى فِيه بَوحَاً لا يَلِيقُ واستِهتاراً لا يُسكَتُ عَنه ، فَشَخَصُوا حَولَ قَيس وَتَناهَبُوهُ ، وهُو يُرَدِّدُ الدُعاءَ ذَاتَهُ ، لا يُغَيّرُ فِيه إذا لَم يَزِدْ . وأَبُوهُ يَذُودُ عَنه مُستَرحِماً مُعتَذِراً مُتَعَذِراً بِجُنُونٍ أَلَمَّ بِوَلَدِه لِفَرطِ العِشق . لَكِنَّهُم لايَسمَعُونَ إليهِ ، حَتّى أَوشَكُوا عَلَيهِ . وَفِيمَا هُو مَحمُولٌ يُخرِجُونَهُ مِنَ

الحَرَم ، يُنقِذُونَهُ ودَمُهُ يَغسِلُ الطَّرِيقَ ، كانَ يُردِّدُ بِصَوتٍ واهِنٍ ، لا يَكادُ يُسمَع : «ها أَنتَ سَمِعت . . ها أَنت رَأَيت .»

ولما رَجَعَ قَيسٌ إلى قَومِهِ ، شَاعَ مَا فَعَلَه فِي البَيت ، فَوَصَلَ الخَبَرُ إلى لَيلى ، وَشَاقَـها أَن تَجتَـمِعَ بِهِ ، فَأَرسَلَت تَدعُوه ، فَطَارَ إِلَيـها يُرِيدُ أَن يُصَدِّق . وعِنْدَما دَخَلَ عَلَيها كانَ مُحتَقِنًا .

حديقة الحصن

لَم يَكُن جَسَداً ، حَديقَةَ الحِصنِ كان .
وكانَت الجِراح تَتَفَتَّحُ مثلَ وَرد كُلمَا وَضَعَت يَدَها عَلَيه .
لِلحَضنِ هذا الجَسَدُ ولَيسَ لِلقَصف . لأصَابعَ تُحسِنُ الحُلمَ وتَفسيرَهُ .
الأهدابُ لِرَاحَة المَسَاء والوِسَادةُ لآثَار الوَيل . لَكَ الكَتفُ لِتَبكي عَلَيه
وخَيطُ الدَمع لِتَسكَرَ ، هَاتِ الأعضَاءَ والعَنَاصرَ امزُجهُمَا بِمَا يَفيضُ مِن
أنفَاسي أزرَقَكَ بِالكُحل والسُوَيداء وفَصُّ الهَودَج لا يَأخُذُونَكَ مِني ولا
يَأخُذُونَني مِنك . نَضَتْ قَميصَهُ وراحَتْ تُدَاويه بِبَلْسَمَين ، الحُبِ
والشعرِ . وأخَذَتْ تَمُرُّ بِأنَاملِهَا عَلى جَسَده كَمنْ يَقرَأ :
«كُلُّ هَذه الجِرَاحُ فِي جَسَد صَغير إلى هذا الحَدّ؟»
فَيَقُولُ : « أنتَظِرُ أكثَرَ مِن هَذَا وأقدِرُ عَلَيهِ لَو أنَّكِ تَصبِرِينَ عَليَّ
وتُصْغِينَ لِي ،لَو أنَّك لِي .»
فسَمعَ مِنها مَا أوشَكَ اليَأس أن يَمحُوه مِن كِتابِه .

سترتني فافضحني

قيلَ لقَيس بن الملَوَّح : «مَا أعجَبَ شيء أصَابَكَ مَعَ لَيلى»
قَالَ : «طَرَقَنَا ذَاتَ لَيلَة ضُيُوفٌ ولَم يَكُن عندَنا شيء نُولِمُ بِهِ لَهُم ، فَبَعَثَني أَبي إلى مَنزل عَمّي المَهدي أَطلُبُ منهُ مَا يُؤلَمُ به ، فَأتَيتُهُ فَوَقَفتُ عَلى خَيمَته ، فَقَالَ : مَا تَشَاء؟ ,فَسَألتُهُ حَاجَتي . فَقَال : يَا لَيلى أخرجي لَهُ ذلكَ المَاعُونَ واملأي لَهُ إنَاءَهُ منَ السَمنِ . فَأخرَجَتهُ لِي وَجَعَلَت تَصُبُّ لِي السَمنَ ونَحنُ نَتَحَدَّثُ بهَمس مُتَقاربَيْن وأَيدينا أَربَعٌ في أربَع ، فَأَخَذَتنا الغَفلَةُ حَتى فَاضَ السَمنُ وانصَبَّ فَرَكَعْتُ أرشفُهُ من أصَابِعها وأصعَدُ مَعَهُ إلى بَاطنِ ذرَاعها وهيَ تَدفَعُني أن أكُفَّ فَأصعَدُ بِهِ إلى كَتفها الذي تَهَدَّلَ عَنهُ جَيبُها والسَمنُ يَقُودُني إلى نَحرِهَا وهي تَنتَفضُ وتَدفَعُني أن أكُفَّ فَأدُسُّ بشَفَتَيَّ إلى مُلتَقى النَهدَينِ وقَميصُهَا يَنحَسِرُ ويَتَحَدَّرُ بفعلِ السَمنِ وأنَا أتبَعُ مَسراهُ فَتطفرُ في وَجهِيَ الفُهُودُ والنُمُورُ وهي تَقُولُ خُذِ القَميصَ عَني فَآخُذُهُ وتَقولُ خُذني فَآخُذُهَا وتَقولُ لِي سَتَرتَني فَافْضَحني فَأفضَحُها فَلا نَعرِفُ كَيفَ

يَفيضُ السَمنُ بِنا وكَيفَ يَنعَقدُ ، وهِي تَقُولُ والله إنَّ جُنُونَكَ يَزِنُ عَقلَ بَنِي عَامِرٍ وأَوَّلُهُمْ هَذا الذِي يَجثُمُ فِي خِبائِه ، تَقصِدُ أَبَاهَا .»

الحب

هَاجَ بِه الشَّوقُ ذاتَ لَيلٍ ، فَخَرَجَ مُيَمِّمَاً دَارَها ، مِثلَ ذِئبٍ يَتبَعُ عِطرَ قَرينَته ، يَجِدُّ في السَّعي ويَلهَجُ بِاسمِها ويَتَهَدَّجُ بِآخرِ ما قَالَهُ فِيها مِنَ الشِّعرِ ، يَتلُو صَلاةً كَمَن يَقصِدُ الفَجرَ قَبلَ أَوانه ، وأَخَذَ يَطُوفُ حَولَ خِبائها حتى استَفرَدَ بكُوَّة تَفتَحُها لَهُ كُلَّمَا جُنَّت إِلَيه ، فَدَفَعَ خِرقَةَ الكُوَّة وكانَت ذِرَاعَاها فِي لُهفَة ، وهَمَسَ لَها أَن تَقُولَ لَهُ الكَلامَ . ارتَعَشَتْ أعضَاؤُها تَنثُرُ كَبِداً فَرَاهَا العِشقُ وصَعَدَ منها الزَّفيرُ الأَعظَمُ . امْتَدَّت لَهُ كالجسرِ ، وسَمِعَ فِي جَسَدِها غَرغَرَةَ زُجَاجَةٍ تَمنَحُ مَاءَهَا ، فَكَانَ لَهَا الإِناءُ تَسكُبُ ويَشرَبُ ، وكُلَّمَا قَالَ لَهَا زِيدي تَزِدْ وعَرَقُها يَتَفَصَّدُ والخِبَاءُ تَنداحُ أَستَارُهُ وأَسنِحَتُهُ مِثلَ رِيحٍ وهُو يَقُولُ زِيدي فَتَزِيدُ والعَرَقُ بَينَهُمَا يَنضَحُ وأَوتَادُ الخِبَاءِ تَتَأَرجَحُ مِثلَ إِعصَارٍ يَتَشَبَّثُ بِالمِزَقِ لِئَلا تَنهَارَ وهُو فِي حَالِ الإِناءِ يَفِيضُ ويَستَفِيضُ والزَّبَدُ يُجَلِّلُ أَعطَافَهُمَا فَتُصِيبُهُمَا الانتحَابَةُ . فَتَكُونُ قَالَتْ لَهُ الكَلامَ كُلَّهُ وقَد سَمِعَهُ . ويَكُونُ نَالَ مُتعَةً يَغتَرُّ بِها العَاشِقُ وتَاجاً تَتِيهُ بِه المُلُوكُ . ثُمَّ قَالَت لَهُ : «وأَنتَ ،

مَا تَقُولُ فِي هذا اللَّيل الذي يَطُول ؟!» . فَقَالَ لَها : «الحُبَ .»
وكَانَ أَوَّلَ عَاشق يَكتَشفُ هذه الكَلمَة ، وقِيلَ اختَرَعَها ، وذَهَبَت فِي لُغَة العَرَب دَالَّةً عَلَى وَصف مَا لايُوصَفُ من خَوالج النَّاس ، ولَم يُدركُوا كَلمَةً بَعدَها عَلَى هذا القَدر مِنَ الجَمَال . أَمَّا لَيلى فَإنَّها بَعدَ أن سَمعَت الكَلمَةَ أُغمِيَ عَلَيهَا ، ولَم تُفق حَتى يَومنَا هَذا . ويُروَى أن اسمَها امتَزَجَ بلَيلِ المحِبين الذِي يَطولُ فَتتَأَجَّجُ فِيه شَهوَةُ العُشَّاق ويَتَفَجَّرُ جُنُونُهم ، وقِيلَ إنَّهُ لَيلٌ لا نَهايَةَ لَهُ . فَذَهَبَت لَيلى مَثَلاً أَكثَرَ مِمَّا ذَهَبَ قَيسٌ .

الذئب

سُئِلَ يَوماً وهو سَاهِمٌ فِي الوَحشِ : «مَا أَجمَلُ مَا رَأَيت؟»
فَقَالَ : «لَيلى.»
قِيلَ لَهُ : «نُدرِكُ هَذا، ونَعنِي غَيرَها؟!»
فَقالَ : «أُقسِمُ أَن لا غَيرها، لَكِنَّ ذئباً بَهِيُّ الطَلعَة، نَشِيطَ السَّمت، طَيِّبَ الرِيح، صَادَفَنِي ذَاتَ قَفر وأَنَا أَحنُو عَلى ظَبيةٍ وأَتَمَسَّحُ بِها وأُخاطِبُها لِفرط شَبَهِها بلَيلى، فَأَمهَلَنِي حَتّى أَطلَقتُها وإذا هُو يُطارِدُهَا، فَانطَلَقتُ خَلفَهُما لِكَي أَطرُدَهُ عَنها، فَكلَّت سَاقَايَ مِنَ الرَكضِ، حَتى غَابَا عَني، وبَعدَ رَاحَة تبعتُ أَثَرَهُما، وإذا به قَد فَتَكَ بِها فَأَخَذتُ سَهْمَاً أَصَبتُه، وشَقَقتُ بَطنَهُ فَأَخرَجتُ مَا أَكَلَ فَضَمَمتُهُ إلى صَدري، ورُحتُ أَتَمَسَّحُ بِهِ وأَصبغُ بِمَزِيجِه خِرقَةً كَانَت عَلى جَسَدِي وأَدهَنُ جُمَّةَ شَعرِي وناصِيَتَهُ، وأَنَا أَشهَقُ، تنتَابُنِي شَهوَةٌ مَا ذُقتُ مِثلَها إلا مَعَ لَيلى. وغَشِيتُ بِفعلِ اللَذَّة. وحِيَن صَحَوتُ مِن غَفوَتِي إذا بِالذئبِ يَقُومُ مِن ذَبحَتِهِ كَمَن يَنهَضُ مِن نَوم. وَيَتَبَدّى لِي أَكثَرَ جَمالاً مِمَّا

كَان ، فَاقتَرَبَ مِنِّي ورَاحَ يَفركُ رَأسَهُ فِي كَتِفِي وعَيناهُ مُغرَورِقَتَان .
فَقُمتُ أَسيرُ مَعَهُ لِيَأخُذَنِي إلى المَكانِ . ومِن ساعَتِها لَم يَعُد ذلكَ
الذئبُ يُفارِقُنِي ، وكَانَ كُلَّمَا سَمعَ مِنِّي شِعراً أَذكُرُ فِيهِ لَيلى اغرَورَقَت
عَيناهُ وأَصدَرَ عُوَاءً أَجمَلَ مِن نَحِيبِ بَشَرٍ في الحُبّ .

ليلة العرس

شعرٌ غَزَلَهُ المجنُونُ في لَيلى ، صَارَ عطراً نَافذَ السحر . ذاعَ في بَدوِ الجَزيرَةِ وحَضَرِها ، ليَسْمعَ به شَخصٌ اسمُهُ (وَرْد) ، يَخْرجُ من ثَقيفِ الطَّائف ، مُتَتَبعاً أخبارَ لَيلى مُتَقَصِّياً مَضَاربَ بَنِي عَامر ، من طَرَفِ الجَزيرَةِ حَتى قَلبها . وقِيلَ إنَّ (ورداً) كَانَ يَحْفظُ كُلَّ أشعَار قَيس ، حَتى إنَه عِندَما دَخَلَ عَلى والِدها خَاطباً ، كانَ يُرَدِّدُ شعرَ المجنُونِ أكثَرَ ممَّا يَقُول كَلاماً من عِنده ، حَتى قيل إنَّ ورداً جَاءَ يَطلُبُ لَيلى من أهلِها بِشَفيع واحد هُو شِعرُ قَيس فِيها . ورُوِيَ أنَّ المهديَّ والدَ لَيلى وَجَدَ فِي وَردِ الثَرِيِّ مِنْ ثُقيف ، شَخصاً من أهلِ الجَمْع والمَنْع ، جَديرَ المَنزلَةِ ، وأنَّهُ إلى ذلك سَوفَ يَضَعُ لِقصَّةِ قَيس مَعَ لَيلى حُدُودَ الأعرَافِ التِي يُوجِبُها الزَواج . أُجبرَت لَيلى عَلَى الزواج من وَرد ، بَعدَ تَهديد بالتَمثيلِ بها إن رَفَضَتْ . فَوَقَفَت لَيلَةَ العُرسِ فِي مُنتَصَفِ الخبَاء قَائلَةً لِوَرد : «لقَد تَزَوَّجتَني لأنَهُمْ لا لأني ، وأنتَ تَدري عَن حُبِي لِقَيس وعشقه لي ، وقَد حَذَرتُكَ مِن هَذا ، أما وَقَد حَصَلَ مَاحَصَل ، فإنَّكَ تَعرِفُ أنَّ

لقَيس في رُوحِي أكثرَ مِمَّا لَكَ فِي جَسَدِي ، فَإذا كُنتَ قَبِلْتَ ذلكَ مِن قَـبلُ لابُدَّ لَكَ أن تَقْـبَلَ هذا مِن بَعـدُ ، فَـاعـرف أنَّ لَهُ عندي النصفَ والثُلثينِ وما يَفضُلُ ، وإنَّ جَـمعَكَ ومَنعَكَ ، اللذَيْنِ جِئتَ تَشـتَرِيني بهما ، لا يَجعَلان لَكَ سُلْطاناً عَليّ ، وهذا الأمرُ بَينَنا مِن هَذِهِ اللَيلَةِ ، فَإذا قَبِلتَ فَاعلَمْ أنكَ زَوجِي أمامَ الله والنَّاسِ وهَذا حَسبُكَ ، لَكنَّهُ حَبيبي أمَامَ الجَميعِ وهَذا لا يَكفيني ولَنْ يَكفيه .»

قيلَ فَلمَّا سَمعَ وَردٌ كَلامَها أطرَقَ طَويلاً ثُمَّ نَظَرَ إلى الوَاقِفَةِ أمامَهُ ، مِثْلَ حُلُم بَينَ يَدَيهِ ، يَرشَحُ مِن أصَابعه ، ولايَقوى عَلى مَنعه . وقَالَ بَعضُهُم إنَّ (وَرْداً) ، رُبَّما كانَ يَعرِفُ أنَّ هَذا لابُد واقعٌ ، فَأحَدٌ لا يَعرِفُ مِقْدارَ ما بَينَ قَيس ولَيلى مِثلَمَا يَعرِفُ وَردٌ وَيُدرِكُ . لكِنَّ وَلَعَهُ بِلَيلى ، هَوَّنَ عَلَيهِ الخَسارةَ كُلَّها . وقِيلَ إنَّ (وَرداً) كَانَ قَد استَحوَذَت عَلَيه مَاهيَّةُ قَيس ، حَتى اسْتَبطَنَتهُ وتَقَمَّصَها ، وما سَعْيُهُ لِلزَواجِ مِن لَيلى ، إلا نُزوعاً لاحتِيَازِ الحُلم الذي ابتَكرهُ قَيسٌ فِي شِعره ، وما كَانَ لورد أن يُفَرِّطَ في هذا ، وقَد تَيَقَّنَ أنَّهُ لَن يَنالَ مِن لَيلى إلا ما أرادت .

تاج الضحايا

يَسيرُ ويُهمِلُ أشيَاءَهُ فِي الطرِيقِ
شاجِنَ الحُنجرة . حَدَّثوهُ عنِ العُرْسِ ، فَانْقَضَّ فِي جِلْدِه . قَفَّتْ يداهُ على الماءِ حتى العَطَش أرَاغنهُ حَجَرٌ صادحٌ والهَوادجُ تَمضِي بِلَيلى إلى العُرسِ والعُرسُ يَذبَحُه . والهَواءُ قَميصٌ لِنيرانِه . لَهُ الله . حَبيبتُه في السَّبايا . يَسِيرُ ويَحملُ جثمانَه . شَاخِصٌ في غُبارِ القَوافلِ ، تَحدُو وتَترُكه في البقَايا .
رَأيناكَ يَا قَيسُ يا قيسُ يا تَاجَنا في الضَّحايا .

ليلة الوصف

مِمّا يُستَشَفُّ مِن نُتَفِ الأخبارِ ومُستكْنِهاتِ مُعظَم النُصوصِ وسَواطعِ بَعضِها ، أنَّ قَيساً لَم يَكُفَّ عن لَيلى بعدَ الزَواجِ ولا هِيَ عَفَّت عَنهُ ، فكَانَت تَستَقْبله فِي غِيابِ زوجِها حِيناً وتَطيرُ إليَه فِي القَفْرِ أو الجَبَلِ حِيناً آخَر . ورُوِيَ عن صاحبِ الأغاني قَالَ إنَّ زَوجَ لَيلى وأباها خَرَجا إلى مَكةَ ، فَأرْسَلَت إلى المجْنونِ تَدعُوه ، فَأقامَ عِندَها لَيلَةً لَم يَخرُجِ مِنها إلا في السَحَرِ مَسحوراً ، وقَالَتْ لَهُ : «عُدْ إليَّ مَا دَامَ القَوْمُ في سَفَرٍ .» فكانَ على ذلكَ حتى قَدِمُوا . ورُوِيَ أنّها كانت من النشوَةِ بعدَ اللَّيلةِ الأخِيرةِ حتى لَم تَقْوَ عَلى كِتمانِ حَالِها أَمامَ (وَرد) ، الذي دَخَلَ عَلَيها مِنَ السَفَرِ مُحَمَّلاً بِالهَدايا مُستَميلاً وِدَّها ، فكانَ كُلَّما أَخرجَ لَها هديّةً يَسألُها «كَيفَ تَجِدينَ هذا الخَزَّ وما تَرينَ بهذا العطرِ وهذا العقْدِ وهذهِ القِلادَة»؟! .» كَانَت تقولُ لهُ : «كُلُّ هذا ليسَ بِشَيء .»
ثُمَّ تُعْرِضُ عنهُ . فَأدركَ أنّها لَيسَتْ في شَأنِه ، وأن قَيساً قَد استَغرَقَها فِي غيابِهِ ، فَطَوى هداياهُ وَخَرَج . ورُوِيَ عن جارَةٍ لَها سَألَتها عن تلكَ

اللَّيلَة ، فقالت : «وَالله إِنَّها لَلَيلَةٌ تَجِلُّ عن الوَصف .»
فلمّا استزادَتها الجارةُ زادَتْ :
«لَعَمْري مَا اشْتَمَلَت النِساءُ عَلى رَجُلٍ مِثله قَطّ» .

أفعال الشطح

.قيلَ إنَّهُ حينَ يَفيضُ به الوَجْدُ وتُدْرِكُه التَجلِّيات، يَخرُجُ في المَضارِب، يَكشفُ أَستارَ الكُوَى في جَوانِبِ الخِيام وخدورِ النساءِ، مُنادياً في بَنِي عامرٍ «يَاغَلَظَةَ الأكبَاد افتَحُوا كَي يَتخَلَّلَ الحُبُّ قلوبَكم وتَنتابُكُم الرَعدَةُ البَهِيّة وتَنثَلجَ أَوصَالُكُم ويَرِفَّ على أفئدتكم مَلاكُ الجَنَّة والنَّار، واطرَحُوا من أَيديكم الشُغلَ والتجارةَ واترُكُوا لأَجسادكُم حُريَّةَ النزالِ والإنزال، وسَمّوا كُلَّ شَيءٍ بِاسمِه، وقُولوا هُو الحُبُّ، لَعَلَّكُم تَنالونَه وتَقَعونَ على نعمَته وتَستطْعمونَ بعضَ ما أنا فيه، لكَي لا يَكُونَ فَكاكٌ لَكُم ولا أَنْتُم تَبرَأون» . ثُمَّ يَطوفُ عَلى مَرابطِ الخَيلِ والإبلِ، يُطلِقُ عِقالَها في غفلَة القَوم، حتى إذا ما الْتَفَتوا لَم يَجِدوا في الحَيِّ بَهِيمَةً في رِباطِها . وكانَ ذلكَ من أَفْعالِ الشَطْح .

الهداية

لا يَيْأَسُ ، ويظلُّ في انتظاره مفتوناً بوعدها . فتتَحَيَّنُ لَيلى غَفلةَ (وَرْد) فَتَبعَثُ إلَيهِ تَدعُوه ، فيَأتي مِثلَ الرُوحِ المَأخُوذ ، وهِي تكادُ تحتَقِنُ لانتظارهِ الذِي لا ينفدُ ، والناسُ فِي طَريقٍ مُؤنَّثَة بالأشيَاءِ المَأخُوذة . يدخُلُ علَيها فتقومُ إلى بابِ المكانِ تُغلقُ رِتاجَهُ وتُرْخِي الأستار ، وقَيسٌ يهيمُ بها ويَهِمُّ مِثلَ طَيفٍ أخَذَ مِنْهُ السحْرُ وشَحَذَتهُ النَظْرَةُ . يجلسانِ مُتَلاصِقَين ، صمتُهما أضعافُ الكَلام ، كُلَّما قالَ لَها سَكَبَت لَه ، أيُّكُما سَيُطفِئُني هذه اللَّيلةَ وأيُّكما سيُشْعِلُني ، وهو لا يعرِفُ بأيِّ عضوٍ يأخذُ ما تُعْطِيه ، وكيفَ يحتَفِي بالنعمَةِ التِي تَبذلُها لَه ، يقولُ وتَسكُبُ وتَنسَكِبُ عليهِ ، وهو لا يكادُ يَفرَغُ مِن رَشفَةٍ حَتّى تدركهُ شَهقةٌ ، تَشحَذُ جَسَدَهُ بالرُوحِ ، فَيَتطَايرُ الشرَرُ وتشبُّ النِيرانُ في الثيابِ ، حتّى لا يَجِدان مَفَراً من التخفّفِ فَيرفَعَان القُمصانَ التِي اكتَنَزَت والصُّرَرَ التِي استَضَاقَت والشَراشِفَ التِي زَاحَت وانزَلَقَت تَتَمَرَّغُ في ثَنَاياهُ ويَنْدَسُّ في أردَنِها تَتَدافعُ بهِ ويَتَرنَّحُ مَعَها تَتَهدَّجُ ويَتَهَجَّدُ ويَحتَبِلُ

ويُصيبُهُما مِثلُ الهَذَيانِ . والسَهرةُ سُرادِقٌ بِلا سَقف حَتّى يَمَسَّهُما صَوتُ الفَجرِ . فَيَخرُجانِ من بَعضِهِمَا كما يَخرُجُ الحَالِمُ مِنَ الحُلم .
وعِندما يَلتَقيهِ الذاهِبُونَ إلى صَلاةِ الفَجرِ ، يقولون : «لعلّه اهتَدَى!»

فَيَقولُ : «اهتَدَيْتُ .»
ويَذهَبُ كلٌ في طريقَينِ لا يَلْتَقِيانِ أبَداً .

هي الشمس

قيلَ لهُ : إنّما هِيَ واحِدةٌ من النساءِ .»

قَالَ : «هل فِي النساءِ مِثْلُ هذا؟!»

قِيلَ لهُ : «وأكثر مِن هذا لو أَرَدتَ ، ويُحبّونَكَ أَيضا .»

فَقالَ : «لَكِنَّنِي لا أُحبُّ غيرَ لَيلى فَإِنّها الوَاحدةُ بينَهُنَّ» .

وطَفِقَ مُبتَعِداً عنْهم مُتَبرماً : «أَقُولُ لهم هيَ الشَمسُ ، لكِنَّهم يعمهونَ عَنْهـا ويَخلِطون ، حَـتَّى أُوشِكَ أَن أُمَـرِّغَ أنوفَـهم فِي ضَـوْئِها ، لعلَّهُم يَشعُرونَ بِما يَفعَلُ الجَحيمُ في الجَسَد . وكُلَّمـا أَشَرْتُ لَهُم أَن أُنظُرُوا إليها ، راحُوا يُحملِقُونَ فِي طَرَفِ الإصْبَع ولا يَرونَ شَيْئاً ، ومَا زالُوا في طَرَفِ الإصْبَع وهم يَفتَحون أَحداقَهُم عَلى آخِرِها ، حتّى يَعشَوْا وتَذُوب منهُمُ المُقَلُ ، فَيَفْقِدُوا النَظَرَ لَعَلَّهُمْ لا يُبصِرُون .»

مرآة الماء

طَرَحَتْ ثيابَها لتَغتَسِل ، ونَظَرَت في مرآة الماءِ وسَألَتْها : «وَيْحَهُ ، لقَد عَلِقَ مِنّي مَا أَهْلَكَه مِن غَيرِ أن أستَحِقَّ ذلك ، فَنَشَدْتُك اللهَ ، أَصَدَقَ في صِفَتي أَمْ كَذَب؟»

فسَمِعَتْ : «لا والله فَقَد صَدَقَ ، ولَم يَكُنْ مادحاً لكنَّهُ وَصَفَ مَا وَقَعَتْ عَلَيه عَيناهُ وجَسَّتْهُ يَداهُ وذاقَتْهُ حَواسُّهُ كُلُّها ، فَلا تَثريبَ عليه إنْ هُوَ جُنَّ بِكِ وجُنَّ عليك .»

فَاستَعذَبَت لَيلى هذا ، وقَالت : «وحَقِّ هَذا الماء إنَّهُ يَستَحِقُّ منِّي أكثرَ من ذَلك ، فَوَاللهِ لأُعْطِيَنَّه حَقَّهُ ، من غيرِ أن يَلُومَني أَحَد .»

يغفر الله لي

قِيلَ لَهُ : « الحُبُّ أَوصَلَكَ إلى مَا أَنتَ فيه؟ »
قالَ : « وَ سَيَنتَهِي بي إلى مَا هُوَ أَشَدُّ مِمَّا تَرَون . »
لقَد كَانَ يَأسُهُ في ذلكَ أَعظَمَ من أَمَلِه وأجمَل . إلا أنَّه كانَ يَعرِفُ الطَّريقَ ، وكانَ يَذهَبُ فيها . هذا الذي عِشقُهُ رِيحٌ تَلعَبُ بالرُّوح . »
وقِيلَ لَهُ : « لِمَ لا تُصَلِّي فَيُعينُكَ اللّهُ عَلى ما أَنتَ فيه؟! » قَالَ : « لو أَنَّني أَستَغفِرُهُ بقَدْرِ ما أَذْكُرُها لَغَفَرَ لي مَا تقدَّمَ من ذَنْب ومَا تَأَخَّر ، ولكِنَّني ما وَقَفْتُ لصَلاة إلا شاغَلَتْني لَيلى في وَقْفَتي ، وعِلمي أَنَّ اللهَ لا يُحب شَريكاً لَهُ ، كما أَنَّها لا تَقبَلُ شَريكاً هِيَ الأخرى ، ولا يَصحُّ لي أَنَ أكونَ مُشْرِكاً ، وَسوف يَغفِرُ اللهُ لي ماغَفَرَت لَيلى . »

البكاء كله

قِيلَ لَهُ : « ماذا لَو أَنَّ لَيلى لم تَكُنْ ؟»
قالَ : « لَكُنتُ بَكيتُ البُكاءَ كُلَّهُ لِكَي تكُون .»

في الحج

نَقَلَت لنا الرواياتُ مَواقفَ صادَفَها قَيس في الحَجّ ، مِمّا يُوحي أنّه قَد سافَرَ غَيرَ مَرة إلى البَيتِ الحَرام . إلا أنّ شَيخَنا أبا صَلاح خَلَفَ الغَسانيّ رَوى عَن أحَد المُجَاورين ، نَمت إليه طُرَفٌ عَن قَيس ، قَالَ :
«إنّ قَيساً ، رُبما ذهبَ إلى الحجّ مرةً واحدَة ، وأقولُ ، ذَهَبَ ، لِكَي أعني أنّهُ لَم يُسافر بنيّته في الحَجّ ، ولَم يُؤَدّ حَجّاً بِمَنَاسكنَا وشَعائرنا ، تلكَ هِيَ يَتيمَتُهُ التي ذَهَبَها مَعَ أبيه للشّفَاء مِنَ الوَلَع ، وقَد مَنَعَتْهُ حُكُومَةُ الحَجّ وسَدَنَةُ البَيتِ مِن دُخُولِ الحَرَم بَعدَ شَنيعَته . فَقَد سَلَكَ طَرِيقَةً وقَالَ شعراً ابتَدَعَ بِهِما بِدعَةً هِي الهَرطَقَةُ عَينُها ، ممّا أثارَ عَلَيه الخَلقَ وحَرّكَ إليه أحجارَ البَيت كُلّها . ويَتَراءى لِي أنّ قَيساً لَم يَأتِ مَكةَ ليُعلِنَ عِشقَهُ ويُذيعَ غَزَلَهُ فِي لَيلى ، وهذا مَألُوفٌ فِي وَقْته ، لكنّهُ ، واللهُ أعْلَمُ ، جاءَ لأمرٍ آخر . وقَد التَفَتَ يومَها كَثيرُونَ إلى شعرِ ذلكَ الجنُونِ بدَهشَة تَسبقُ السّحر ، ولَولا قدرَةُ الله لَدَبّت في النّاسِ الفتنَة .»
قَالَ ، «وقَدْ أخبَرَني ذَلكَ المُجَاورُ أنّهُ لَـمّا حَضَرُوا بِهِ مَكةَ ، بَاتَ لَيلَةً

يُحَدِّثُ نَفسَه كالذي في النَوم يَهذِي ويُعَاتبُ امرَأةً حاضِرَةً . فَسُئِلَ عَن ذلكَ فَحَلَفَ أَنَّ لَيلى كَانَت إِلى جانِبِه في الوَقتِ وأنَّها تَجلَّت لَه في هَيْئَة أتانٍ ، تَقُودُ قَطيعاً عَظيماً مِن بَقَرِ الوَحش ، وتَدورُ به حَوْلَ نَبع ماء ، يَتَفجَّرُ ويُصيبُ القَطيعَ فَيَغسلهُ والبَقَرُ يَطوفُ ويَطلُبُ من الله رَحْمَةَ لَيلى ورَفْعَ غَضَبِها ، والأتانُ لا تكُفُّ عن السَّعي والدَوَرَان حَوْلَ الماء . فَسَأَلَ لَيلى لماذا تَأخُذُ طَبِيعَةَ الأتانِ ، قَالَت لَهُ إنَّ في الأتانِ شَيئاً مِنْ رَائِحَةِ الأنبياء .»

قيلَ أيضاً إنَّه لَمّا طَلَبَ منهُ أبوهُ أن يَتَعَلَّقَ بِأستارِ الكَعبَةِ لِيَنسى ، امْتَثَلَ لَهُ ، وما أَنَّ لامَسَت يَداهُ قَطيفَةَ الأسْتار ، حَتى شَعرَ بحَيَاة غامضَة تَتداحُ بَينَ يَدَيه وعَينَيه فَاحترَقَتهُ شَرارَةُ الشَهوَةِ لِفَرطِ مَا رَأى فَأخَذَ يَتَمَرَّغُ في الأَستارِ كما في تَختٍ مُترَف ، وأَطلَقَ صَرخَةً عَظيمَةً ، زَلْزَلَت صَحنَ البَيتِ كُلَّه ، وسَمِعَها مَن في رُؤوسِ الجِبال «يالهذه الأَردِيَةِ الهائلَة ، الكائنُ الصَغير وراءَ قَميص بِهذه الرَحابَة والهَيبَة ، إِنَّها هُنا .»

وأَخَذَ يَشهَقُ ويَتَقَلَّصُ ويَنفَرِجُ ويَنبَسِطُ ويَشبُّ جَسَدُهُ وتَدبُّ فيه الحُمَى ثُمَّ يَرشَحُ بالعَرَق ولا يُدرِكُ أَحَدٌ أَنَّ هذا يَكفِيه .

في روايَةٍ أُخرى قَالَ عَليُّ بنُ مُحَمَّد أَنَّهُ كانَ يَسعى بَينَ الصَفَا والمَرْوَة وإذا بِمُنادٍ يُنادي من فَوق صَخرَة كَبيرَة ، والنَاسُ تَنصَرِفُ عَن السَّعْي مُتَحلِّقَةً حَولَهُ ، فَاقتَرَبتُ لكَي أرى شَخصاً عَلِمْتُ فيمَا بَعدُ أنَّهُ المَجنُونُ يُشيِّدُ هَيكَلَهُ في النَاس . فَمَا إن وَصَلَ بِناؤه إلى تَقويضِ البِناءِ الأوّل ، حَتَّى شَعَرْتُ بِأنَّ أَعضائيَ تَفلجُ وتَقصُرُ عَن حَملي فَانهارَ جِسمِيَ لِشدَّة ما سَمِعتُ ، فَحَمَلَني أَصحابِي إلى ناحيَة يَنضَحُونَ الماءَ فَوقَ جَسَدي لِكَي أَخرُجَ مِن إغمائي . وكانَ ذلكَ آخرَ عِلمِي بِذلكَ المَجنُون .»

شيء غير الجبل

حُجِبَتْ لَيلى عَن قَيس وانقَطَعَت أخبارُها عَنه وهُوَ الذي اعتادَ عَلى وَصْلها ، فضاقَ الفَسيحُ في عَينَيْه ، وَعَلِمَ أَنَّ أهلَها يُريدونَ إتلافَهُ بهذا الحَجْب ، فَأَخَذَ يَطوفُ لَيلَهُ ونَهارَه بَحثاً عَنْ مكانِها . وكُلَّما صَادَفَ شَخصاً يَسألُه عَن لَيلى وأَينَ غَيَّبُوها (لَيتَهُم قَتَلُوني فَالموتُ أرْوَحُ لي) كانَ يَهجمُ في فَضاءِ شاسع وهُم يَهرُبونَ بِلَيلى عَنهُ في الأرضِ والأرضُ تَتسعُ لَهُم وتَضيقُ عَلَيه . يَسْأَلُ عَنْها فَلا يَجِدُ في الأرضِ غَيْرَ ظِلٍ لخَطَوات شَاردَة وبَقَايا طِيب رَشَّتْهُ لَيلى في هَوْدَجِها سَاعَةَ الرَحيلِ ، فَيَشُقُّ ثَوْبَهُ ويُلْصِقُ صَدْرَهُ في أَثَرها . يُمَرِّغُ خَدَّيه ويَبْدأُ في كتابَة بُكائه في ذلكَ الصَعيد الطَّريِّ . يَرسُمُ آثارَ أقْدامه المُضْطَرِبَة في رِمَال الجَزيرة ، مُجتازاً مَفَازاتِ الأرجَاء ، يَصْعَدُ في ذاكرَته جَبَلُ التَوْباد ، فَيَهِمُ إليه هائماً مُتَلَبثاً بَينَ الوَعْرِ والوِدْيانِ ، لَعَلَّ شَيئاً من الحُلم يَنْتَفضُ ويَتَحَقَّقُ . فَيحضنُه الضَياعُ لَيجدَ نَفسَهُ في ظاهِر الشام ، يَسألُ الناسَ (أينَ جَبَلُ التَوبادِ من أرْضِ بَني عَامِر؟)

فَيُقَالُ لَهُ : (وأينَ أنتَ مِن أرْضِ بَني عَامر؟! أنتَ بالشّام)

ويهدونَهُ بالنُجُوم . فَيَذهَبُ إليها هَائماً على وَجهه في سَديمِ الكَواكبِ حَتى يَقَعَ بِأرضِ اليَمَن . فَيَرَى بِلاداً مَجهولَةً وقَوماً لا يَعْرِفُهمْ ، فَيَسألُهم عَنْ التَوبادِ في أرْضِ بَني عامِر ، فَيَقولونَ لَه : (وأينَ أنتَ مِن أرضِ بَني عامِر؟!)

ويهدُونَه بالكَواكِب فَيَتيهُ في المجرَّة . ولَيسَ هذا مِن طاقَةِ البَشَر ، ولا يَزالُ كَذلِكَ حَتى يَقَعَ عَلى التَوبادِ ، فَيَرى شَيئاً غَيرَ الجَبَل .

أسرد قلبك

تَطيرُ إليه الأخبارُ وهو في مَزيج كمن تَلهو به الأسطورَةُ ،لا يَكادُ يُصَدِّقُ منها خَبَراً حَتى يَصدفَهُ خَبَرٌ ، ولا يَبينُ لَهُ من ذلكَ يَقينٌ يَرْكُنُ إليه . وجاءَهُ مَن يَقولُ لَهُ إنَّ لَيلى أُخذَت إلى العِراق عُنْوَةً ، فَمَرضَتْ هُناكَ فَأَينَكَ منها؟ ثُمَّ قيلَ له إنَّها في الحِجاز ، وقيلَ في الصفاح . رُواةٌ يَعبَثونَ بالأخْبار ، كُلٌّ عَلى هَواه ، فَيَصيحُ بِهم (يا قُساةَ القُلوبِ ، يَا فَاسِدي الضَمَائِرْ . إنَّ هَذا لا يَجُوز ، اصْدقُوني في أيِّ أرض قَلبي ، أَسْعِفُوني ، ولا تَلعَبُوا بالرُوح فَقَد تَلفْتُ ممّا أنا فيه وأنتُم تَدفَعُونَ بي إلى كُلِّ فَجٍّ ، ضَارباً عَلى وَجْهي ، لا أَلقَى إلا سَراباً . هل مِنكُم مَن يَصْدُقُ خَبَراً واحداً؟ تَسْعَونَ لجُنونِ مَجنونٍ مِثلي ياتعسَكُم) .

فَاضَ به العشقُ وضَاقَتْ به الدارُ والحَيُّ والبادِيَةُ فَوَجَدَ في العُزْلَة التي نَشَأَ عَلَيها فَضَاءً يَسَعُ حُبَّهُ وفي الوَحْشِ الصَديقَ النَبيل . عَبَثَ النَاسُ به فَوَجَدَ في الذئبِ والوَعلِ والطَيرِ والشَجَرِ طَبيعَةً تَأنَسُ لَها الرُوحُ وَيَرتاضُ الجَسَدُ . ظِلهُ يَتبَعُ الشَمسَ ، وعَيْناهُ مَأسُورَتانِ بِمَا يَمنَحُ

العشبَ لَوْناً ، لا يَسألُ المَاءَ من أينَ أنتَ ومَنْ أنتَ . يَغسلُ أخبارَ قَلبكَ ، يَمسَحُ عَن كتفيكَ غُبارَ الطَّريقِ . يُؤثِّثُ القَفرُ غُرفتَهُ بِالهُدُوءِ لكَي تَأمَنَ أَحَلامُهُ وتَنام . فَمَن يَسكُنُ الوَحشَ يَملكُه . لا يُرَى إلا وهُوَ في قَطِيع مِنَ الذئابِ تَسيرُ من أمَامه ومن خَلْفه ، كَمَن يَحرُسُه ويَخفُرُ خُطاهُ . فَالعِشقُ أَن لا يَطَالَكَ غَيرُ الهَوى ، فَقَفْرٌ هُوَ الحِصنُ يَحمي ويَحضُنُ .

كَانَ فِي وَحش يَسْحَلُ أعضاءَهُ في نتُوءِ الجَبَلِ . ضارباً في سَفح التَوبادِ مُهَلهَلَ الحَالِ ، طَائِشَ الذهنِ ، يَقتَاتُ بِعُشْبِ الصُخورِ ويَشرَبُ مع الوَعلِ . والتَقاهُ الذئبُ وجَلَسَ إلَيه يَستَهديه ويَرتاضُ بِرُوحه حَتّى استَقرَّ وهَدَأت أخلاطُه ، ثُم سارَ به مُستَسلماً لمَا يُشبهُ السحرَ ، مُيَمِّمَينِ صَوبَ المكانِ ، يَدخُلانه لِتَكُونَ لَيلى هُناكَ . بَهْوٌ مِنَ الحَجِرِ النَظيف . تَضَعُ قَدَمَكَ عَليه ، فَتَسمَعُ لَه وَجيباً ، تَليه طَنافسٌ من حَشيشَةِ البَهجَة ، تَقولُ لَكَ هذا لَكَ فَتَشعُرُ أَنَهُ لَك وتَلثمُكَ ريحٌ خَفيفَةٌ ، تَأخُذُ يَدَي وتَهديكَ فَلا تَهْتَدي ولا تَضيعُ عَيناكَ في أُفُقِ البَهوِ ، فِي زُرقَة فَاترَة ، تَدعُوكَ فَتَذهَبُ فَيجهَشُ قَيسٌ (رَأيتُ لَيلى في هَودَج مثلِ هذا وجَلَستُ إليها . قُلْ إنَّها هُنا واترُكني) .

فَقالَ لَهُ الذئبُ (امكُثْ هُنا واسرُدْ قَلبَكَ تَسْمَعُكَ وتَأتيك ، ولا تكونُ وَحدَكَ أبداً

فَيَخرُجُ الذئبُ عَنهُ وتَكونُ لَيلى في هَيئَةِ الماءِ والمَلاك . وكانَ كَأَنَّهُ يَرى .

النص والخبر

آتيك ، آتيك ، لا أنْتِ في الشّكِ ولا أنا في الغَفلَة . أَمَضّني السّفَرُ وثَلجُه ، الصَمْتُ وجَحيمُه ، أَمَضّتني القِفَارُ وسيرةُ الوَحش . ومَا عَلَيكِ إلا أَنْ تَظُنّي بِيَ الظُنُونَ ولا أَخـذلُهـا ، وتُطْلِقي خَلْفيَ الكُتُبَ لِكَي أَخْذلَك . آتيكِ ، فَلا مَفَرّ ولا خَلاص ممّا اختَرناهُ إلا اختيارهُ . آتيك فابذُلِي الوَقْتَ ، وبالغِي في الحُبّ لِنُصابَ بالبَهجَة ، ويُصابَ النَاسُ بِمَا يُريدُون . عَلَيكِ أن تَبذُلِي رِيشَ كَتفك ، لِكَي أَضَعَ عَلَيه رَأسي وأَبكي لَكِ البُكاءَ كُلّهُ ، إلى أن تَحتَرِقَ كَبدي ، ويَتَصَاعَدَ منها اللَّهبُ والشواظُ وبُخَارُ اللَّهفَة . وعَلَيْكِ أن تُصغي للأَخطاءِ المُلَفّقَة كُلّها . تُصغي إليها بلا اكتراث . فَفي كَتفك يَنهالُ جَيشٌ مِن الفُرسانِ المَهزُومينَ يَزعُمونَ انتصاراتهم . عَلَيكِ بكَتفك الرَهيفَة وريشها ، عليك أن تَحتَملي عُواءَ الذئبِ ونَحيب الكَبدِ المَفدُوح . عَلَيكِ دَيْنٌ لي أُؤَدّيه عَنك ، ولَك دَيْنٌ عندي تُؤَدّينَهُ لي . كلانَا مَسحورٌ وكِلانَا لا فَكَاكَ لَهُ ممّا هُوَ فيه . عَلَيْكِ أَنْ تُؤمِني بِي قَادِماً ذاتَ لَيلٍ ، فَازِعَ القَلبِ مُحتَقِنَ الأحدَاقِ مَجنُون

الفُؤاد مَحسورَ الجَسَد ، بَاحِثاً عَن صَدر يَدّخرُ الجنَّةَ لي . فَعلَيك أن تَشُقّي لِيَ القَميصَ عَلى آخِرِه كَي أَدْخُلَ أنّى أتيتُ وأخرُج أنّى ذَهَبْت . عَلَيكِ أن لا تَكُفّي عَن السَهَرِ ولا تَأخُذكِ سِنَةٌ من النَوم ، ولا يَفُوتكِ الحُلُم . وسَاعَةَ أنزلُ عَلَيكِ مِثل مَلَك يَحملُ النَبَأ ، لا يُخَالجُك شَكٌ في شَخص لا يُشرِكُ فيكِ شَيئاً ولا تَنَالُهُ المظَنَّةُ ولا يصدُرُ عَن سِواكِ ولا يَذهَبُ لِسواكِ ولا يَقُولُ عَن سِواكِ ولَيسَ لَهُ مَآلٌ غَيرك . عَلَيك أن تَجعَلي الخِبَاءَ بَهوَ الكَون وسُرادِقَ المجَرّة وسَريرَكِ السَديم . عَلَيك أن تَجعَلي بَابَ الخِبَاء مَتروكاً بَعدي ، لكَي تَدخُلَ البَاديةُ كُلُّها والحَضَرُ كُلُّهُ ، فينظُروا إلَينا ونَحنُ نَضَعُ أعضَاءَنا في القَتلِ والقِتال . تَحتُكُ وتَحتَدِمُ وتَرتطِمُ ويَتَطايَرُ منها النورُ وتَتدَفقُ النيرانُ . دَعي لَهُم الخِباءَ في التَركِ لكَي يَنهَالُوا ويَنهَلُوا مِمّا نفعَلُ ولا يعودوا يَشكُون في النَّصِّ والخَبَر .

جنون الفؤاد

(لَوْ حَلَفْتُ أنَّ مَجنُونَ بَنِي عَامِر لَم يَكن مَجنُوناً لَصَدَقْتُ)
قَالَ ذلكَ ابنُ سَلاّم فَصَدّقناهُ . لَيس لحِلفَانه ، ولكن لِشَيء فِي النَّفْسِ يَحُضنا عَلى هذا وشَيء فِي القَلب يَهْدينا إليه . رحْمَةٌ أن لا تَتّفق الأخبَارُ عَلَى جُنون ، فَقَد وَجَدنا في مَا قَرأناهُ منَ الشعر مَالا يَستَقيمُ مَعَ الجُنونِ حينَ يَعنُونَهُ حمقاً أو خَبَلاً أو انحِرافاً فِي العَقْلِ . لَقَد كانَ في قَوْسَين من تَجَليات الوَلَع وتَصَاعُد الإنسِحارِ بالآخَرِ ، وهَذا من طَبيعَة الشُعَراءِ في الأصلِ ، تَضَاعَفَ الأمرُ هنا لحدُوث العشق ، ويَشِي الشعرُ بما نَعني ونَذهَبُ . وقَد جَرَّينا في أخبَارنا عَلى ما يَرُوقُ هَوانَا ويَشحَذ خَيالَنا بَشَطحه ، ومَايَستَقيمُ ويَسلُكُ في وَصْله بَينَ النَّصِّ والخَبَر . فَحينَ يَصدُرُ القَوْلُ عَن مَعنى جُنونِ الفُؤاد أخَذنا به وقَبلناهُ وزدنَا عَليه وبالَغناهُ ، وعندَما يَنزعُ القَوْلُ إلى أنَّ قَيساً كانَ مَجنُوناً عَقله عَرَضْنا عَنه وغَفَلناه . عَسَى أن يَطيبَ هذا مَعَنا لصنفَين من النَاس ، الشُعَرَاء والعُشّاقْ ، وفي جميعِنا قَدْرٌ من هذَين .

تقية الجنون

(لَم يَكُن مَجنُوناً إنَّما كانَت بِه لَوثةٌ)

يَا الله ، يُرِيدُنا الأصمَعِيّ أن نَعتَبِرَ اللوثَةَ أمراً غَيرَ مَسِّ الجُنون ، هَل تَفيضُ الألفَاظُ بغَيْرِ مَا يَصُبُّهُ دَوْرَقُ القَواميس ، هَل الإرثُ مَعنىً آخرُ غير تَركَةِ الكَلام الأوّل؟ وهَل حَكَمَتْ المتُونَ والهَوامِشَ إلاّ شَرُوحُهُم؟ هَل الجُنونُ نَحنُ وَهُم اللوثَةُ؟ هَل نَحنُ الأقداحُ وَهُم الأبَاريقُ؟ أيُنا الخَمرةُ وأيُّنَا التَرَنُّحُ ؟ لَقَد استَطابَ الجُنونَ ستراً لما لا يُدركُهُ الآخَرُون ، ليَسلُكَ ما يُريدُ من غَير أن يَمنَعَهُ عَقلُ الناسِ . شَاغلُهُ أن تُدركَ لَيلى ، وقَد أدركَتْ ، إنَّمَا الجنُونُ تُقْيةٌ يَتَدَرّعَانِ بها لأجْلِ الخلوَة ، لأجْلِ سر يَستَرقانه وشِعرٍ يَلبَثانِ فيه . ذَهَابٌ غَامضٌ يَسمتُ كَيانَ قَيس ويَمنَحُ لَيلى تَكْوينَهَا (فَقَد جُنَّ من وَجدي بِلَيلى جُنونُها) هِيَ التِي أسَرَّتْ لقَيس (أنَّ الذي لَكَ عِندي أكْثَرُ منَ الذي لِيَ عِنْدَك) هَل الذي عِندَها نَحسَبُهُ ضَرباً منَ الجُنونِ بوَصْفه عِشْقاً ، أو هُو ضَربٌ من العِشقِ بوصْفه جُنُوناً؟ وعَهدُنا أنَّ الجنُونَ لا يَقُولُ ذلك عَن نَفسه ، إلا إذا كانَ فِي حالِ جَبهِ النَفي بِغَرَضِ الإثبات .

الطريق الملكية

مَجنون هُوَ إذا كانَ ذلكَ يَكْفيه شرّهُم . لَكِنَّهُ لم يَكُن كَافاً ولا كَافياً . فَقَد كَانَ العُنفُ أكبَرَ من ذلك . حُجِبَت عَنهُ وأُكرِهَتْ على زَواج عاطِل . حُبِس وعُسِفَ به وطُورِدَ مَهدُورَ الدَم . وصَارَ الجُنونُ مَلْجَأ العَقلِ عَمَّا يَصِفُون . وأكثَرُ الظَنِّ أنَّ قَيساً أسهَمَ في شُيوعِ جنُونه في غيرِ مَوْضع . والذينَ أرادُوا سَخَطَهُ بالجُنونِ نَقَلوا عن الكَلْبِيِّ مُحتَجاً بِشِعرٍ فيه لَمْحٌ إلى رَدٍّ على قَضاءِ الله .

نَقَلَ الأصفهاني خَبَراً مَنقوصاً فَزِدْنَاهُ ، عَن رَجُلٍ من نَجْد يَقْصدُ الشامَ فَغَسَلَه مَطَرُ اللَيلِ ذاتَ صَحْراء ، وصَادَفَ خَيمَةً لَجَأ إليها ، فَاستَقْبَلَهُ رِجالٌ يَرْعونَ القَافِلَة ، بَينَهُم امرأةٌ تَقَدَّمَ بها العُمْرُ دُونَ أن يَطالَ حُسْنَها ، كأنَّها تُمْسِكُ بِجَمَالٍ لا يَذْهَبُ به الوَقْتُ . سَأَلْتُه عَن بَني عامِرٍ في نَجْد (أتَعْرِفُ رَجُلاً فيهِم يُقالُ لَهُ قَيس ويُلَقَّبُ بالمَجنون) قَالَ : (سِرْتُ مَعَ شَخْصٍ رَافَقَهُ فِي شَبَابِه حَتَى أوقَفَني عَلَى مَوقعٍ في التَوبَادِ أَخْبَرَني

عَن أَبِيـه أَنَّ قَيساً كَانَ يَأنَس الوَحْشَ فيه ولا يَبُوحُ و لا يَصْحُو من الهَوَى إلا إذا ذُكِرَتْ لَيلى) فبَكَتْ المَرأةُ حَتَّى خَشيْتُ عَلَيْها . فَقُلتُ (لِمَ تَبْكِين؟) قَالَتْ : (أنَا لَيلى التي قالَ فيها قَيسٌ شِعْراً عَلَّمَ العَرَبَ العِشقَ) . قُلتُ؟ (والجُنونُ؟) قَالَتْ : (لَمْ يَكُنْ الجُنونُ قط ، وإنَّمَا تَمَارَيتُ فيه عَنِ القَبِيلَة وتَمَاهَى به عَنِ السُلطان . جُنُونٌ كَانَ سُندُسَ طَرِيقنَا المَلَكِيـة إلى الفَرَادِيس . فَمَاذا يَفعَلُ القَومُ بِنَا ونَحنُ خَارجَ المَعْنى ، نَتَلابَسُ مِثْلَ النَصلِ والغِمْد . بِمعْزِل عَنِ الزَلّة والخَلَّة . صَوابُهُم يَعْقِلُ مَكبُوتَ النَفْسِ وجُنونُنا يُطْلِقُ مَكتُوبَ القَلبْ . فَمِنَ النَص يَتَبَخَّرُ عَسَلُ الغِبْطَة كَوَردَة الجَسَد في اللَذَّة ، فَمَا يضيرُ أنْ يُقالَ لَكَ مَجْنونٌ وأنتَ في حُرِّيَة الروح . جُنِنْتُ به أكثَرَ ممَّا فَعَلَ ولكنهُم لا يَعقلُون . إنّه والله أعقَل مَن رَأيتُ وأبهَى مَن اشتَمَلَتْ عَليه إنسيَّةٌ عَلى الأرْضِ أو جِنيَّةٌ تَحتَها . فَمَن يَقولُ شِعْراً كَهذا لا يَكونُ والله إلا مَجنُونَ الفُؤاد ، لكِنَّهُم ذَهَبُوا إلى أبعَد من ذلكَ ، وقَد لَذّ لَنا وأطابَ مَلقانا مَا ذَهَبُوا وخَدَهُم يَعمَهُون) . سَأَلْتُها : (ألا تَزالِينَ عَلَى ذَلكَ الحُب؟) قَالَتْ : (كَأنهُ الآنَ ، فَإنَّني لَمْ أُصادفْ مَن يَعشَقُ مِثلَهُ ولا مَن يُدفِئُ جَسَدي بِالشعْرِ مِثْلَمَا كانَ يَفْعَل) . قُلْتُ : (والشَّهْوةُ؟)
قَالَت : (الشَّهْوةُ مَوجودَةٌ ، لَكِنَّ الآلَةُ مَعْطُوبة) .

قنديل
يهدي العشيق ويضلل غيره

لَقَد شُبِّهَ لَهُم ، فَثَمَّةَ بَينَ جُنونِ العَقْلِ وجُنونِ الفُؤاد شَسعٌ يَسَعُ الشِعْرَ كُلَّهُ والعِشقَ جَميعَهُ . عَقلٌ يَغلِبُ الذَهبَ ، طَارَ يُبَشِّرُ بِجُنونه المفؤُودينَ في هَواءِ الجَزيرةِ ، يبْعَثُ غَلَظَةَ الأكْبَادِ ويُوقظُ غَفْلَةَ الأفْئِدةِ ، يُغَرِّرُ بِالصَبَايا كَيْ يَكشِفْنَ قُمصَانَهُنَّ لِفتْيانٍ كَادَ الحُب يَفتِكُ بِهِمْ وهُم يَتَدَافَعُونَ بِالمَنَاكِبِ مُولَعِينَ في تَهْلكَةٍ بِلا رَيبٍ ولا هَوادَة ، يَفْتِنُ النسَاءَ عَلى أَزواجِهِنَّ ويَنتَصِرُ لِشَرِيعَةِ العِشْقِ ، فَيُصَابُ النَاسُ بِالغِبْطَة لِزَفيرٍ يصدُرُ كَبُخَارٍ مِن وَرَاءِ كُلِّ سَاتِرٍ لِيَمْلأَ اللَيل ، جُنَّ القَومُ وأَخَذَ كُلُّ عاشِقٍ يَقُدُّ قَميصَ امرأته مِنْ كُلِّ جانبٍ ورَاحَت كُلُّ امرأة تَقُودُ النَخْبَ نَحوَ فَجِّها العَميقِ مُؤَرجحَةً قِنْديلاً مِنَ الزَبَرْجَد يَهدِي العَشِيقَ وَيُضَلِّلُ غَيرَه . فَلَم يَكُن الجُنونُ . كانَت امْرأَةٌ اسمُها لَيلى ، قيلَ إِنَّها جَميعُ النِّسَاءِ وقيلَ عَنها مَلكَةٌ من الجِنِّ تَراءَت لِشَخصٍ أَعْطَتهُ فَأَخَذَها . ثُمَّ رَاحَ يَتَقَمَّصُ القَاطِنَ والمُسَافِرَ ، ويَفْضَحُ كُلُّ جَبَانٍ يُخْفِي عشقَهُ عَنِ امرَأتِهِ ، وكُلُّ خَاشِيَةٍ تَكتُمُ وَلَعَها بِغَيرِ زَوجِها . صَارَ قَيسٌ فَضيحَةً

المكان ، فَطارَ دَمُهُ فِي الأمصَارِ مَهدُوراً تَسْعَى إليه السُيوفُ لتَفْتِكَ بِه ،
وَمَا أَنَ تُدرِكَهُ حتّى تَتَضَرّعَ لَهُ لِئلا يَكُفَّ عَن ذلكَ ، فَلا يَكُفَّ .

الفتنة

رَوى أَبو الفَرَج الأصفهاني في أغانيه وهُو أَغزَرُ مَن نَقَلَ أخبارَ المجنُون ،
وأكثَرُهُم نَسْجاً ونَقْضاً ، كُلَّ مَا يَشْكُلُ عَلَى مَن يَسعى لِخَبَرٍ كامِلٍ
وحَدَث تامٍّ ونَصٍّ غَير مُضْطَرِبٍ ومَوْقف يَحُوطُهُ اليَقِينُ ،
وفِي هذا دالَّةٌ على أنَّ الرِوَايَةَ لَمْ تَكُن تَذْهَبُ إلى
الخَبَرِ لَكِنْ إلى النَّصّ ، وأنَّ الحَقِيقَةَ فِي
هَذا المَوْقف لَيْسَتْ بِشَيء ،
فَالرُواةُ يَعْبَثُونَ بِالسِّيرَةِ ،
و الأَخْبَارُ تَلْهُو بِنَا ،
ويَفْتِنُنا الشِعْرُ .

إليها من كل مذهب

رُوِيَ عَن نَاسٍ نَزَلُوا البيمَارستَانات ، حَكَوا أنَّ قَيساً أُنزِلَ مَعَهم زَمَناً ، وكانَ أَرجَحَهُم عَقلاً وأَصْفَاهُم حُجَّةً فِي حَضرةِ النَطّاسين . قَالُوا عَن سِرٍ أفشَاهُ لَهُم واستَحلَفَهُم أَن لا يَبوحُوا بِهِ قَبلَ مَوته . فَقَد وَجَدَ فِي ثَوبِ الجُنُونِ أجْمَلَ الحُلَلِ وأنجَاهَا لِكَي يَظفرَ بِلَيلى ، وأنَّ خَبَرَ الجُنونِ الذي شَاعَ عَنهُ اختَلَقَتْهُ القِصَّةُ الأولى لِتَمويهِ شِعْرٍ هَازِلٍ قَالَهُ فِي المَهدي والدِ لَيلى في الصِبَا . قَالَ : (اشتَكانِي عِندَ مَروانَ بن الحَكَم ، فَلَفَّقَ لِي القِصَّةَ شَخصٌ يَشتَغِلُ فِي الأدَبِ يُقَالُ لَهُ الأصمَعِيّ وَراوَقَ فِيها فَأَسْعَفَنِي مِن عِقَابِ السُلطَان . لكِنَّ المَهدِي لَمْ يَغفِرْ لِي ذلكَ . وكانَ الأصمَعِيُّ عِندَمَا سُئِلَ عَن خَبَرِي نفَى جُنونِي بِصيغَةٍ تَنطَوِي عَلى تَأكِيدٍ نَاجِزٍ ، فَأَحسَنَ إشَاعَتَهُ إلى يَومِنَا هَذا . وظَنِّي أنَّ جُلَّ مَن جَاءَ مِن رُواةِ الأخبَارِ بَعدَهُ لَم يَقبَلْ خَبَرَ الجُنونِ من دُونِ الأخبَارِ كُلِّها وشَهادةُ الشِعْرِ بَينَ يَدَيه . ولكنَّهُم وَجَدُوا فِي الجُنُونِ طَبِيعَةً تُخفِي أكثَرَ مِمَّا تُفصِح . وعِندَهُم كُلَّمَا غَمُضَت الأخبَارُ زادَ شُيُوعُها وانسِحَارُ النَاسِ

بها ، وَيَقِينِي أنَّ الأصفهاني نَفْسَهُ قَد استَوثَقَ فِي الأغَانِي مِن بُطلانِ خَبَرِ الجُنُونِ ولكنَّه أبطَنَ ذلكَ لِئَلا يَستَهِينَ اللاحِقُونَ بِمَا وَضَعَهُ مِن تَصَانيف) . ولَم يَلتَفِتْ الرُّواةُ لِلتّثبُتِ مِن كَلام أَهلِ البيمارستانات ، حَتى جَاءَ شَيخٌ غامِضُ الزمَانِ مَجهُولُ المَكان يُقالُ لَهُ عبدُالرحمن صَاحِبُ المُلوك ، واسْتَوثَقَ مِنَ الأمر .

أخبَرَنا طَيّبُ العُودِ عَن ذَبِيح الجُند قَالَ : حَدَثَني صَاحِبُ المُلوكِ قَالَ : كَانَ الرُّواةُ ، مِن حَيثُ لا يُدرِكُون ، يَنْقُضُونَ مَا يَنسجُونَهُ مِن أَخبَارِ قَيس بِمَا يَنقُلونَهُ مِن أَشعَارِه . فَهَذا شِعْرٌ لا يَصدُرُ عَن عَقل فَارِطٍ ، بَل يَنِمّ على سَليقَة صَافيَة وذِهْن مُتَيَقظ وذائقَة مُتَرَقيَة ويَشِفُّ عَنْ مخَيلَة غَايَة في الجَمَالِ والطَرافَة ، فَلَيْسَ فِي النَّصِّ اختِلاطٌ ولا هُلاسٌ مِمّا يَطْبَعُ سُلوكَ فَارِطِي العَقْلِ . وهَذا مَا يُرَجّحُ أنَّ الجُنونَ الذي نُسِبَ إلى قَيس رُبّمَا كانَ ضَرباً مِن مِيزَانٍ تَضْطَرِبُ فِيه الصِلَةُ بَينَ أَخبارٍ مُتَناقِضَة تُعْرِضُ عَنها بَديهَةُ النَاسِ ، وتَصْوِير واضِح صَقيلٍ يَستَحْوذُ عَلَى خَيالِهِم بِشعْرٍ يَفْتنُهم . وسَوفَ يَزْدادُ الخَبَرُ خَلَلاً ويُتَهاوَى ويَسقُطُ عِنْدَمَا نَتَأمّلُ نَقِيضَةً تَظهَرُ لَنا بَينَ القَوْلِ بِهَدرِ دَم قَيسٍ وبَينَ خَبَرِ الجُنونِ هذا ، فَالمَعلومُ أنَّ هَدْرَ الدَم لا يَجرِي إلا عَلى الأسوِيَاء الخَارِجِينَ عَنِ العُرف مِنَ المُجرِمِين وقُطّاعِ الطُرُقِ الذينَ هُم فِي الأغْلَبِ شَارِدونَ مُطَارَدونَ يَطلُبُهُم القَانونُ ويَسْعَى إلَيْهِم صَاحِبُ الثَأرِ وصَائِدُ الجَوائز ، فَكَيفَ يَصِحُّ أن يَكونَ قَيسٌ مَهدُورَ الدَمِ وهُو فِي حَالٍ لا تُؤهِلُهُ لِوَعيِ مَا يَفْعَلُ وتَحَمُّله . وظَنّي أنَّ الأسْطُورَةَ التي أرَادَ الرُّواةُ إنفاذَها فِي قَصَصِ العَرَبِ عَن قَيس لَم تَلْبَثْ أنْ خَرَجَت عَن سَطوَتِهم واتّخَذَتْ مِنَ المَسَارَاتِ مَا لَم يَكُن في الحِسْبَانِ ، لِيُصبِحَ قَيسٌ حُراً بِجُنونِه ، لَيسَ مِن سَطوَةِ السُلْطَانِ

والقَبِيلَةِ وحَسْبُ ، ولَكِنْ خُصوصاً مِن الحُدودِ التي اخْتَلَقَها لَهُ الرُّواةُ . وإِنَّنا نَرَاهُ مَايَزالُ يُمْعِنُ في هَذا الخُرُوجِ والتَّفَلُّتِ .

وإذا كَانَ قَيسٌ يَنْشُزُ فِي سُلوكِه ويُوحِشُ ويَبدُو عَلَى شَيءٍ مِن الغَرَابَةِ ، فَهَذَا مِن طَبِيعَةِ الشُعَراءِ والعُشاق ، فَيُقْبَلُ مِنهُم بِاعْتِبَارِهِم يَتْبَعُونَ ما تُمْليهِ عَلَيهِم مُخَيِّلَتُهُم فَيَشْطَحُونَ ويَذْهَبُونَ إلى الفِتْنَةِ كلَّ مَذْهَب .

الحب أبواب

الحبُّ أبوابٌ ، عَبَرَها قَيسٌ كُلُّها ، ونَحْنُ فِي العَتَبَةْ .
بابُ المَوَدّة : قَميصُكَ الأثيرُ كُلَّمَا تَهَيَّأْتَ للعيد . فَروُ الهَواءِ يَلْثُمُكَ فَتَأْلَف . كَأنَّها الطُفُولَةُ عَن كَثَبٍ . تَشخَصُ إليهِ كُلَّما لَمَحْت ظِلّهُ ، وتَأنس .

بابُ الشَوق : يَلجُ بِكَ مَوْجَ اللَيلِ مِثْلَ قَاربٍ غَريب . تُحْسنُ العَوْمَ فَتَغْرَق . شُغْلٌ عَنْ السِوَى . وَحْدَهُ لَكَ . وَرْدَةُ الجَمْرِ تَزْدَهِرُ كُلَّما هَبّتْ الرِيحُ .

بابُ الوَلَعْ : زَفيرُ الجَنَّة . وَقْتٌ مِنَ السِحْرِ في الرُوحِ . لَيْسَ إلاّ هُوَ . نَوْمٌ مُهَلْهَلٌ وَحُلمٌ نِصفُ مَوْجُود . تَطيرُ في الريشِ والجَنَاحِ ولا تَهْجَع .

بـابُ الهُيـام : يُمْضُكَ فَتَصفُو مِثْلَ نَيلَجٍ وَتَشِفُّ . عَقْلٌ رَقيقٌ

وَجُنُونٌ شَاهِق . وَحدَكَ لَهُ . تَتَذَكَّرُ وتَنْسَى ولا تَعُود . تَترَفُ في بَهجَةِ الحَواس .

بابُ الشَّـهْـوة : عُـرْسُ أخْـلاط . هَلَعٌ فِي العَناصِـرِ . جَـحـيمٌ وجَنَّةٌ ومابَيْنَهُما . وَحْدَكُما . تَخْتَلجُ فِي الغِيَابِ والحَضْرَةِ . داءٌ بِلا دَوَاءْ . كُلُّه ولا يَكْفي .

المشبوقة

رُوِيَ عَن أَبي أَنمار إبراهيمَ بن عبدالله أَنَّهُ وَقَعَ عَلى أَبْيات لِقَيس عَدَّها وَصْفاً صَريحاً بَائحاً لكُنْه تلكَ العلاقَة الحَميمَة ، حَتَى إنَّ أَبا أنمار الذي عُرِفَ بِذائقَة رَهيفَة في قِراءَة ذَلكَ الشعر بوَهج الشَهوَة وسَبْرِه بِمثقال القَلب ، اعتَبَرَ هذه الأَبْيَات من الأَجمَل ممّا صُوِّرَ في الحُبّ

(فإنْ كانَ فيكُمْ بَعلُ لَيلى فإنَّني
وَذي العَرْشِ قَد قَبَلتُ فاها ثمانيا
وأشْـهَـدُ عندَ الله أني رأيتُـهـا
وعشرونَ منها إصبَعاً من ورائيا)

وأَسْهَبَ أبو أنمار عَلى غَيـرِ عَـادَته قَـال : (وَمـا عَلَينا إلا أَنْ نَتَخَيَّلَ العِشْرينَ إصْبَعاً مِن لَيلى مُشْتَبِكَةً في ظَهرِ قَيس وهيِ مُتَعَلِّقَةٌ به قُبُلاً في حَضنِها ، لِنُدرِكَ أَنَّهُما ما كانا يُزْجِيانَ الوَقتَ في البُكاء والعَويلِ كُلَّمَا سَنَحَت الفُرصَة ، مِثلَما تُحاوِلُ الرواياتُ المُتَواتِرَة أنْ تَزعُمَ لَنا) .

استَنكَرَ بَعْضُهُم الذَهَابَ إلى هَذَا المَعنَى ، واعتَبَرُوهُ مَساً بالمحرَّم وتباعُداً عَمَّا يَشيعُ فِي شِعْرِ المَجْنُون . وحينَ كان يُقالُ لَهُم : (ومَا المَقْصُودُ بالمحَرَّم يا سَادَة؟) يَحْتَجُونَ بِمَا ذَكَرَهُ ابنُ الجَوْزِيَّة فِي أَخبَارِه عَن النساء ، حَيثُ (زَعَمَ بَعضُهُم أنَّ للعَشيقِ مِنْ جَسَدِ العَشيقَة نصفَها الأَعلَى مِن سُرَّتها فَمَا فَوق يَنَالُ منهُ مَا يَشَاءُ مِن ضَمٍّ وتَقبِيلٍ ورَشْف ، عَلى أَن يَكُونَ النصفُ الأخَرُ للزَّوْج) وهذا ممَّا تَعارَفَ عَلَيه عَرَبٌ سَبَقُوا الإسْلام .
وقيلَ إنَّ جَارَات لِلَيلَى حَلَّفنَها أن تَقُولَ لَهُنَّ عَن شَأنها مَعَ قَيس ، ومَا إذا كَانَ يَقفُ عِندَ النصْف ، فَقالَتْ لَهُنَّ : (أَلَمْ تُسَمِّينَهُ المجنون؟ إنَّكُنَّ لا تَعرِفْنَ العُشرَ مِمَّا خَبَرتُه ، إلا إذا كانَ ثَمَّةَ مَجَانينَ آخَرونَ عَلى شَاكلَته) .
واستَزَدنَها فَزادَتْ : (فِي تِلكَ السَاعَة تَفْلتُ الأَزِمَّةُ والأَعِنَّةُ ولا تَكُونُ القِيَادَةُ مَحْصُورَةً في واحِدٍ ولا يَقدرُ علَيها اثْنَانِ ولا يَعُودُ للحُدود مَعنىً فَالغَيمُ نَازِلٌ يَمسَحُ العَلامَاتِ والملامحَ ولا يُسعفُ البَصَرُ ولا البَصيرَةُ وتَبدأُ حَواسّ لا حَصرَ لَها فِي الشُغُلِ حَيثُ لا نَكادُ نَعرِفُ هَل نَحنُ فِي حُلُم أمْ أنّنا الحُلمُ الخالصُ والذينَ وَضَعُوا إسْطرْلاباً لِوَقت الحُب وشَكْله فَاتَهُم أن يُفصِحُوا لَنا أَيَّ النصْفَين يَكُونُ حَلالاً مُبَاحاً للحَبيبَة فِي جَسَد الحَبيب فَفِي تلكَ السَاعَة لا نَعرِفُ أيُّنا يُشْعِلُ جَسَدَ الآخَرِ وأيُّنا يُطْفِئهُ ، أيُّنا الجَمرُ وأيُّنا الهَواء .

كلام بن وحش

يُرْوى أَنَّ قَيساً كانَ يَختَلِفُ إلى فَقيه يُقَالُ لَهُ (كَلامُ بنُ وَحْش) ، يَسْتَفتيه في مَا يَأخُذُ النَاسُ عَليه . فَعِندَما كَثُرَت الأقَاوِيلُ عَن صِلَتِه بِليلى ، وَقَفَ عَلى (كَلام) ،
واسْتَفتاهُ في مَا يَزعمُونَ بِأنَّ علاقَتَهُما ضَرْبٌ منَ الزنَى ، فَقَالَ لَهُ (الزِنَى هُو بَذلُ جَسَدكَ لِمَن لا تُحِب ، أَمَّا إذا العِشْقُ حَصَل والشَوْقُ اتصَل فَلا زنَى فيمَا قَدَّرَ اللهُ) .
وقِيلَ إنَّ (كَلامًا) مَالَ عَلى قَيسٍ وأسَرَّ لَهُ : (يَا بُنَيَّ ، إعشَقْ ما تَيَسَّرَ لَكَ وتَمَتَّعْ بِمَا تَسَنَّى ولا تُطفِئ جَذْوَةَ العِشقِ بِالعُرسِ مَا استَطَعت) .
قِيلَ فَلَم يَفعَل المجنونُ غَيرَ ذلِك .

الضحك

رُويَ عن شَيخ يُدْعَى عَبدَالقَدير بنَ صَالح بنَ عَقيل وهُوَ مُولَعٌ باستنشاءِ أَخبَارِ مَن جُنُّوا عِشقاً أَنَّهُ قَالَ : أَخبَرَني عَبدُالحَميد قَائدُ التَراجِم وهُو غَيرُ ذِي ثِقَة عن شيخنا أبي صَلاح خَلَف الغَسّانيّ أنَّهُ قَالَ : عَنَ أَبي أَنْمار إبْراهيم بنِ عَبدالله نَزيلِ البيمارسْتَان ، حَدّث قَالَ : عَنْ شَخص لَم يُفْصِحْ لَنا عَن اسْمِه فَلَم نَهتَمّ ، قَالَ : (صَدَفَ أَن مَرَرتُ عَلى مَوقع بَينَ خِيام قَيس ونَخلِ لأهلِ لَيلى ، وكُنتُ في لَيل منَ الصَيف ، فَإذاً بِي أَسمَعُ ضَحكاً عَلى مَبعَدَة ، وكُنتُ كُلَّما حَثَثْتُ سَيرِيَ اتَّضَحَ الضَحِكُ وخَالَطَهُ نَشيجٌ يَستَوقفُ السَامعَ . وحِينَ قَارَبتُ المَورد شَفَّ في الضَحك مُجُونٌ . فَمَا أدركتُ المَكانَ حَتَى رَأَيتُ أَنَّ الضَاحكَ هُوَ قَيسٌ بنُ المُلوّح من بَني عَامر ، وكَانَ وَحدَهُ جَالساً عَلى الأرض وهُوَ يَغرَقُ في قَهقَهات مُتَواصلَة مَا إن تَنتَهي دَفقَةٌ وَيَستَرِد أَنفَاسَهُ نَاشجاً شَاهقاً لابِطاً بِذراعَيه وساقَيه في الرَملِ حَتى تَتَخطَّفهُ انْدفَاقَةٌ أُخرَى . فَلَم أُصَدِّقِ النَظَرَ لِوَهلَة ، فَلَيسَ قَيسٌ الذي يَفعَلُ ذَلك ، وهُو الذي لَم نَرَهُ مُبتَسِماً

قطّ . فدَنَوتُ منهُ أُحدِّقُ فيه وهُوَ عَنّيَ مَشغُول ، وكُلّما هَدأَ لَحظَةً بَدَا كَمَن يَتأمَّلُ شَيئاً فِي ذَهنه سرعانَ مَاتجتَاحُه نَوبَةٌ جَديدَةٌ منَ الضَحك الماجنِ المُجَلْجِلِ الذي جَعَلَهُ لا يَعبَأُ بِمَا حَولَه . فَشَكَكتُ أَنَّ مَجنُونَ بَنِي عَامِرٍ قَد جُنَّ ، ثُمَّ استَدرَكت : (لكنْ كَيْفَ ذلك ، فَهُوَ مَجْنونٌ في الأَصْل؟) ومَكَثتُ بُرهَةً أتَثَبتُ مِن أمري لِئَلا أكُونَ فِي ضِغْثِ الأحلام أو خَيالات الدُرُوبِ المُوحِشَة ، إلا أنَّ قَيساً لَم يَملك مَا أطلُبُ . (أَجِبْنِي يَا رَجُل ، هَل أنتَ قَيسُ بنُ الملوح صَاحِبُ لَيلى العَامِرِيّة؟) فَشَرقَ بِنَوبَةِ ضَحك تَغرغَرَ بِها وهُوَ يَتَأرجَحُ ويَتَطَوَّحُ عَلى الرَملِ مُحَاولاً إدرَاكَ نَفسه مُلتَفِتاً إليَّ بِغَيرِ همَّة : (عَسَى أَن أكُونَ كَذلكَ واللهُ أعلَم) ولَم يُكمِلْ لأنَّ نَوبَةً جَديدَةً قَد خَطَفَتْهُ من نَفسه فَهَبَّ عَلى قَدَمَيه مُبتَعداً وضَحِكَاتُهُ نَوَاقِيس تُصَدِّعُ اللَيل ولم يَكتَرِث بِسُؤالي لَهُ عَمّا يَدْفَعهُ لكُل هذا الضَحك . فَتَركَني فِي ذُهُول مَن لا يُصَدِّقُ مَا يَراهُ رَأيَ العَين ، فَأمسَكتُ بِأطرافِي ورَكَضتُ دَاعِياً الخِيامَ (قُومُوا انظُرُوا مَا حَلَّ بِقَيس منَ العَجَب ، فَقَد ضَحك) .

قَالَ : فَلَم يَصدِّقْنِي أَحَدٌ . وتَجَمَّعُوا حَولِيَ يَهرُجُونَ ، وفِيمَا كُنتُ أُقسِمُ لَهُم بِالغَلِيظ عَلى مَارَأَيتُه ، إذا بِأصداء الضَحِكاتِ ذاتِها تَتَناهَى إلى الجَمع ، واقتَرَبَ الشَخصُ فَإذا هو قَيسُ بن الملوَح ما غَيرُه . فَأحاطُوا به يَستَفصِحُونَ حالَهُ وهو في الشطح (والله لا أعرِفُ كَيفَ أنّنِي لَم أفعَلْ هذا عَلى هذا مِن قَبلُ وَمَا يَحدُثُ يَحدُثُ مُنذُ أن تَوَلّعتُ بِها وتَدَلّهْتُ ، ياألله ياألله أَدِمْ هذا عَلى هذا إلى يَوم الدين)

ثُمّ ابتَعَدَ دُونَ أن يَنْجَلِي أمرُه . واختَلَفَ الرُواةُ فِي تَفسِير ذلكَ . رَوَى أَحَدُهُم أنّه جَلَسَ إلى المجنُونِ فِي غَفلَةٍ من غَفلاته وعَرفَ منهُ سَبَبَ الواقِعَةِ ، وهو أنَّ قَيساً كانَ يَسهَرُ مَعَ لَيلَى في خِبَائِها ، وبَعدَ أن فَرَغَا

خَرَجَ مُتَوَجّهاً إلى قَومِهِ فِي الجِهَةِ الأخرى مِنَ الوادي ، وما أن دَخَلَ خَيمَتَهُ حَتى رَأى مَا أذهَلَهُ ، فَقَد كانَت لَيلى جَالِسَةً عَلى بِسَاطِه .
قَالَ : (فَخَرجْتُ عَائداً مِثلَ المجنُونِ إلى خِبَاءِ لَيلى واقتَحَمْتُه مِثلَ الإعصَارِ لِكَي أتَيَقَّنَ مِمَّا رَأيتُ هُناكَ ويَا عجبَ مَا رَأيْتُ فَقَدْ كانَت لَيلى هُنا فِي خِبائِها لَم تَزَلْ تُصلحُ مِن شَأنِها بَعدَ خلوَتِنا وقَفَلتُ بِلا إبطاء عائداً إلى خيمتي وإذا لَيلى هُناك أيضاً وعُدتُ رَاجعاً إلى خِبَاءِ لَيلى فَإذا هِيَ هُنا وعُدتُ إلى خيمتي فَإذا لَيلى هُناك ولَم أزَل عَلى هذا الحَالِ من هُنا إلى هُناكَ أكثَرَ مِن تِسعِ مَرّاتٍ ولَيلى فِي المكانَين حَتى أوشَكْتُ أن أختَبِلَ بَينَ مُصَدِّق مَارَأيتُ وبَينَ مُكذِّبٍ مَا تَمَنَيْتُ واحتَرتُ مَا أحسَبُ هذا الذي أراهُ فَما وَجَدتُ نَفسِي إلا وأنَا أستَغرِقُ فِي حَالٍ لَم أصَادفهُ من قَبل فَقَد تَفجّرَت الأجراسُ مِن أشْداقي كعَين ماءٍ مَكسُورَةِ الخَتمِ تَوّاً وَوَعَيْتُ بَعدَ حِينٍ عَلَى صَوتٍ آدَميٍّ يَسألُ : (لماذا تَضحَكُ؟) وعَرفْتُ سَاعَتَها أنها الحَالُ التي انتابَتنِي ولَم يَنقُلْها الرُواةُ عَنّي فِي مُجْمَلِ أخبَارِهِم . ولا أُخفِيْكَ فَقَد كانَ وُقُوعِي فِي الضَحك أجمَلَ شَيءٍ أحبَبتُهُ بَعدَ عشقِي لِلَيلى . قِيلَ ، فَلَمّا سَمِعَ رُواةُ أخبَارِ المجنُونِ خَبَرَ الضَحكِ أنكَرُوهُ ، وحُجّتُهُم فِي ذلكَ أنَّ صُورَةَ قَيسٍ فِي الأخبَارِ جَميعِها واحِدَةٌ لا تَتَغَيّرُ ولَيسَ لَها أن تَتَغَيّر ، فَالعشْقُ الذي أصَابَ قَيساً لا يُتِيحُ لِمثلهُ أن يَعرفَ الابتِسَامَ ، فَكَيفَ لَهُ أن يَضحَكَ ويُقَهقِهَ ويَمجُنَ هَكَذا . وأوشَكَ هؤُلاءُ أن يَعتَبِرُوا تلكَ الحادثَةَ دَسّاً في سِيرَةِ المَجنُونِ وخَدشاً لِصورَتِه الرَزينَةِ الكَئيبَةِ التي عَرَفَهُ بِها النَاسُ .
وأجْمَعَ الرُواةُ المُقلِّدونَ ومَعَهُم المُقلِّدونَ عَلى أنَّ القَولَ بِوُقُوعِ قَيسٍ فِي الضَحك ضَربٌ مِنَ الخِفَّةِ والتَخليط ، وإذا كَانَ أبوأغمار هذَا قَد زَعمَ الواقِعَةَ ، فَإنَّ نُزُوله البِيمارستان يُفَسّرُ لَنا مَا يَهرِفُ بِهِ . أمّا نَحنُ فَقَد

وَجَدْنَا في رِوايَاتِ هذه الكَوْكَبةِ شَيئاً نَثقُ فيه دُونَ تَلَبُّث، بِرُغم غَلَبَة الشَّك فيه حَدَّ الكَذِب، تَيَمُّنًا بِما قالَ قيسٌ ذاتَ شِعر: (إذ بَعْضُ المُحبين يَكْذُبُ) فَفي هذِه الكَوكَبَةِ مِن النَّصِّ أكثَرُ مِمّا فيها مِنَ الخَبَر.

الحجة

قيلَ لَهُ يا قَيس أفق فَقَد أفاقَ العَاشِقُونَ (لَكنَّه لم يَفعَلْ) وسَكَنَت نَارُ قُلُوبِهم (لَكنَّه لَم يَفعَلْ) وهَدأَ جَزَعُ المُحِبّينَ (لَكنَّه لَم يَفعَلْ) وأَوشَكَ مَن انشَغَلَ بِالنساءِ عَلى السَّأم (لَكنَّه لَم يَفْعَلْ) ورَجعَ الذِينَ أفْرَطُوا في الوَلَع (لَكنَّه لَم يَفعَلْ) وسَلا المُتَيَّمُونَ (لَكنَّه لَم يَفعَلْ) وانثَنى المُوغِلُونَ في غَيِّهِم (لَكنَّه لَم يَفعَلْ) وتَابَ المُخْطِئُونَ (لَكنَّه لَم يَفعَلْ) ، وحَسَناً فعَل ، فَلَو فَعَلَ شَيئاً مِن ذلِكَ لَم يَبقَ لَنا عُذرٌ نَحتَجُّ بِهِ عَلى مَن يَلُومُنا فيمَا نَحنُ فيهِ!

قنديل الشك

وقيلَ لِرَجُلٍ مِن بَني عَامِر : (هَل تَعرِفُونَ فِيكُم المجنُونَ الذي قَتَلَهُ العِشقُ؟) فَقالَ : (هذا بَاطِلٌ ، إنَما يَقتُلُ العِشقُ ضِعَافَ القُلوب وإذا صَحَّ أنَّ قَيساً قَد قَضى قَتيلاً فَلَيسَ الحُبُّ هُو الذي فَعَلَ ، فَثَمَّةَ مَن فَعَلَ ذلكَ) واستنكارُ العَامِرِيِّ هذا هُو قنديلُنَا في شَكٍّ يُخالِطُ أَفئِدَتَنا ، فَمَا تَعَرَّضَ لَهُ قَيسٌ هو عَسْفٌ بَيِّنٌ يُؤدِّي إلى القَتلِ العَمد ، فقَد كانَ قَيس مَرصُوداً مِن كُلِّ فَجٍّ ، ولَهُ مِنَ الأعداء ما يَكفُونَهُ عَن انتِظَار قَضَاء الله طَويلاً . ورَوى صَاحِبُ الأغانِي أنَّ لِقَيسٍ أَخَوَينِ مِن أَبيه ، وهُو اشتُهِرَ مِن بَينِهم بِالعِشقِ والشِعر وحُسنِ السِيرَة . وكَانَ أَصغَرَهُم عُمراً وأَعلاهُم هِمَّةً وأَرفَعَهُم قَدراً . تَطيبُ لَه العُزلَةُ . أَنسَ إلى الوَحشِ بَعدَ أن فَقَدَ الأُنسَ في النَاس . ورُوِيَ عَن أَبيـه قَالَ : (واللهَ إنَّهُ كَانَ آثَرَ عِندي مِن أخوَيه) فَهُوَ بَينَ الفِتيانِ (أجمَلُهُم طَلعَةً وأَفتَاهُم وأَفصَحُهُم وأَظرَفُهُم وأَرواهُم لأشعارِ العَرَب . يَفيضُونَ فِي الحَديث فَيكونُ أَحسَنَهُم إفاضَةً ، بَاهَيتُ بِه ولَم أَزَلْ) . وقَد أَورَثَت هذِه الأَثَرَةُ فِي أخوَيه حَسَداً

تَحَوَّلَ حقداً بَعدَ ذيُوعِ شعْرِه وعِشقِه ، فَراحُوا يَكِيدُونَ لَه مَعَ مُخَاصِميه وَيستَعْدُونَ السُلطانَ عَلَيه ، أَمَّا الذِي كانَ مِن أَصلِ جَهامَةَ قَومِ لَيلى فِي شَأنِ قَيس ، أَنَّهم كانُوا لا يَرَوْنَ فِيهِ ما يَرقَى لأَن يَنَالَ منهُم بِزَواجه مِن ابنَتِهِم وهُم مَن هُم ، فَقَد كانُوا مِن أَصحَابِ الجَمعِ والَمنعِ فِي القَوم ، وهذا مَا لَم يَعبَأ بِهِ قَيسٌ ولَم يَكترِثْ ، وهو يُمعِنُ لَهواً مَعَ لَيلى في الطفُولَة وشَغَفاً بِها في الصِبَا وتغزُّلاً بِها مُنذُ اشتَهَت واشتَعَلَ الحُبُّ في الدَم ، الأمرُ الذِي أورَثَ فِي كَيَانِهم الخُرُوقَ وهَلهَلَ صِيتَهُم في البَادِيَةِ .

وقِيل إنَّ قَيساً لما تَمَكّنَ منه العِشقُ وعَظُمَ رَفضُ المهدِي لَه ، كانَ يَخرُجُ في القَبائِلِ مُعْلِناً حُبَهُ مُستَثِيراً الناسَ عَلى الظَلَمَةِ الذِينَ لا يُقِيمُونَ لِلحُبِ قَدراً ولا يُقَدِّمُونَهُ عَلى تِجَارَتِهم مَنزِلَةً ، فَضَجَّ بِهِ المهدِيُّ ورَهْطُه وسَعَوا إلى إثارةِ سُلطَةِ الدينِ عَليه طَاعِنِينَ فِي إسْلامِه .

....أبدا أو يموت

ويَروي صَاحِبُ الأغَانِي أنَّ قَيساً (تَرَكَ الصَلاة ، فإذا قِيلَ لَهُ مَا لَكَ لا تُصَلِّي؟ لَم يَردَّ حَرْفاً ، وكُنا نَحبِسُه ونُقَيِّدُهُ ، فَيَعُضُ لِسانَهُ وشَفَتيَه ، حَتى خَشِينا عليه فَخَلَّينا سَبِيلَه يَهِيم) . وبَعضُهُم احتَجَّ عَلَيه في دِينه بشِعرٍ لَهُ . فَنُودِيَ فِيهِ (أنتَ المُتَسَخِّطُ لِقَضَاء الله والمُعتَرِضُ في أحَكامه) . وأخَذُوا عَليهِ ما فَعَلَه فِي الكَعبَةِ من دُعَاءِ العِشقِ وتَفضِيله نَسِيمَ الصَبَا وهُوَ فِي حَضرَةِ قَبرِ الرسول . ويُضِيفُ صَاحِبُ الأغَانِي ، إلى مَـا نُرِيد ، أنَّ أهْلَ لَيلى أعلَنُوا بَألا يَدخُلَ المجنونُ مَنَازِلَهم أبداً أو يَمُوت فَقَد أهدَرَ لَهُم السُلطانُ دَمَهُ . وتَختَلطُ مَقَالَةُ الوُشَاةِ ووَعِيدُ الأمير بِرَغَبات شَتَّى في إتلاف قَيس إتلافاً بحُجَةِ الخُروج عَنِ العُرف تارَةً والطَعنِ فِي الدينِ تَارَةً وعَلاقَته بلَيلى أكثَرَ الأحيان ، فَاجتَمَعُوا عَلَيه مِن كُلِّ جَانِبٍ ، يَحبِسُونَ لَيلى في زَوجِها مِن جِهَةٍ ويُضَيِّقُونَ عَلَيه خِناقَ العَزلِ فِي الوَحشِ من جِهَة . واستطَالَ بِهِ المُقامُ فِي الوَحشِ هَرَباً مِن بَطشِ السُلطانِ وتَخَفِّياً بِلَيلى الَتي كانَت تَسرِي إلَيهِ فِي الغَفلَةِ بَينَ

وَقت وأَخَر . قِيلَ ثُمَّ انقَطَعَت أَخبارُهُ أياماً ، وإذا بِأَحَدِهِم يَتَعَثَّرُ بِجُثَّته فِي وادٍ غَيرِ ذِي زَرعٍ كَثيرِ الحِجَارَةِ ، وهُوَ مَيِّتٌ بَينَ الأَحجَارِ مَشدُوخُ الرَّأسِ دماغُهُ مُنتَثِر مِنْ حَولِه مَضرُوبُ الأعضَاء مَحزُوزُ النَّحرِ و دَمُهُ كانَ لا يَزَالُ يَنزِفُ مثلَ غَديرٍ صَغِيرٍ تَقفُ عَلَيه ظَبيَةٌ تَنهَلُ مِن قُرمُزِه وتُظَلِّلُ جَسَدَهُ من هَجِيرِ الشَمس .

قِيلَ ولَم تَبقَ فَتَاةٌ فِي البَوادي والحَضَرِ إلا وخَرَجَت حَاسِرَةً صَارِخَةً نَادبَةً ، واجتَمَعَ الفتيانُ يَبكُونَ ويَنشجُونْ ، وحَضَرَ آهلُ لَيلى مُعَزِّينَ مَعَهُم المهدي جَزِعاً (لَقَد قَتَلَ نفسَهُ ، ولا ذَنبَ لي فِيْمَا أَصَابَهُ ، اللَّهُمَّ لا غُفرانَ لِمَن دَفَعَ بِنَا إلى هَذه الخَاتمَة) .

قِيلَ فَما رُئيَ يَومٌ كَانَ أكثَرَ بَاكِيَةً وبَاكِياً عَلى مَيِّت مثل ذلك اليوم .

هو الحب

قُلْ هُوَ الحُبُّ
هَوَاءٌ سَيِّدٌ ، و زُجَاجٌ يَفْضَحُ الرُوحَ وتَرتِيلُ يَمَامْ .
قُلْ هُوَ الحُبُّ
ولا تُصْغِ لِغَيرِ القَلْبِ ،
لا تَأخُذْكَ الغَفْلَةُ ،
لا يَنْتابُكَ الخَوْفُ عَلى مَاءِ الكَلامْ .
قُلْ لَهُم فِي بُرهَةٍ
بَينَ كِتابِ اللهِ والشَّهوَةِ
تَنسَابُ وَصاياكَ
ويَنهالُ سَدِيمُ الخَلقِ فِي نَارِ الخِيامْ .
قُلْ لَهُم ،
فِيمَا يَنامُونَ عَلى أَحلامِهِم ،
سَتَرى فِي نَرجِسِ الصَحراءِ

فِي تَرنيمَةِ العُودِ وغَيمِ الشِعرِ سَرداً وانْهِدامْ .

قُلْ هُوَ الحُبُّ
و مَا يَنْهارُ يَنهارُ ، فَما بَعدَ العَرَارْ
غَيرُ مَجهُولِ الصَحارَى وتَفاصيلِ الفَرارْ .
غَيرُ تَاجِ الرَملِ مَخلُوْعاً عَلى أَقْدامِنا ،
والذِي يَبقَى لَنَا تَقْرؤُهُ عَينُ الغُبارْ .
والذِي لا يَنتَهِي ،لا يَنتَهي .
مثلَ سرّ الموتِ
والبَاقِي لَنا مَحضُ انتِحارْ .

قُلْ هُوَ الحُبُّ
طَريقٌ مَلَكٌ نَبكي لَهُ ، نَبكي عَلَيهْ .
لَوْلَنا فِي جَنَّةِ الأَرضِ رُواقٌ واحدٌ .
لَولَنا تُفاحَةُ اللهِ جَثَوْنَا فِي يَدَيهْ .
كُلَّمَا أَفضَى لَنَا سِراً أَلفَناهُ
ومَجَّدْنا لَهُ الحُبَّ
و أَسرَينا إِليهْ ،

قُلْ هُوَ الحُبُّ
كَأَنَّ اللهَ لا يَحنُو عَلى غَيْرِكَ
لا يَسمَعُ إِلاَّكَ ،
ولا فِي الكَونِ مَجنُونٌ سِوَاكْ .

لَكَأَنَّ اللهَ مَوجُودٌ لِكَي يَمسَحَ حُزنَ النَاسِ فِي قَلبِكَ ،
يَفدِيكَ بِمَا يَجعَلُ أَسرَارَكَ في تَاجِ المَلاَكْ .
قُلْ هُوَ الحُبُّ
الذي أَسرَى بِلَيلى
وهَدَى قَيساً إلى مَاءِ الهَلاكْ .
قُلْ هُوَ الحُبُّ يَراكْ .

قبر قاسم

يسبقه فهرس المكابدات
تليه جنة الأخطاء

(1997)

صمتٌ

كأنّ « ابن منظور» يرتكب خطيئته الفادحة

وهو يقضي العمر يشحذ «لسانَ العرب» ،

ويصقلُ لهم اللغة .

الكتاب الأول

فهرس المكابدات

(1)

ذاهبٌ لترجمةِ الليــل

(2)

هل النصّ شهوةُ اللغة؟
هل المعنى شكلٌ يفيضُ بالأبجدية؟

(3)

من أنتَ ، من أنتَ؟
تبكي على أمّة ،
أم تُراها ستبكي عليك؟

غطّيتَ شعباً بمرثيةِ الماء ،
صحراؤُك محزومةٌ بالملوكِ ،
فمن أنتَ ،
حتّى تسمّي سماءً بعينين مذعورتينِ
و تمدحَ أعداءنا بالسكوت؟
يا أنتِ ، من أنت؟!!

(4)

يتكاسرُ حولَه الكلامُ
يتحشّدُ مثلَ كتائبِ القتال ،
يتأسّسُ و يحاذي ،
يوازي و ينزاحُ ،
يتجاوزُ و يُخرجُ ،
يصيرُ المتنُ هامشاً له والحاشيةُ شهوةُ النار .
لكنّه لا يكترثُ ولا يهتمّ ،
مؤمناً أنّه النصّ .

(5)

اكتبْنا بهذا الشكلِ ،
كي نبكي بشكلٍ شاهقٍ ،
و امنحْ قصيدتك الهواء

مغامراً بنشيجِكَ المشحونِ ،
و ادفَعْنا معاً .. نبكي مَعَك .
اكتبْ كما يُملي هواك
تكونُ قنديلاً لنا بجنونك الأخّاذِ
خُذْنا في ظلامِ النصّ
للنصّ الذي لاَ ينتهي بالنومِ
اكتبْ ،
سيّدُ شكلُ الذي لا ينَحني للشكل .

(6)
ليلٌ ،
كما لو أنّه الليلُ كلُّه .

(7)
ليس هذا صريخ الجسد ،
لكنه جنون الجثمان
وهذيان الروح .

(8)
وقفَ في حضرةِ القَصبِ ،

وحوله طغاةٌ مدجَّجون بذخيرةِ القتْل ،
فأخرجَ نارةً من زنده
يكتبُ بها دفاترَ التعَبِ
و يقرأُ الحقل .

(9)
قرأتُ دمي ،
مثلَما يقرأُ الليلُ وجهَ قاسم .

(10)
جسدٌ ينتهي كلّما اشتهى ،
ويبدأُ حينَ يعلنُ الآخرونَ هدنةً بين موتين .
جسدٌ اختبرتْهُ الجسورُ وامتحَنَه الحبُّ ،
أجّلتُه لأجلِك ،
بذريعةِ المخطوطاتِ ،
و ها هو يدخلُ الحروبَ
كأن الأبجدية لم تَعُدْ تكفي .

(11)
سلامٌ عليكَ يا حارسَ النبيذِ ،

تُؤرّخُ لنا العنبَ وتَنساه ،
وتبذلُ الترنُّحَ لأجسادنا ،
وعندَما تشتعلُ السهرةَ
ويوشكُ زيتُ قنديلنا على النفادِ ،
تسكبُ نبيذَك الكثيفَ في القواريرِ ،
بلا ترفُّق ،
فيقوم اللهبُ من النوم ،
ويتصاعدُ الوهجُ مُعلناً هزيمةَ الليل .

(12)

وحيدٌ في مكانٍ بعيد ،
أمتحنُ جاذبيّةَ الروح بكيمياءِ الجسد .
يأتي صوتٌ ينقضُ الفيزياءَ بالولع ،
مثلَ طفلٍ يبتكرُ حلُماً
ويذهبُ فيه .

(13)

كأنّنا في جنـةِ الكتُبِ ، نقرأُ كلامها :

«في القيامة ، عندما تجتازون الموتَ الأوّلَ ، تُفتَحُ أمامَكُم أبوابُ الموتِ الثاني ، فكلٌّ من ارتكبَ خطيئةَ المكابرةِ في حضرةِ الحبِّ ، أو معصيةَ الجسدِ في ليلِ الشهوةِ ، تجوزُ عليه شهادةُ الغائبِ ، ويكونَ عليه أن ينالَ

فهرس العذابِ»
كانت تقولُ ،
ونحنُ نتوارى في أجسادٍ مرتعشةٍ ، أرواحُنا تكادُ تذهَبُ ،
كمن يسمعُ شيئاً
ويرى سواه .

(14)
الخفيُّ . . . يُخيف .

(15)
ثلّةٌ من الكَهَنة ينهالونَ مثلَ كراكيِ الموعظةِ ، ينامون ويتركون الفتنةَ في يقَظَة الجسدِ . أرديتُهم تتأرجحُ لتطفىءَ ذُبالاتِ الشموعِ المرصوفةِ على حوافِّ الطريق ،
والجسدُ يتخبطُ في ظلامِهِ ،
لا يهجعُ ولا ينام .

(16)
كهنة يذرعون الممشى ويعبرون ليل الجسد .
موغلون في بهجة الناس .

يغمُرون الأفئدةَ بالوهمِ كأنّه الحلُم .
لا الجسَدُ يسمعُ ولا النّاس .
وما إن تستلقي في مكانٍ ، متظاهراً بالغياب ،
حتى يُباغتوكَ بحضورِهم الداهم ،
يفتحون الكتابَ ويَشرعون في شَرحِ النصّ .
تحتَ آباطِهم بصيرةُ الملحِدين
وذرائعُ الموغِلين في الشكّ .

(17)

مشيتُ في قتلةٍ يمَرحون ،
يُحصُون قرابينَهم في رمادِ الليلِ ،
يمدَحون اللهَ ويهجُون خطيئةَ البشر .
بعضُهُم يفكُّ الأبجديّةَ ويتهجّى الأسماءَ ،
مثلَ ندوبٍ في جثّةٍ تبطشُ بالناس .
بعضُهُم يضَعُ الرقمَ وقرينه .
بعضُهُم يؤيّدُ القتلى ليشجُبَ الموت .
بعضُهُم موغلٌ في غفلتِه الفادحة .

(18)

ناس الغابات
يعيشون فساداً في البيت .

(19)

رأيتُ قاسماً
يدّخرُ القتلَ لأسمائـه ،
رأيتُه ،
كأنّما الكلامُ من مائـه .
قرأتُ تاريخاً ، تـهجّيتُـه ،
مثلَ بكاءِ البيتِ في آلِـه .

(20)

حينَ يسأمُ الناسُ مجدَ الجوع ،
يتفاقمُ مرَحُ القَتَلةِ ، فيبدأون في اقتسامِ الأوهام :
نصرٌ هنا ، هزيمةٌ هناك .
غنائمُ تتعَثّرُ بها أجسادٌ مصابةٌ بالجزَعِ ومؤامراتِ الخذلان .
يذهب في بكاءٍ مكبوتٍ ،
ولا أحدَ يلتفتُ لشخصٍ يفقدُ تاجَه في بسالةِ الفرسانِ
ويعودُ مأخوذاً كأنّه لم يكُن في مكان .

(21)

قال لهم :
«بيني وبينَ الغابةِ مسافةٌ
بيني وبينَ الأسلحةِ مسافةٌ

بيني وبينَ القطيع مسافةٌ ،
وبيني وبينَ الله نَصٌ مكتوبٌ
لا يخرج عنه   ولا أخرج عليه»
وكانوا يسمَعُون ،
وكانوا يـرَوْن .

(22)
الشمسُ وحدَها ،
تستطيعُ أن تقلَّدَ شمساً مثلها .

(23)
أمَّا أنتِ ،
فلكِ أن تحاولي تقليدَ النومِ ،
فيما تفقدينَ شهيَّةَ المساءِ ،
تنتابُكِ رعشةُ المباغتةِ ،
وأنت تريْن الكائناتِ مبهورةً
تهربُ إلى أحلامِنا .

(24)
يظفرُ بكَ الملكُ

وتأخذُك الطبيعةُ قهوةً لسهرةِ الأسرى .
تتوهّجين في غابة تحرُسُ سريري وترصدُ أحلامي ،
مثلَ شمسٍ تفضحُ الثلجَ .

(25)

أيّتها الجنّيةُ ذات الوبَر ،
تلذُّ لك أكثرُ العروقِ توتّراً وغُروراً لاختبارِه ،
فيما يلامسُ كنزَكِ المكنونَ ،
متصاعداً في شهيقِ الكبَتْ .
لماذا تجلسين هناكَ في عرش المكابرةِ
وتتركين شَخْصاً هملاً في العشقِ ،
ترتعدُ فرائصُه كُلّما تذكّرَ مليكةً
تكنزُ فضّتَها في قصعةِ الجسدِ ،
وتلهو بالذهبِ منهمراً تحتَ شرفتِها .

(26)

هذا جسَدٌ ينتحبُ إليك ،
و روحٌ تتفصّدُ مثلَ ندم نافرٍ ،
وأنت في عفة الإسطرلاّب ،
تسألينه عن الطقس بروح ضائعة
وجسد يكاد أن يذهب .

(27)

لهُنَّ مجامرُ هناك ،
ما عليكَ إلا أن تدسَّ حديدتَكَ الباردةَ
لكي تـنالَ السفّود .

(28)

قلتُ له في تاسوعِ النصِّ :
أجِّلْ جسدُكَ لليلٍ آخر ،
أجِّلْه ،
لئلاَّ تُصابَ بالمراثي .
وكان قد حملَ جسده وذهبَ في مديحٍ فادحٍ ،
لم يكن يسمعُ ،
فللجسد سلطةٌ على الشخص ذاهباً في حسَراتِ الروحِ ،
كمن يلبسُ قميصاً ويضَعُ الريشةَ في العروةِ
ويبالغُ في التيهِ ،
مثلَ كتيبةِ الفرسان ،
تذهبُ إلى المبارزةِ بثقةِ القتل ،
وتؤثث الطريق لئلا تفقد أثر التيه .

(29)

قيل إنَّها مليكةٌ من الجنِّ

متماهيةً في قميصِ البشر .
تخلعُ طبيعتَها مثلَما تُرفعُ العباءةُ عن الرأسِ
ليخرجَ الجسدُ من ليلهِ .

(30)

قيل له :
لقد غُرِّرَ بك أيّها الذئبُ الوحيد .
فثّمة من يلهو بكتابك ،
يضعُ لك الملحَ في الجُرحِ
ويؤرجك بين الوهمِ والحَلم .
قيلَ له :
لملمْ شظاياك وارجعْ إلى نفسِك ،
زَيِّنْ وجرَكَ بوثيرِ الوحشةِ وترفِ العزلةِ .
قيل له :
ارجعْ إلى قلبِ الكهفِ ، ارأفْ بكَ من وهمِ الحبّ .
قيلَ له :
ارجعْ إليك ،
تطمئنُّ بأنَّ أحداً لن يفسد عليكَ نفسَك .
هناكَ . . حيثُ أنتَ وحدَك ،
ارجعْ ،
حلمٌ مستحيلٌ أكثر رأفةً
من شبحٍ مستفحِل .

(31)

سمّاه جسداً

وبذّله لمشارطِ النطّاسين ،

لا يحيا ،

ولم يقدرْ عليه موتٌ ، ولم يكن حكيماً .

(32)

وحدَه في ليلِ النصّ ،

تتقاطرُ حولَه مخلوقاتٌ ترفلُ في هودجِ اللغة .

يبتكرُ أحجاراً كريمةً ،

يصقلُها نُحاةٌ يسهَرون على كلامِ الجسَد .

(33)

رأيتُ فيكِ الجنّةَ الخفيّة

رأيتُ ، مثلَ الماءِ في قميصِك ،

مليكةً ترأفُ بالرعاةِ

كي تفتك بالرعيّة .

(34)

جنّةُ الزُجاج ،

جنـةٌ أن تسكنَ خارجَها .

(35)

انظري كيفَ يطفرُ النحيبُ من جسَدي مثلَ الحممِ المذعورةِ ،
فلتكنْ لديكِ البسالةُ والحكمةُ ،
لكي تُصدِّقي أنَّ للشخص يوماً يموتُ فيه بهدوءِ العشبِ ،
وهو يفصدُ الطينَ بغموضِ المصادَفاتِ ،
فلا يتاحُ لكِ الوقتُ لتريْ أين يكمنُ الحبُّ ،
في الحياةِ أم في الموت .

(36)

سيكونُ لطفلكَ أطفالٌ ينحتون اسماً للجسد
ويصقلونَه بالمعادن ،
جسدٌ لا يهرمُ ولا يشيخ .
يصابُ فجأة بالعطبِ ويمرض ويهلكُ ،
وتظلُّ الروحُ نشيطةً في هيكلٍ يئنّ .
وحين يموتُ ،
تسمعُ لتَصاعُدِ روحِه وقعاً
يُشبهُ تقصُّفَ الذهبِ تحتَ حوافرِ الوقت .
فاعلمْ أنَّ لطفلكَ أطفالاً يأتون من الكتُبِ ،
و إلى الكتبِ يذهبون .

(37)

طفلٌ متروكٌ في البيتِ ،
تجرَّحَتْ حنجرتُه ولم يسمعْه أحد .
غيمةٌ تطلُّ عليه من النافذة .
كَفَّ عن البكاءِ وطفِقَ يرتِّبُ الوسائدَ للنومِ ،
ليلٌ نازلٌ والأحلامُ في انتظارِه ،
يجدلُ من حريرِ الستائرِ طريقَ الأعماق القصيّةِ .
الليلُ نازلٌ والأحلامُ في انتظارِه .

(38)

غابةٌ أم بشرٌ؟!
الوجوهُ التي تتأرجَحُ أحداقُها في زجاج الفضاء ،
بهجةٌ أم كدر؟!

(39)

قيلَ جسدٌ ،
وقيلَ إنّه تَركةُ أسلاف يطْغَونَ حتّى مُنتهى البَحر ،
أسلاف ادّخروا إرثاً يحبسُ الدمَ ،
وقيلَ إنّه الحجَرُ القديمُ ،
ينهَرون فيه زُجاجاً مصقولاً بزفيرِ النّاس ،
جسدٌ يكتبُ جسداً

يقرأه جسدٌ آخر .

(40)

تشهّتكِ أعضائي و اشتهاكِ دمي
وتهدَّجَ بكِ القلبُ مثلَ بكاءِ الكواكب .

(41)

تذهبُ إلى شهوةِ الناس ويظلُّ وحدهَ ،
فيضيعُ مفقودَ الجسدِ ،مهدورَ الروح .
وفي الليل تبدأُ الأحلامُ في العمل ،
فتعودُ وحدَها إلى بيتِ شاغرٍ ،
لتعرفَ أخيراً أنّها لـَهَـتْ به وضيَّعَتْه .

(42)

يُجهشُ كلّما استدارت به المصادفاتُ نحوَ بيتِه الأوّل .
حيثُ التجربةُ المشحونةُ بأخطاءِ الخلقِ وطفولةِ العمل .
يدسُّ يدَه في عتمةِ الجسدِ ، كمن يستعيدُ حياتَه بالحواسِّ كلِّها ،
لئلاَّ تفلتَ الصورُ من عينيه .
هذا شخصٌ يُجهشُ في التجربةِ
مثلَ خالقٍ يهندسُ خلقَه ،

شخصٌ يحتضنُ أخطاءَه ويُهدهِدُها لكي تنامَ وتحلُم .
ثمّة أخطاءٌ تحلمُ مثلَ الشخص .

(43)

تلعبين بي كملكةٍ ،
فيما أسأمُ مجدَ العبيد .
سمّيتُكِ وردةَ الندم .
يضَعُكِ العاشقُ في قدَحِ نبيذِه وهو في عَرَبةِ الوقت .
تضَعُكِ العاشقةُ عندَ وسادتِها وهي في هودجِ الحلُم .
يُزيّنُ بكِ الفرسانُ عروةَ قمصانِهم
ذاهبين إلى المبارزةِ ،
وأضعُكِ مكانِ الروحِ من جسدِ الجبان .

(45)

ثمّة نحيبٌ يقرأُ فهرسَ الندم .
وغابةٌ تمنحُ بكارتَها لمن يفضحُ الشمس
في ليلٍ كاملٍ من العمر .

(46)

تارةً ممزوجةً لي بالزبرجدِ والزبيبِ ،

وتارةً يبكي على قلبي وحيدُ الفَقدِ ،
والنُدماءُ ينتخبون أقداحاً معي .
أبكي كشخصٍ غائبٍ يمتدُّ من شغَفٍ ،
ويرتجلُ الهواء .

(47)

جالسٌ هناك ،
يفركُ حريَّتَه ببلّورِ الصحراءِ ، فتستيقظُ حواسُّه كلُّها ،
وكلّما سمعَ عن عبيدٍ ينالون أحلامَهم ،
يشغفُ بمن يضَعُ يديهِ على حجَرٍ ويُشعلُ بهِ بركانَ الرفض .
جالسٌ هناك ،
يرى المستقبلَ ، كما يلمحُ ضوءاً تحتَ عقِبِ الليلِ ،
فيتحصَّنُ بنصٍّ يخذلُ الكلام .

(48)

سيكونُ عليهم تنظيفُ التاريخِ من الدم
سيكونُ عليهم غَسْلُ كلامِهم من الكذِب
سيكونُ عليهم تأنيبُ القتلى في كفنٍ مستعمَل
سيكونُ عليهم تحرير الصمتِ من الأحجار
سيكونُ عليهم أن يعتذروا لبكاءِ امرأةٍ مكبوت
سيكونُ عليهم سردُ القصّةِ من أوّلِها ،

منذُ المتنِ والهامشِ والحاشية ،
ويكونُ لنا حقُّ الدرس .

(49)

يقفُ في بهوِ الكونِ وحيداً ،
ليس ثمّة هواءٌ ،
عيناه محتقنتان لفرطِ الهلَعِ و رئتـه تضطربُ ،
تكسوهُ زرقةُ الليل ،
وكلمّا حرّكَ حرفاً انتابته المعاجمُ وتبادلَه النحاةُ .

(50)

قيلَ .
فلمّا احتدَمَت حالةُ الاحتقان ،
سألَت الصخرةُ صمتَ الجبل وكادت تدفَعُه في تهلكةِ الكلام ،
ولكنّه أحجمَ واستجمَّ في غيبوبةِ الكيمياء .
قيلَ ،
فلم يعبأ الأسلافُ بأحفاد يعقّون ويجحَدون
وتستحوذُ عليهم شهوةُ الشمس .
فاختلطَ على القاطنِ والمسافرِ مشهدُ النّاس .
أحجارٌ تلبسُ القلانسَ وحيواناتٌ تتقمّصُ طبيعةَ البشرِ ،
يضطرب لهم ميزانُ الكتُب ،

فيجتهدُ الكسلى بتثاؤبِ المصدورين ،
وتجودُ قريحتُهم بالفاسدِ من الفتوى
والمعطوبِ من العقلِ والعاطلِ من طبيعةِ الجسد .

(51)

يخبُّ في ثوبه قراصنةُ النوم ،
فيسمّي لهم الهِبات ،
يؤجّلُ يقظتَهم ، فتستفردُ به الأحلامُ .
أولئك القراصنةُ المبارَكون ،
نذروا زنودَهم لمجدافه المصقولِ بالموجِ والملح .
يزعمُ لهم الاكتراثَ والتريُّثَ ،
ويُفسِدُ عليهم نعمةَ المبادرات .

(52)

لماذا أنتِ متماهيةٌ مع الحلُم
لماذا يصحُّ للحلُم أن يتحقّقَ و أنتِ لا؟!
لماذا يصحُّ له أن يرأفَ بسُعاته و أنتِ لا؟!
لماذا يظلُّ الحلُمُ ماثلاً في طريقٍ يطولُ ،
وأنتِ تقدرين على إعلانِ الوهمِ في الوجه .
دون أن نـقوى على تبرئةِ الحلُمِ منك؟! .

(53)

كلّما وضَعت يدَكْ على حجرٍ ، انتفضَ ،
وأخذَ طبيعةَ الطيرِ وشكله .
حجرٌ يمتلكُ الفضاءَ ،
تارةً في مهارةِ الريح ،
تارةً في رشاقةِ الهواءِ
تارةً في انحدارِ الصقرِ ،
تارةً في هدأةِ اليمامِ ،
حجرٌ في الفضاءِ ،
ملكٌ عليه .

(54)

حجرٌ درَّبتُه كبدٌ في النواحِ .
مثلَ نجمة سئمَت وحشةَ الليل
رأيتُك وأنتِ في ضراعةِ الماضي تحتَ وطأةِ الغيابِ
رأيتُكِ ، لعلَّكِ تأتين في ريشةِ الريح .
رأيتُكِ ، لعلَّكِ ترَيْن روحاً مأخوذةً بكِ
وحجَراً في بريدِ الجُنون .
فها نحنُ نجلسُ في قُرفصاءِ الطريقِ .
نتصاعدُ في زفيرِ الحجَرِ ، لا الماضي يذهبُ ،
ولا المستقبلُ يجيء .

(55)

رأيتُ النهاراتِ تغفو ،
والطينَ تحتَ العذاب .
أيّها الفارسُ الرخوُ ،
هَدهِدْ لأبنائكَ المترفين بأشلائهم
علَّهم يصبرونَ قليلاً على الموت
باسم الكتاب .

(56)

لا تشبهُ أحداً سواك ،
فالظلامُ الهائمُ في جهامةِ الحبرِ وزهرِ الخشخاش ،
متصاعدٌ في بياضٍ ذاهلٍ ، أكثرَ كآبة مّما تزعُم ،
وحنينُ القصبِ ،
ناياتُه الصقيلةُ ،
أكثرُ بسالةً من يديكَ المرهقتين لفرطِ العمل .
وزرقةُ النوم الزاخرِ بالكائناتِ ،
ودهشةُ الحلُم في همَل الليلِ ،
أكثرُ فصاحةً من نصّكَ الأخير .
لا شيءَ يشبهُكَ . . سواك ،
ولا أحدَ .

(57)

لم يكن الحوذيُّ غيرَ شبح يذرَعُ الغابةَ
مؤثثاً مواقعَ أقدامِه بانتظاراتٍ فادحة .
يقودُ عرباتِ الليلِ ، عبرَ الحانات ،
نحوَ أكواخِ الساحلِ ليُغويَ النساءَ
برجالٍ أصحاءَ يمنحونهنَّ نسلاً من صغارِ الطغاة ،
يُزخرفون السهرةَ بملهاةِ الحكمةِ ، وبغتةً يكبرون .
قيلَ إنّ الحوذيَّ هو نفسَه الحصان ،
وقيل إنّه العربةُ والحانةُ والنساءُ وطُغاتهنَّ الصغارُ .
وأحياناً يكونُ هو الرجلَ الغريبَ ،
تصادفُه الأشباحُ والساحراتُ في منعطفاتِ الغابةِ ،
تطيرُ في وجههِ حيواناتٌ مجنَّحةٌ بالمخطوطاتِ ،
يتقمَّصُها ويعودُ في هيئةِ حوذيٍّ ،
يزعمُ الحكمةَ وبلاغةَ البَوْح .
ثمّة أخبارٌ بأنّ الغابةَ لم تعرفْ عربةً أو حوذيّاً
قبلَ أن يَشرعَ الشاعرُ في رسمِ هذا الكتاب .

(58)

يُصغي معَها للصمتِ وقرينِه ،
يُهدي لها أحجاراً نادرةً في هيئةِ المخطوطات ،
وما إن تقرأ الكلمةَ حتّى تطيرَ مثلَ شهوةِ الليلِ ،
تباغتُها نارٌ فاضحة .

(59)

هواءٌ نادرٌ ،
تصطادُه بشفتيكَ وحنجرتكَ ،
تشحَنُ به غرفَ الصدرِ وشرفةَ الروحِ ،
لكي تهمسَ الكلمةَ .
قليلٌ ويكفيك .
تزرقُ أحداقُك بعتمةِ الصمتِ لكنَّك ترى .
تلبسُ الجبلَ مثلَ خوذةٍ وتهجو الحروب
متقمِّصاً موهبةَ النهرِ وطبيعةَ الشَجرِ ،
يتقصَّفُ في وجهِكَ النصُّ والطريقُ
لكنَّك ترى .

(60)

يجوزُ له أن يكفَّ عن شهوة المرايا ،
فقد سئمَ ثرثرةَ الزئبق .

(61)

وصفَ لها الحياةَ ، فقال :
(ضوءٌ صغيرٌ بين ظلامَيْن)

(62)

شمسٌ تفتحُ عرشَها للقتلى ،
أجملُ من يحكمُ هذه الأرضَ ،
قتلى مضرَّجون بالزرقةِ وشظايا الأكاذيبِ ،
والشمسُ عرشٌ لهم .

(63)

الأيائلُ أيضاً ،
تزخرفُ الذاكرةَ وتهَبُ الطرائدَ موهبةَ النسيان
لكي تضعَ أظلافَها في الفخِّ مرّتين .

(64)

لاسمهِ دلالةُ الحكمة ،
وليس للغتِه فهرسٌ ولا قاموسٌ .
ترنَّحَ مرّةً ، وقيلَ إنّه تقمَّصَ ميزانَ الذهبِ ،
فاشتعلَت الأقاصي بمعاصيه ،
ولم يعد قريناً لسواه .

(65)

هذا كتابٌ لك ،

يُقرأُ عليك .

(66)

له عندَها ذخيرةٌ منسيّةٌ منذُ طفولةِ الذهب ،
له القميصُ المهتوكُ من الكتف ،
وله الكتبُ ، يؤلِّفُها تفادياً لحشراتِ الضجَرِ ،
وله النومُ المكتظُّ بهيبةِ المعصيةِ ،
وله الخجلُ ونهضةُ الليل .

(67)

قيلَ لها : يا خديجةُ
يصيرُ لكِ ولدٌ يغرِّرُ به السجنُ والنساءُ ،
تفقدينه مرّتين ،
مرّةً في شهادةِ أقرانه ،
ومرّةً في شهوةِ شعرِه .
ويذهبُ عنكِ مرّتين ،
مرّةً في امرأةٍ تفتحُ له هالةَ الكتابةِ ،
ومرّةً في جنونٍ يزجُّ به في هذيانِ النصِّ .
يخطئُ انتحارَه مرّتين ،
مرّةً في صديقٍ يفضحُ الليلَ بعينين محتقنتين
ومرّةً في جنّيةٍ تشكُّ في جنسِ الناس .

(68)

قيلَ لها : يا خديجةُ

ينالُ منكِ فتاكِ الغريبُ وأنتِ في خبيئةِ انتظارِه ،

كأنّكِ في حضرةِ احتضارِه ، ينالُ منكِ بموتِه الطويلِ .

قيل لها ،

وكانت في التجربةِ ، تفقدُ الولدَ فتمنعُ زوجَها عن الجسدِ

حِداداً في المحنةِ .

قيلَ لها ،

وكانت في حضرةِ القتلى كأنّهم يسمعون .

تربطُ القميصَ في الضريح ،

وتبذلُ حلُمَها لزعفرانِ المحو .

قيلَ لها ،

وكانت في مأتمِ الناسِ ، تصبُّ الدمعَ في الفناجينِ ،

لتوقظَ في أكبادِهم حسرةَ الفقدِ .

قيلَ لها : يا خديجةُ ،

ينحسرُ عن ولدكِ أخوتُه التسعةُ

ويظنّون لكِ الظنَّ بأنَّ الذئبَ يسمّيهم شخصاً شخصاً ،

تنساهمُ الكتبُ

ويتذكّرُكِ الناس .

(69)

قيلَ لها : يا خديجةُ

تقرئين وجهَ قاسم ،

وترَيْنَ يوسفَ ويونُسَ وسليمانَ .

ترين فيهم الأسماءَ

مثلَما تشمّين الدمَ في القميصِ

والجسدَ في الحوتِ

وتسمعين سيِّدَ الكلام .

تغسلين المخطوطاتِ بالقَهوةِ وزفيرِ الصلاة .

(70)

قيلَ لها ،

وكان كأنّه يسمَعُ ،

وكان كأنّه يَرى .

لا ينامُ إلاّ ويداه في الصلصال ،

ولا يصادفُ غيرَ الكوابيس .

وفي الصباحِ

يخرجُ في صورةٍ تتمجّدُ به

و تـغتـرُّ .

(71)

قالَ يصفُ لها المستقبلَ :

تفتحين قناديلَ جسدك لرموزي
وتقرئين الكُتبَ
وتخطّين المخطوطات
وتصيرين لائقةً بي .

(72)

قيلَ ،
فلمّا فرَغَ الخالقُ من سردِ أحلامِه على الخلقِ ،
نهضَ رهطٌ يريدُ أن يطرحَ تفسيرَه في الناس ،
فطفِقَ الخالقُ يُشيحُ بيديه المتعبتين متثائباً ،
يهمسُ لمن حولَه ،
لكي يصلَ الكلامُ للرهطِ وغيرِه :
«ليكن يوماً آخرَ ،
أما اليومَ فقد أخذَ منّي التعبُ مأخذاً ،
ولا بدّ لي من الراحةِ»
هذا يومٌ يرتاحُ فيه الخالقُ
من خلقِه .

(73)

شكَرَتْ الخليقةُ في الكتب ،
أنّ الخالقَ نامَ عن شهوةِ الشرحِ في خلقِه ،

وتركَ للناس باباً يسَعُ الأرضَ والسماء ،
باباً يذهبُ فيه الناسُ إلى التأويلِ من كلِّ جانبٍ
بلا سلطة ولا تخوم .
شكَرَتْ الْخليقةُ ذلكَ للخالقِ ،
وصلَّتْ إليه .

(74)
نطلعُ من ظلمةِ كهفٍ يموت ،
من المنتهى وهو يبدأُ
من سيرةِ الطيرِ و العنكبوت .

(75)
نتلابسُ ، نتجاسدُ ، نتداخلُ ، نتخارجُ .
مخلوعةٌ لي ، مخلوعٌ عليك ،
تقرأين في وجهي دمَ قاسم ويوسفَ ويونسَ وسليمانَ ،
وتكتبين الحريقَ في دفترِ المحْو .

(76)
قلنا لـهنّ :
إن المسافةَ بين الذبيحةِ والحلُمِ مردومةٌ بوهمِ المكاشفةِ ،

مثلَ رعيّةٍ تضَعُ عنُقَها في ربقةِ البهيمةِ وتهربُ ،
مرصودةً بالليل .
ليل كثيف مثلَ بهجةِ النوم ،
ليل يزعمُ أنّه الهواءُ فيما هو القيدُ والقبرُ والقرابين .
قلنا لهنّ :
تشبّثْن بفلذاتِ الأكبادِ .
فليس من يذهبُ إلى صلاةٍ ، كمن يذهبُ إلى القفر
في ضباعٍ مفلوتةٍ ،
ليسَ من يتدرَّعُ بجنةِ المسافرِ كمن يتدرَّعُ بجحيمِ البيت .
قلنا لهنَّ :
وكنَّ إذا انسلَّتْ من بين أيديهنَّ ريشةٌ ،
طارت ،
وصارت وشاحاً يسترُ العاشقَ ويفضحُ غيرَه .
قلنا لهنَّ :
و كنَّ في الشهوةِ .. مثلَها .

(77)

ثم أخذَ يصفُ لها يديه ،
وهو يغسلُ الماءَ بالكلام :
«ما وضعتُهُما في كتابة إلاّ و أصابتني النيرانُ ،
كزعفرانٍ يصفُ الشهوةَ» .

(78)

قنديلٌ في زجاج يشفُّ عن ذبالةٍ ترتعشُ
بحركةِ الروحِ في الأوردةِ ،
وكلّما انتخبتَ كأساً
اضطربت الزجاجةُ واختلجَ القنديلُ
وبالغت المليكةُ في الفتنةِ .

(79)

شهادةُ الليلِ عليه :
«جميلٌ ،
مثلَ غريبٍ يدخلُ البيتَ فيضيئُه» .

(61)

أمّا أنتِ ،
أيّتها الوحيدةُ في شرفةِ الليل .
فعليكِ أن تثقي بأنّ الإسطرلابَ الذي تزنينَ بهِ الحبَّ ،
لم يعد قادراً على مجابهةِ الوحشة ،
ميزانُكِ يضطربُ ولا رجاةَ فيهِ ، ولَن يأخذَكِ لنزهةِ النوم .

(81)

جسدٌ شاهقٌ مثلُ هذا ، كفيلٌ بنفسِه

يختبرُ النيرانَ وهي تعبرُ غيرَ مكترثةٍ بهذيانِه ،
جسدٌ يجابهُ العصفَ مثلَ قتلٍ مؤجَّلٍ
وحياةٍ في الحسبان .
جسدٌ كفيلٌ بيقظةِ البراكينِ ،
تحرسُهُ الفراشاتُ ويطالُهُ الملاك .

(82)

وضعَ كأسَه على طاولةِ الليلِ ، وصبَّ فيها العذابَ كلَّه ،
وعبَّها حتّى البلّورِ ، ثم أخذَ يطرحُ الكلامَ في سهرةِ الطاولةِ :
لستُ ماءَ الملكِ
لكن نبيذُ العبيدِ .

(83)

صبَّ العذابَ ثانيةً وعبَّها ،
ولم يزَلْ ،
نفسُ الليلِ في الطاولةِ ،
و العذابُ نفسُه .

(84)

تكاسَرت المعاجمُ عليه ،

ففتحَ نافذةً على السديم وأنشدَ رافعاً جناحَيْه تمجيداً :
هذه كأسٌ تعلّمُنا الكَلام .

(85)

أحجارٌ تتدحرجُ في الحناجرِ ،
وتضرعُ في زرقةِ النوم ،
تتهدَّجُ وتزيحُ أستارَ الروح .
لوعةُ الولع في أحداقِها ، وكلامُها نارُ المواقدِ .
ترسمُ أطفَالاً يقصفون الطرقاتِ بأقدامِهم النزقةِ ،
ناهضين في يقظةِ الجنون .

(86)

بيتٌ لهُ موهبةُ النوافذِ والأبراج ،
بيتُكَ ،
الذي كلّما افترَّ ثغرُ الطريقِ عن عابرٍ ،
اندلعتْ ضحكاتُ البهو .
بيتُكَ ،
فاتركْ البابَ مواربَاً .
ثمّةَ كائناتٌ آتيةٌ للزيارةِ .
بيتُكَ مكانٌ يباهي به الكونُ ،
وتقلِّدُه هندسةُ الفراديس .

(87)

ها أنتِ (أعني أنا)
في ضياعٍ يسمّونَه الوطن .
هل كنتِ تمنحين الوطنَ زفيرَ الحبِّ
وتُسمّينَ القبلةَ بريدَ الجسد .
يأخذُكِ الوطنُ عن الحبِّ وتغفلين عن استلامِ البريد .
ها أنا (أعني أنتِ)
في العشق وقرينِه .
أسمّي لكِ الأسماءَ بعاصفةِ الجنونِ وفصاحةِ الساكن .
وأنتِ خارجَ الفصولِ .
ها نحن (أعني أنا)
أتجرّعُ لكِ اليأسَ وأقولُ إنّه الأملُ .

(88)

نعسفُ بالجغرافيا الآنَ ونحتالُ على الكيمياءِ بالفضّةِ ،
فلنذهبْ إلى فلسفة المقهى ،
ونحتجُّ على سقراطَ كي لا يشربَ الزرنيخَ تمجيداً لهم ،
ننسى ونستثني قوانين الهوى من سلطةِ الميزان .
نبكي عندَ فيثاغورَ حتّى مطلعِ الحبِّ .

(89)

صمتٌ يصيبُ أعصابَه بالعطَبِ .

حرّكَ جفنيه بتثاقُل الحذرِ ،
خشيةَ أن يصدُرَ عنهما صوتٌ كفيلٌ بإيقاظِ البركان
في مدينةِ الكذبِ .

(90)
هل أنتِ سفيرةٌ تسبقُ شعبَها بشهوةِ العُشب ،
تفتحين له الأرضَ وتُشعلين قناديلَ الذاكرةِ . .
لكي ينسى ؟!
هل أنتِ تاجٌ تصقلُه المدائحُ ويقودُ الجيوشَ
لجسارةِ المعنى وبسالةِ العشق .
من يطلقُ الأسرى إذن
وبين يديك ينتخبُ العبيدُ نبيذَهم
ويزدَهرون .

(91)
هل تذكرُ الحديد ،
تصبُّه في آنيةِ الشكل ،
وتنهَرُني لكي أسقيَه ببغتةِ الماءِ
ليصيرَ أكثرَ صلابةً منك ،
فيصيرُ .
هل تذكرُ المأتمَ

وهيِ تستعيدُ لنا تسعةَ قتلى
نتأكّدُ في كلِّ موسمٍ أنّهم لا يزالون تسعةً
ويـزيدون تاجاً عاشراً؟
هل تذكرُ البحرَ
وسيرةَ الشخصِ في التجربةِ؟
كلّما كان السردُ فاتناً
كانت الخسارةُ أكثرَ فداحةً من السفر.

(92)
يـُرخي بلاداً ويصقلُ أعضاءه
واحداً .. واحداً كالمساءِ.
قليلٌ ،
ولكنّه قادرٌ أن يضلّلَ بوصلة الناسِ،
ينسَوْن أسماءَهم ،
علّهم يخرجون قليلاً عن النصِّ
قبلَ السماء.

(93)
مشيتُ في الناسِ مثلَ شبحٍ يكرزُ للموتى ،
أن قوموا من ليلِ الوهدةِ ،
أن رِقّوا لنحيبِ القلب .

أمشي في ليلِ ندامايْ ،
لا يسمعُني غيرُ زفيرِ المحتضرين .

(94)
أسّسَ للوعولِ حريةَ السُهوبِ ،
فذهبَت في الوادي مقتحمةً شهوةَ النساء .
لم يضَعْ للبيتِ باباً ،
وليست الجسورُ سوى خدعةِ المحاربين ،

لئلا يقالَ إنّ قلاعَهم تتخندقُ بالبحر .
جعلَ لكلّ فرسٍ شكيمةً
وللشكيمةِ خيطاً أكثرَ رهافةً من الحرير .
ما إن يستَدِرْ وعلٌ حتّى تقودَه الريحُ
نحوَ الغموض .

(95)
وعولُه . . . لَـه ،
يضعُ جسدَه في مهبٍّ المحنةِ
ويهَبُ الوعولَ طقسَ التجربة .
وعولُه . . . . . عليه .

(96)

كم أنتِ عليلةٌ أيّتها الوردةُ ،
فقد سمعت سُعالَكِ مثلَ العواء ،
لكأنَّ قطيعاً كاملاً من بناتِ آوى
يسكنُ صدرك ،
ويبعثنَ منه نفَثاتٍ تزخرفُ الليل .
كيف لوردة عليلة مثلك
أن تصبرَ على لبوناتٍ فادحة
مثلِ بناتِ آوى وقرائنهن .

(97)

كلُّ هذا الهزيع الأخيرِ من البيتِ جبّانةٌ حولَنا ،
كلُّه الآن يمتدُّ مَثلَ التراتيلِ ،
مثلَ النحيبِ الوحيدِ على القبر .

(98)

قالت له النبوءةُ :
سيبكي هذا البيتُ كثيراً
سيبكي على أحياءٍ ،
أكثرَ ممّا يبكي على من يموت .

(99)

كنزٌ ادّخرتَ له العمرَ
لتراه يذهبُ بكَ ويذهبُ عنك ،
ها أنتَ تهوي من شرفةِ الحمَلِ الفاتك ،
السردُ يلملمُ شظاياك
و البوحُ يُسعفُك . . لتموت .

(100)

كلّما وضعتُ كفني في صديق ،
تهتّكتْ روحي في صديقٍ سواه .
أحصيهم في الشفق بأقلَّ مُمّا رأيتُهم في الغسق .
سمعتُ أحدَهم ذاتَ ليلٍ يهذي لفرطِ الفقد :
(جبّانةٌ ،
لا مفرَّ لك منها بغيرِ الموت)

(101)

وأنتَ في اليأسِ ،
اختلَجْتَ واحتميتَ بالسفر ،
ليتولاّك البحرُ بالأزرقِ والأخضرِ واللازوردِ ،
بالحبِّ حتى يؤنسَ وحشتك .
ففي حقائبِ المنعطفاتِ تركَ لك القراصنةُ المكتشِفون

رسائلَ تدفقُ الخدرَ في الغريب ،
وتبشّرُ بما يجعلُ السجنَ سواراً
يعصمُ الشخصَ من أحلامه .
وأنتَ في اليأسِ ، تشقى بما يجعل قميصك
هزيمةَ الأكاذيبِ وفضيحةَ الدسائس .
وأنتَ في اليأسِ ،
يحسبون صمتَك صريخاً عليهم ،
وهمهَمَتَـكَ دخانَ البراكين .
وأنتَ في اليأس ،
يسألونك .. من أنت .

(102)

مثلُكَ لا يقفُ مذهولاً مفتوحَ الجراحِ في الليل
مثلُكَ يكتبُ الكلامَ للقلب ،
مثلُكَ يمنحُ الحلُمَ للجسدِ ،
مثلُكَ يرصدُ الموتَ وقرينَه ،
مثلُكَ يغرّرُ بمن يغفو كمن يشربُ زجاجَ النسيان .
مثلك يضلّلُ المعنى و يفتحُ التأويلَ ويقودُ الغيمَ للبحيرات
مثلُكَ يجلسُ في الأقاصي ويُصغي للباقي من الروح
مثلُكَ يقرأُ البحرَ ويرشدُ البوصلةَ ويسألُ المراكب
مثلُكَ يُصلَبُ في الصاريةِ
فيفضحُ النصَّ .

(103)

تضعُ يدَكَ في النار

لا لتعرفَ الطقسَ ،

لتتفادى الحريقَ ،

فتصابَ بالبركان .

(104)

كلّما داعبَ الأصدقاءُ جراحي

تماثلتُ للموت .

(105)

تريّثْ قليلاً قبلَ أن توصدَ البابَ ،

ثمّة ملائكةٌ يأتون للزيارة ،

فابسطْ لهم جسدَك لئلاّ يصيرَ خزانةَ النطّاسين .

(106)

مبذولٌ لعبور الضواري ،

السجنُ نزهةٌ لكَ ،

والقبرُ حصنُكَ الأخير .

هل أنت فزّاعةُ المدينةِ ،

ترى في الرملِ المذعورِ جيوشاً مخذولةً ،
تصقلُها وتقودُها نحوَ البحر ،
لتفتحَ الساحلَ أمامَ تجّارٍ يتماثلون ،
وبحّارةٍ ينسَوْن عادةَ الأعماق ،
فيصابون بخناقِ الماء .

(107)

ارقدْ هناكَ أيّها الطفلُ ،
ولا تأخذْك إلينا شيمةُ التجربة ،
مكانُكَ في راحةِ الروحِ وصحّة الجسد .
آتيكَ أينما كنتَ ،
ارقدْ هناكَ ، إلى أن ينسى العسكرُ فهرسَ المحنة .

(108)

سمّيتُ لها الموتَ غيابي ،
وتذكّرتُ لها النخيلَ الكثيفَ يغسلُه المطرُ قبلَ البحر .
وكنتُ أحصي لها أخوةً لي يموتون قبلَ الأوان .
وكنتُ أمضيتُ ليلاً كاملاً أنسجُ لها قميصاً ،
لعلّها تغفرُ لي ذلكَ الموت .
وكنت أسمع بُكاءَها المكبوتَ ،
تموتُ متظاهرةً بالنوم .

(109)

كأنـه يسمعُها الآن ،
كأنّها بين عينيه وقلبِه .
(اذهبْ بعيداً لكي تأمنَ العسف)
فيذهبُ طريداً
يترنّحُ تحتَ وطأةِ النبوءة .

(110)

ها هيِ المرآةُ (قيل إنّها الذئبُ وقرينُه)
تُغريِ بسهرةِ الزئبق ،
وتكبح الحب بثقة العانس .
حيث بوابة الجسد (قيل إنه القلب وقرينه)
منجمٌ يكتنزُ بالمحتملات .
هاهي ، تخدعُ الغريبَ بماءِ الشهوةِ
(قيلَ إنّها الخلقُ وقرينُه)
لتلهوَ به .

(111)

ذاكرةُ الذهبِ ، تمنحُ الحديدَ أسرارَ الكيمياء ،
وتنصحُ بنسيانِ المستقبل .

(112)

وصفَ لها الليلَ ، قال :
حياةٌ زاخرةٌ بدواعي الندم ،
لو أنّها كرّت ثانيةً لما فررْتُ ،
وما تفاديتُ ندماً واحداً منها .

(113)

وكانَ أن صادفَه شخصٌ عابرٌ ،
نصحَه بأن ينسى ، ويكفَّ عن المستحيلِ وقرينِه .
لم يُصْغِ لوشايةِ الشخصِ ،
قال : أتكفّلُ بنفسي وأعودُ بها إلى الذئبِ .

(114)

يُجفلُ عائداً وحيداً إلى الكهفِ ،
ملطّخاً بالتجربة وينتحبُ :
«يجبُ أن يسمّوه القتل ، هذا الذي يَدْعونَه الحبُّ .»

(115)

لشخصٍ يفسّرُ أسماءَه بالجنونِ ،

لأطفاله ،
للأيائلِ مغدورةً ،
للخفيِّ من الأصدقاء
يعودون للكشفِ عن عُريهم .
لأطفالِهم ،
يسألون عن الحبِّ و القتلِ
ينسَوْن تفَّاحةً ، ويستبسلون ،
لعينينِ لا تُشبهانِ العيون .

(116)

تـرى في كلِّ نأمةٍ أملاً وتمدحُ اليأسَ ،
وفيما نرميك بالكارثةِ ، تقاومُ نسيانَ الكتُبِ بذاكرةِ الذهب .
تضَعُ جسدَكَ في مهبِّ العرباتِ الطائشةِ ،
وتسمّي كلَّ عربةٍ ضاريةٍ
وردةَ التجربة .

(117)

قيلَ ،
فلمّا اشتبكَت الأيائلُ بالقرونِ والأظلافِ ،
واشتعلَت القُرى بشهوةِ المـدن ،
تماثلَ الشخصُ لشكيمةِ الحيوانِ ،

خارجاً عن طبيعته ، فاتحاً نهرَ الناس ،
لعلّه يروي حقلاً يوشكُ على الصريخ لفرطِ العطَش .
قيلَ ،
ولما تسنّى للأيائلِ الكلامُ ، بين مأدبةِ البحرِ ومأتمِ التميمةِ ،
لم يعُدْ للكلامِ أثرٌ ولا قيمة .
قيلَ ،
فلمّا سمعَت الغابةُ الوعدَ والوعيدَ ،
ورأت ما يسدُّ الأفقَ على الأمل ،
و هجست بما يبعثُ اليأسَ في الصمتِ .
كشفَت الأيائلُ خبيئةَ الجبل .
وكانت الأيائلُ قد قالت الكلمةَ .
قيلَ ،
فلمّا اطمأنَّ الشخصُ لنجاتِه من شهوةِ الناس ،
هربَ إلى ظاهرِ النخل ،
وعثرَ على ما يجعلُ الغابةَ أكثرَ رأفةً من النوم .
قيلَ ،
فلم يعُدْ الكلام .
وكانَ أن سمعَت الأيائلُ نشيدَ الفقدِ في ثقةِ المهزوم ،
سمعَت من يكرزُ للجرحى بحتمِ الموت ،
سمعَت صوتاً يفتِكُ بالشخصِ والمشهد .
قيلَ ،
فلمّا أتيحَ للأيائلِ الوقتُ ، تجرّعَت شَوْكرانَ العصيانِ ،
ففُتنَت بها الساحراتُ وهي في حَبْستِها

توشكُ أن تنسى عادةَ الليل ،
قيلَ
فدفعَ الليلُ بمخلوقاته لئلاّ يستفردَ النحاةُ بساحراتٍ
يتخفيَن في قطيفةِ الذئب ،
متماهياتٍ بأشكالِ الخمرِ والقوارير .
قيلَ ،
ولّما كانت الأيائلُ تتهجّى كلامَها الأوّلَ ،
كان بينها وبين زهرةِ النوم نهرٌ
كالمسافةِ بين القمحِ في الحقلِ والخبزِ في نارِ البيت ،
ثمّة شِباكٌ رهيفةٌ تمنعُ التلالَ عن ليلِ النبيذِ ونشوةِ الجسد ،
شِباكٌ تكتشفُ فجأةً أنّها الشباكُ .
قيلَ ،
تلك أيائلُ زهزَهَ لها النحاةُ
بالفعل منصوباً
و النصُّ مصلوباً ،
فاستعَرَت النيرانُ في أحشائِها واشتبقَت الأكبادُ ،
وأخذَ الهياجُ يقودُ الطبيعة
حتّى شغَرَت السُهوب .

(118)
وصفَ لها يديه :
«ليسَتا لي ،

فلماذا صرتِ لشخص يقصُرُ عنّي ولا يَطالك» .

(119)

أصغيتُ ، كمن يتهدّجُ ضارعاً ،
لكلامِ الصخرةِ المشتعلةِ على هاوية .

(120)

أصغى لوعولِه في النشيد :
«نحنُ مروّجو اليأسِ والنقائضِ ،
فتيةٌ نعقٌ ونجحدُ ونبطرُ ونبالغُ في التيهِ
ولا أملَ فينا .
فينا اليأسُ
اليأسُ و المكابراتُ ،
ولشيوخِ الأملِ أن يتقفّصوا عليه ،
وهو يكتهلُ في غفلةِ اللغةِ ، فلا يقشعرُّ لهم بدنٌ ،
ولا هُم يذهبون .»

(121)

وعلٌ هزمَت قرونَه الريحُ ،
يستخفُّ بصخرةِ الجبل .

(122)

وصفَ الموتَ للحياةِ ، فقال :

(هو أن تكونَ مواجهاً الأرضَ بوجهِك ،

ومديراً لها ظهرَكَ في آن .

(123)

نارٌ تكونُ برداً وسلاماً عليها ،

امرأةٌ سهرَت ليعودَ أبناؤُها من الدرس ،

تذهبُ مرتديةً قميصَ النيران .

جَنّتُها تنتظرُ ،

ويتفاقمُ لها الجحيم .

(124)

في الظلام امرأةٌ وحيدةٌ ،

تعرفُ أنَّ ثمةَ شخصاً وحيداً مثلَها في مكان ،

لا تخسَرُه و لا ينالُها ،

فتلهو به ،

كمن يرسمُ الشجرةَ في عاصفةٍ .

(125)

تتسابقان ،

نهايتـه وخاتمةُ النصِّ .
ماذا سيفعلُ أحفادُنا بمخطوطاتِ الأملِ والكتبِ الناقصة .

(126)

خالجَه يأسُ من يرفعُ جبلاً من قاعِ البئر .
مستعيداً ماءً يُسعفُ الحنجرةَ ويُبرئُ الفؤاد .
يُديرُ بصرَه في عتمةِ المكان .
فيما الصمتُ كثيفٌ ،
والخطأُ أجملُ من الصواب .
خطأٌ في هيئةِ الصمت .
يُحسُّ به الشخصُ ويلمسُه
وهو ينداحُ ببطءٍ كدخانٍ ثقيلٍ
يلوبُ في فضاءٍ محبوس .

(127)

يختلطُ عليه الشكلُ ،
هل قَدحٌ أم قصعةٌ أم قارورةٌ .
يأخذُ شكلَ الخمرِ وسرَّها ،
هل ماءٌ قديمٌ ينحتُ الشكلَ
على الهوى و المزاج .
هل الخمرُ تخدعُ الزجاج ،

أم أنّ للزجاجِ سلطةَ الرؤى .

(128)

تحتضنُ الأمَّ أطفالها
تصقلُ معاصمَهم لحديدةِ الوقتِ ،
و تؤهّلُهم لتبادُلِ النوم
في النصِّ
و الصاعقة .

(129)

جئتُ ،
جئتُ ، ولم يكن أحدٌ هناك .

(130)

كتيبةُ الأيائلِ
ريفٌ يحزمُ المدنَ .
كاتَبَها سيّدُ الجبلِ
وخبّأَ لها مباغتاتٍ وسهوباً مثقوبةً ومنحدراتٍ ،
يتدهورُ فيها قليلُ الخبرةِ والطائش
وربيبُ المحنة .

(131)

لكَ أن تسمعَ البابَ في هودج النشيد .
تسمعُ هذا الصوتَ في ليل الحَريرِ
تاجاً يتصاعدُ ،
مثلَ اللهبِ في شهوةِ التجربة .
تسمعُه ، فتنتابُك شهقةُ الصقرِ
وهو يتعلّمُ الهواءَ على هاويةٍ ،
وأمُّه تحلّقُ أمامَه ،
تُغريه بحنانِ الريح .

(132)

من ماتَ قبلَ الطقوسِ له جنَةٌ
ومن لم يمُتْ . . لا يموت ،
بكَيْنا له
علّه يخدعُ الموتَ من أجلِنا
علّنا نحضرُ العرسَ في مهرجانِ البيوت .

(133)

قيلَ له :
«لا تقصُصْ رؤياكَ لها ، فلا هي تفسيرٌ لكَ ،
ولا تتيحُ لتأويلكَ حرّيةَ البوح»

سمعَ الشخصُ الكلامَ ،
لكنّه وقفَ في نهايةِ الرواق ،
ينتظرُ طيفَها العابرَ ، يصغي إلى نفسِه وهو يسردُ الحلمَ ،
كمن يستمعُ لشخصٍ بتقمّصُه ،
يُغويه وينتصرُ عليه .

(134)
بينهما ،
يمكنُ للضغائنِ أن تزدهرَ ،
والعناقُ على أشدِّه .

(135)
حانةُ المدينةِ
ثديان مليثان بغيومٍ وغيبوبات ،
منهُما سوف تشخبُّ هذه السهوبُ
ويختضُّ صعيدُ الأرض المغدورة .
يتأرجَحان مثلَ قِرَبٍ مذعورة .
حانةُ المدينةِ ، أقداحٌ مبذولةٌ لجنونِ الأنخاب
و احتدام الندماء ،
في عراكٍ يشحَنُ الصدورَ بأحلامِ المنتظرين .

(136)

لكنْ ،
شمسٌ واحدةٌ لم تعدْ كافيةً
لنهارٍ كئيبٍ مثلِ هذا .

(137)

قصعةُ اللغةِ متروكةٌ تحتَ عَقِبِ الليلِ ،
وأنتِ تلَهين بي ،
يقودُكِ مزاجُ المهرّجِ و حكمةُ الحاوي .
وحدَكِ في الليلِ ووحدي للنهار .
واللغةُ في همَلِ القصعةِ ،
تحتَ بخارِ الشبقِ وزفيرِ العفّة
نتبادلُ أدوارَ الخسارةِ ،
وننسى .

(138)

كلّما فتحَ كتاباً
قرأ لاسمِه اسماً آخرَ ،
تقتسمُه القواميسُ
وترِثُه المعاجمُ .

(139)

يعتزلُ ،
يـقـعدُ عن الحرب ،
لكنّها تأتيه ،
دائماً تأتيه .

(140)

وكان حين يُـدرِكُ روحَه النعاسُ ،
يودّعُ أصدقاءَه
ويموتُ على مضَض .

(141)

الحبُّ أيضاً طريقٌ للموت
الحبُّ أيضاً زهرةٌ للخسران
الحبُّ أيضاً جنّةُ الفقدِ
الحبُّ أيضاً حديدةُ الغريق
الحبُّ أيضاً هندسةُ الخاتمة
الحبُّ أيضاً
ذريعةُ الضغائن .

(142)

وكنت أمـوتُ أحياناً .

(143)

لا أحسنُ الذهابَ في الخريطةِ ،
فلا أنا مسافرٌ ولا مقيمٌ ،
وليست الأمكنةُ غير أغلالٍ
تكبرُ كلّما صَقَلها الرحيل .

(144)

كليمُ الماء
جُرْحُه ليس له ،
جُرْحُه عليه ،
سمّاه جسَداً ،
وكان بين حديدٍ يتغرغرُ بماءِ الشهوةِ
وحديدٍ يصدُرُ عن جحيمِ التجربة .

(145)

والذي حكَّ رسغَيْه في صخرةِ الليلِ
من أين ينسى ؟!

(146)

كلماتٌ يؤنّثُ بها القبرَ ،
مثلَ شخصٍ
يمنحُ نفسَه مديحَ العُرس .

(147)

يغمضُ عينيه ليرى النصَّ بقلبِه ،
ويهمسُ مثلَ صلاةٍ :
«أيّها الموتُ . .
يا حبيبي»

(148)

بغتـةً يعترفُ الطفلُ بأخطائِهِ
وصُدفةً يموتَ ،
تكترثُ الذكرى بأسمائِهِ
وتغفلُ البيوت .

(149)

هذا ليسَ موتاً ،
إنّها مثابرةُ الغياب .

(150)

يخافُني الناسُ لبشاعةِ الظاهر ،
و أخافُ الناسَ
لبشاعةِ الباطن .

(151)

نحيلٌ ،
ينامُ تحتَ جلدِه ،
مثل ملاءَة ،
ويفسحُ حيِّزاً لأحلامِه .

(152)

كلّما فتحتُ شرفةً على الماءِ ،
اندلعَتْ اللغةُ مثلَ قميصٍ يبكي جسَداً .

(153)

أيّها الحزنُ ،
يا حزنُ ، يا حزنُ ،
بالَغتَ بالنصل
غيّبتَني في الهلاكِ .

ويا حزنُ يا مُنتهايَ ،
انتهيتُ ،
و أرخيتُ عينيَّ للّيل
كي لا أراك .
فيا حزنُ يا حزنُ
ماذا سيبقى لنا ،
عندما ننتهي من بكاء البقايا ،
سواك ؟!

(154)
نقَلتُ روحي من النصِّ للحاشية ،
وهيأتُها لاحتمالِ الغياب ،
كأنّ الكتِاب ،
سيمنحُني نارَه الفاشية .

(155)
يقولُ لنا ، كأنّه يُصغي :
«الخاسرُ ، لا يخسرُ شيئا»

(156)
خارجٌ من غيمةٍ ،

وثلاثُ حالاتٍ من الكابوسِ تتبعُني ،
فأقداحي مصادرةٌ ،
وليلي شاحبٌ ،
ونسيتُ من يغتالُني ،
فتركتُ نومي شاغراً ،
وزجاجةُ الميزانِ تُغريني بموتٍ صامتٍ ،
وعليَّ أن أختارَ
بين عدوّيَ اليوميِّ والخصمِ المؤجّل .

هاربٌ من غابةٍ ،
وثلاثِ ساعاتٍ من المدحِ الكثيفِ ،
لكي أرى قنديلةَ الفتوى تؤجّلُني .

(157)

يقتسمون تفّاحاً طريّاً كلّما استحضرتُ صورتَهم ،
ويُضفون الغيومَ على سلالِ الرأسِ .
أصحابٌ ،
ويحتفلون في غيبوبة الذكرى بتَذْكارين :
وهم فاتكٍ يحنو على تاريخنا الشخصيِّ ،
أو أرجوحةِ الأحلامِ تمنحُنا ظلاماً سيّداً .
يا أصدقاءَ الليلِ ،
هل أجسادُنا منذورةٌ للنصلِ أم للنصِّ ،

كي نرثي حديقتَنا ونمدحَ موتَنا ،
وننامَ قبلَ الوقت ؟!

(158)

نسيانُهم لا يكفي
واستعادتُهم من المستحيل .

(159)

قدحي تفيضُ ،
ولِيَ احتمالاتٌ من النَزَواتِ
تاريخُ الشراكِ وجنّةُ الأخطاءِ لي
ولِيَ النقيض .

(160)

آنَ للشخصِ أن يمنحَ النصَّ
ما يشتهي ،
آنَ للروحِ أن تنتهي .

الكتاب الثاني

قبر قاسم

السَفَر

أنتفضُ أمامَهُ كطفلٍ مَخطوف

هل أشغلُ هذه الراحةَ بذَهبِ القَلبِ ،
بتضرّعاتٍ تَنْهَرُ الدَّمَ في الرأس .
مَن سَيَغفِرُ لي إن أطلَقْتُ غُبارَ الخيولِ الوحشيَّةِ
في هذا المدى الفاتن ؟

ليت أحداً لا يصَدِّقُ و لا يغفرُ .
ذاهبٌ ، في رِفقَةٍ لها نكهة الأوجِ
مَن يُقاوِمُ أشداقَ تِنِّينٍ فاغِرٍ ؟
ليسَت نُزهَةً ،
لكأنَّ ما أراهُ من بياضٍ هو الكفنُ المنتَخَب .
هل أنا الحَرفُ في الكلمة .

ينتـابُني البـرقُ فـأحـلمُ

أخترقُ الألَـقَ بسربٍ من اللقـالـقِ الرَّاعـفة
يأخذُ الوجـلُ وقتَ الغابـة ومـكانَ المـاءِ
وأُرَشِّحُ أكثرَ الأعضاء خَفَاءً لكنيسـة الجسـد .
كيف أقولُ
عن ارتعـاشةِ جسـدٍ في التجرِبة
عن الرُوحِ تَبكي ،
وتضطرِبُ مثلَ طفـلٍ خالَجَتْهُ الصـاعقـة ،
يصعَدُ في هودَجِ اللَّهَبِ
مـا الـذي تخشـاهُ ؟!
لستَ الأوّل ولن تكـونَ الأخير .
ها أنتَ في شـهوةِ السَفرِ
مفتـوناً بأجمـلِ أحلامـكَ وأكثرِها مَكراً .
تـقـدَّمْ ، نُعدُّ لك الأعراسَ والـمَراثي
نَشُـدُّ أزْرَكَ ونُسْـنِـدُ خاصـرتَكَ بالسـكاكينِ .
تقدَّمْ ، مـا أبهَـــاكَ وأنـت إلـى الكتـابـةِ كأنَّكَ إلى القَتل .

الفَقْد

شُغِفْتُ بكِ بما يكفي لتحريرِ مدينةٍ كاملة
محتلاً بكِ مثل عاصفة في الرواق
جسدٌ يَخُبُّ في الحديد طُرق تَنحَتُ أطرافي
ما مِن ليلٍ إلا وكَنَسْتُ كَوَابيسَهُ بأهدابي
وما مِن شَهوةٍ إلا واختلجَ بِها الدَّم .
ذهبتُ إليك
إليــكِ وأنتِ في مخدعِ الليلِ في خَديعةِ النهارِ
إليــكِ وأنتِ في بهجةِ الجسد
مأخوذاً بحديدة العَسْف .
كلّما وضعتُ عليكِ عضواً لئلاّ تُصيبَك الوَحشةُ
انتابتني النِّصالُ ، النصالُ كلُّها .
و ها جسدي يكادُ يذهبُ
مَشغُوفاً بكِ و أنتِ في الفَـقْد .

الصَهِيلُ.. الصَهِيلُ

جِـنٌّ يَسكنُ الجسدَ
كأنَّ كلَّ عَضَلٍ نافرٍ ذئبٌ يطلعُ من الأعماق
حيثُ يتكوَّنُ الإنسانُ
ويستوِي تاجاً .. يَبطشُ بسُلالَةِ الرَعِيّة ،
خارِجاً من طبيعته :
الوحشُ دليلُ الدَّمِ / هَدِيلُ البُوصَلةِ
هذا هو الصَّهِيـل

جـوعٌ كاسرٌ يتَـفَصّدُ في صَلصالِ الهيكل
لكأنَّكَ تَلمَحُ فضَّتـك الذهبيَّة تنتقـلُ ، كمِشكاةٍ ،
من جسدِ النَّارِ إلى آنيةِ اللَّهَب .
جوعٌ كافرٌ
مثلَ زِئبقٍ يمَنحُ الصَّدرَ شهوةَ الأوسمة :

غَفلةُ اليقينِ / غَـدَّارةُ البُوصلةِ

هذا هو الصَّهيـل

جَـرسُ الماسِ يَنـهَرُ الأرضَ
كي ترفعَ أحلامَها عالياً مثلَ طفولة في التُّـرك ،
فيما تَشحَذُ العَذارى أعضاءَهُنَّ المكبوتَةَ
لُمكافأَة الشهداء على ذهابِهم الفاتن
وغوايةِ كتيبةِ الغزلانِ لئلاَّ تخطئَ خطيئتَها :
جَنَّـةُ الليلِ / خديعةُ البُوصلةِ

هذا هو الصهيل

جنَّـةٌ تَمزجُ ثلجةَ المِحرابِ بحجارةٍ أكثرَ جمالاً وقُدسيَّةً .
تَـدُلُّ النَّائمَ على ذخيرة المُخيِّلةِ
وتفتحُ الرَّقصَ في خريطةٍ مستسلمة
فتبدأُ مدنٌ تتَلَفَّعُ بالذُّعرِ كأنَّـها العَدُوُّ
هروباً من المستقبلِ :
شَكيمةُ الحُلمِ / اقتراحُ البُوصلةِ

هذا هو الصَّهيل

جُـوخٌ تَهـرَّأ لفرطِ المديح ،
مَشدُوخٌ بشهوةِ الأسئلةِ وهي تنهضُ من المَـذَلّـةِ ،
فيُصابُ بهيبةِ التَهَدُّجِ .
سناجِبُه تَكنسُ القَطيفَةَ بِفَروِها الأليف .

مَضى عليه وقتٌ في نِعمةِ الوعدِ
ولم يُرْخِ حواسَّهُ لسماعِ الكلام ،
ما إنْ تُقَلْ لهَ الكلمةُ حتّى يتفصّدَ النَّحلُ من كتفيهِ
مثلَ بوصلةٍ تسأمُ مجدَ التِّيهِ / نجمةُ المُعسكرِ
هذا هو الصهيل

جثةٌ تمرحُ في ذاكرةِ الناس
مشمولةٌ بغُنْجِ المؤامراتِ
موصُولَةٌ بجسدٍ يتَفلَّتُ من تاريخٍ لـه موهبةُ الميزان
وغيبوبةُ الطريقْ .
جسدٌ لم يَخْلَعْ درعَه الأخيرَ
مثل حصنٍ ساهرٍ يتبادلُ أنخابَ الجليدِ في هَدْأةِ الوحشة
وما إنْ تُدِرْ الجُثَّةُ رأسَها ناحيةَ المشهدِ
حتى يختلجَ الكلامُ في الصدورْ .
أوّلُ الصّوتِ / آخرُ البوصلةِ
هذا هو الصَّهيل

جحيمٌ يُسَمُّونهُ بلاداً ،
حيناً يقالُ له الوطن ،
وغالباً يحمِلُه الشخصُ مثلَ خيطٍ من الأوسمة :
زينةُ الضَّريح . جنازةُ الأمل .
قيل إنّهُ الوقتُ والمكانُ
يتراءى مثلَ الحُلمِ فيما يكونُ وهماً

يتمارى فلا تُدركهُ البَصيرةُ ولا يطالُهُ الكلامُ
لن تعرِفَ ما إذا كنتَ سَيِّداً في هذا الجحيمِ أم عَبداً .
ليس لكَ أن تقولَ باللغة
وما إن تقُلْ بيدِكَ حتّى ينالَكَ القَصْلُ
ففي الجحيمِ ، الذي لا تسبقُه جنّةٌ و لا تَليه ،
أنتَ في المَهَبِّ
مزاجُ الرّيحِ يعصِفُ بكَ
ومَزيجُ الحريَّةِ يدفعُكَ إلى التَّهلكةِ .
في المهبِّ ، ترى إلى نفسكَ :
سيِّداً يهذي / رقيقاً يتملكُهُ الحُلُمُ
هذا هو الصَهيـل

جمـرةٌ ، شهـقـةُ اللغة ،
قُـلامةُ اللَّحمِ الـمَرعُوشةُ في مكانٍ بَينَ الأسنانِ والحَنْجَرة .
وقيلَ إنَّها تميمةُ المُجَدِّفِ مُمعِناً في غواياتِه .
تَهتاجُ ، فيبدأُ النواحُ يوزِّعُ سُرادقه
فضاءً يـزخرُ بأشباحٍ تـزعُـمُ أنَّها النّاس .
تؤُجُّ مثلَ خبيئةِ العاشقة
يكتـظُّ بها الأَسرى ويَطيشُ لها عَقلُ الطُّغاة .
قيلَ إنَّها كلامُ النارِ للغابة
وكُلَّما جاءَ ماءٌ ، صَعَدَ الأُوارُ واشتعلت ضَراوةُ النُّحاة :
جمرةٌ . نارٌ . كلمةٌ / لا نهائيةُ النَّصِّ
بصرةٌ . كوفةٌ . كتابةٌ / نهضةُ البوصلة

هذا هو الصَّهيل

جِنـسٌ يئنُّ تحتَ عريشةِ اللّذَّةِ
وأنتُم حولهُ تَطغَون بقصباتِكم المَثقوبةِ
في عزفٍ مثلَ جَوقةٍ
ينقبضُ وينبسطُ يشدُّ ويُرخي
يشهقُ ويطالُهُ شبـَقُ المَوجِ والجُنون .
تطلبون لقصَباتكم بَهجةَ العَظمِ لتخلِطوها بفضَّةِ الهيكلِ
يتخبَّطُ ويتلمَّظُ يختلجُ ويخرجُ ،
فتُصابونَ بهلعِ المرأةِ في مخاضٍ وثَكْلٍ
مثلَما تخضَعُ جهاتُ الرُّوحِ للبوصلاتِ الفاتكةِ
هذا هو الصَّهيـل .

فَجُّكِ العميق

جُرحُكِ الوحيدُ الذي لِي ،
هل تاجٌ يَتكاسرُ عليه المُلوكُ ؟
هل نارٌ خَجُولـةٌ تُغرِّرُ بالصَّعاليكِ وقطَّاعِ الطُّرقِ
وتفضحُ كبرياءَ القراصنة ؟
جرحُك هَدْأَةُ الليلِ ،
قلتِ مرّةً إنَّه واهِبُ العاصفة .
هل أنت قُبلةُ العاشق يغتصبُها شخصٌ غائب ؟!
هل جنةُ الأقاصي ،
لا يذهبُ إليها شخصٌ إلا وأُصيبَ بوهبـة قلقامشَ
لكي يَفقـدَ صَديقاً ؟!
قلت مـرّةً عن فُحول تتبادلُ الهجومَ
وتُـؤجِّجُ الجُرحَ بنحيبِها . .
فيما تَحُـكُّ جنسَها بحراشفِ الجبل

تَحرسُك في نزهةِ الليل .
الآنَ ، لم يَعُد النهارُ كافياً و لا الليـل ،
فَفي كلّ منعطف أَسمعُ لجرحِك صَريخاً
مثلَ شَبقِ العناصرِ وشَغف النّاسك ،
لِئَـلاَّ يموتَ قبلَ الحُبّ .
جُـرحُكَ المَكنُونُ
يُسمُّونهُ الحِصْنَ في شَاهقِ الجبل ،
هو البَعيدُ المبذولُ لشهوةِ الأقاصي
قلتِ مرّةً إنّه لِي ،
وكلّما وضعتُ يدي عليك غاصَت كأنّها رِيشةُ السَّديم
لا تعرفُ البوصلةُ جهاتِك ولا يَطالُك الماءُ .
جـرحُكِ جهةٌ تحجُّ إليها الجيوشُ وتتدفّقُ فيها الأنهارُ
ويُصابُ بالفَقدِ كلُّ باسلٍ يتوهّمُ النَصرَ أو يتوسّمُ الهزيمة .
فَجُـك العميقُ في العفّةِ مفتـوحٌ مثلَ أَشـداقِ المغفرة
تركـضُ إليه المخلوقـاتُ مـأخـوذةً بشريعةِ الغـزوِ .
قيلَ إنّكِ الصَّدرُ الواسعُ
يَقبَلُ التَّوبَةَ ويأخُذُ إلى الغِـوايةِ .
قِيلَ كَنـزُ السِّلاح .
عنـدمَا يَفـرُّ الجَسدُ من نصَـالك لا ينجُـو من الذَّبيحَةِ
حيثُ الجُـرحُ الوحـيدُ المَفتُوحُ علَى آخرِه . . .
مثلَ بَهوِ الجَحِيم .
قلـتِ إنّـه لـِي ،
جـرحُكِ الذي تـاجُ المُلكِ و وردةُ الناسِ ،

قلتِ لي وحدي .

هل أنتِ جرحٌ أم سَلَّةُ السَّناجبِ

أم نيازكُ مذعورةٌ تخدعُ الليل؟

من أين لكِ هذا التَّماهي وهذه التحوّلاتُ

تذهبينَ إلى ناسِ العُرسِ فيصابونَ بالوَجل .

ها أنتِ أجملُ من يقولُ

ها أنا

أضعفُ من يسمعُ

...و يُصدّق .

في حضرة المليكة

كنتُ في حاشيةِ المليكة
أرفعُ ذَيلَ قفطانِها إذا مَشَتْ ، وأُعَدِّلُ وِسادةَ الرِّيشِ لظهرِها إذا استلقت على أريكة . وما إن تنظرْ إلى دَورقِ النَّبيذِ حتّى أُسرعَ ساكباً في القدحِ شيئاً من الروح . أَصفُّ أمامَها الأواني لكي تَطالَ أصابعُها ما تَشتَهي ، لا أدعُ الكأسَ تَفرَغُ ، وليس للخُبزِ أن يكونَ عَصِياً على لؤلؤِها الكريم .
هكذا جلستُ في حاشيةِ المليكة
تَرى إليَّ كلّما رأيتُ . ومن بين الجَمع تشيرُ لي كَي أفتح القصرَ للجنودِ ليحملوا هودَجَها إلى غرفةِ البرج الأعلى . وما إن يرتفعْ الهودجُ برشاقةِ الهواءِ ، حتّى تطلُّ من بين ستائرِها المسدلةِ وتومئَ لكي أتقدّمَ الموكب .
هكذا تقدمّتُ حاشيةَ المليكة
في غرفةِ البرجِ الشامخ ، تَصْرِفُ الجَميعَ وتستبقيني وحيداً ، وحيداً معها . تنهضُ من سريرِها المُترفِ وتذهبُ لتُحكمَ رِتاجَ الباب . فرأيتُ المليكةَ تفعلُ شيئاً بنفسِها ، لا أجملَ من مليكةٍ تُغْلِقُ باباً لتنتخبَ

شخصاً ، ولا أجمل من أنْ تكون أنتَ هو الشخص .
هكذا مع المليكة في مكان
تستديرُ نحوَ النّافذة لتُرخيَ الستائرَ ، وتقترِبُ منّي واقفاً في سَكْرةِ الذهول ، أكادُ أموتُ لدورةِ الدّم ، دَمٌ يفعلُ فعلَ الرَّعد في الأوردة .
تقتربُ ، تقتربُ ، العطرُ الملكيُّ ينسَرِبُ في مسامٍ تُوشِكُ على التَهتُّكِ في جسدٍ يستيقظُ من سباته . . أو يكاد .
تأخذُ بيديَّ وتمشي نحوَ سريرِها الوثير :

(اجلسْ)

كانَ الصَّوت قادماً من الكوكبِ الأحمرِ البعيد .
جلستُ .
أعني رميتُ بجسدٍ لم يَعُدْ لي سلطانٌ عليه ، فوقعَ في نعومة تحضِنُ مثلَ الريش . جَلَسَتْ إلى جانبي . وضَعتْ كفَّها على كتفي . تحسَّستْ كَمَن يوقظُ الملائكَ . وراحَت تَفُكُّ أزرارَ القميصِ ، ثمّ استدارَتْ تنظرُ في ظهري العاري وتمرِّرُ أصابعَها النحيلة على زغَبٍ مذعور .
وبدت كَمَن يقرأُ الجسدَ : (كلُّ هذي الجراحِ والنّدوبِ والأوسمة؟)
ها أنا حاشيةٌ للمليكة . . وحدي .
عاري الصدرِ والظهرِ والحواسِّ . المليكةُ تضعُ يدَها على جسدٍ يمتثلٍ أليفٍ مثل ذئبٍ يرتعشُ لفرطِ الخجلِ . تُنَقِّلُ يَدَها حيثُما تشاءُ ، وتسألُ : (من أين . . من أين ؟)
كيف لِلُّغَة أن تُسعفَ الشقيَّ في حضرةِ المليكة ؟!
أرفعُ عينيَّ معتذراً عن الصَّمت وهي مشغولةٌ عن الجواب . يدُها تقرأُ

جسداً كانت لي سطوةٌ عليه . تبحثُ عن آثارِ مُدُنٍ كانت ، كمن يدرسُ خريطةَ الكنز . تستديرُ نحوَ القناني الصغيرةِ المصفوفةِ عندَ سريرِها ، تختارُ واحدةً ،تفتحُها ، وتسكبُ في راحتِها قَطراتٍ تَشعُّ وهي تغادرُ زُجاجَ الدَّوْرَقِ ، ثمّ تمسحُ برحيقِ الكهرباءِ صفحةَ ظهري ليصبحَ مستسلماً لرغبةِ آلهةٍ تكتبُ . تنتشرُ رائحةُ الجَنَّةِ في فضاءِ الغرفةِ الملكيّة ، أشعرُ بفروِ يدِها على جسَدي مثلَ حنانِ الماءِ وعذوبةِ النعمةِ تغمرُ الجسدَ وتسحرُ الروحَ . راوحتُ بين المليكةِ والملاكِ ، فقد كان ذهَبُ النومِ يهطلُ ، وفِضّةُ الجسدِ تَفيض

كنتُ حاشيةَ المليكةِ وكنتُ لا أزال .

مديح النيران

باسلُونَ في مَديح النِّيرانِ . كلُّ موجةٍ من الوقتِ الناصع نُسمِّيها رُقعةَ القتالِ . نَغفلُ عن شاهقِ الجمر . نتخبَّطُ في فَضَّةِ الذَّهبِ . ملَطَّخُونَ بالعناصرِ وريشِ الضَّحايا . كلُّ مُخيَّم يمنَحُنا أسمالَه لنطمئنَّ ونثِقَ . والحوافرُ تبذرُ قمحَها الفاسدَ في طينِ الناس . موغِلون في المذبحةِ ، نتشبَّثُ بزهرةِ الليمونِ في جيوبِنا .

نَرثي ونمدحُ .

لنا دلالةُ الحزنِ ، والدَّمُ دَرَجٌ لمراراتِنا

لا النِّيرانُ تَغسلُ القميصَ

لا الذئابُ تألفُ الجُبَّ

لا البحرُ يسعفُ السفُنَ   ولسنا للنسيان .

باسلونَ

سواعدُنا رهينةُ الكُتُبِ ، و لأحفادنا موهبةُ النَّدم .

يقذفونَنا بالأحصنةِ فنظنُّ أنَّها هديَّةُ العذابِ الصَّديق .

أطفالٌ يَرفعونَ أسمالَهم في طليعةِ أصواتِنا . يقتَحمون الطريقَ الملكيةَّ ، فنشعرُ بدبيبِ الوحوشِ في زَفيرِنا ، فيما نرقبُ صافناتٍ عَوَّجَتْها الانتظاراتُ ، لم تزل في هيبةِ الغيابِ .

باسلونَ حَوْلَنا جوقةٌ تعزفُ البراكينَ

كمن يُغْرِي الجسدَ بأكثرِ النصالِ رشاقةً و رأفةً .

وكلَّما تصاعدَ القتلُ في مكانٍ ، صارَ الجسدُ مَليكَ المجابهاتِ ، سيِّدَ التجَلِّي :

الجسـدُ / حديدٌ طريٌّ تستفردُ به دَمَاثةُ المليكة

الجسـدُ / حنينٌ يأخذُ شكلَ الحُروف

الجسـدُ / حُبٌّ يتلاشى في زِئبقِ النَدم

الجسـدُ / حالةُ الذهبِ في مديحِ النّيران

الجسـدُ / حيلةُ الطّينِ لئلا ينجوَ من الماء

الجسـدُ / ذبيحةُ الجسدْ .

وضعتُ لكِ المحبة

مُضْغ لكِ منذُ الكتُب   و أنتِ لا تقُولِين

شَهَقْتُ إليكَ مثلَ الطُّفولة ، بحاجةِ لِمَن يَسمعُ صَمتي . أنا سيِّدُ الإصغاء احتَجْتُ لمن يبادلُني الصمتَ . فتحتُ شرفةً وملأتُ رئتي بنعمةِ الريح ، هواءً تتَقافَزُ فيه الأسمَاكُ وتتَخلّلهُ أعشابٌ وجِنّياتٌ ، تنفَّستُ بعُمَقِ البَحرِ والغَرِيق . وَحيداً كنتُ مع انتظارِكِ وما اكتفيتُ . كيف يعجزُ شَخصٌ ، يزعمُ الكتابةَ ، عنِ الكلامِ ، كنتُ وحدي ، وأنتِ تُمعنين في هجوماتِ غيابكِ . وما إن أُطلق رِيشَ تَعبي عليكِ حتّى تمنحي الروحَ فسحةَ التَعب . كنتُ أكثرَ من وحيدٍ ، وأقلَّ من الهذيان . دخلتُ القلعةَ ، تغلغلتُ في غرفةِ النقوشِ المزخرفةِ بموتى مازالوا يحكمون ، كنت هناك تُفسدين هيبتَهم . وحين استدرتُ خارِجَاً سَمعتُ ناياً يشبهُ صوتَكِ يستمهلُني ، فالتفتُّ لأرى ما لا يُرى وما هو غيرُ مَوجُود . رأيتُكِ هناكَ ، تجلسين في غَفلَةِ الأرضِ ، تغزلِين ابتسامةً لمديحِ المراثي . كنتِ تشبهين نفسَكِ ، أنا الذي لا أعرِفُ لكِ وقتاً ولا

مكاناً ، رأيتُكِ هناك .

وحيدٌ ، وأنت لا تذهبين و لا تأتين .

أحسنتُ الإصغاءَ ، وأنتِ لا تقولين الكلامَ لوَحشةِ القلب .

ماذا تريدين منّي ؟

وضعتُ لكِ المحبّةَ في كلِّ حجرٍ بقلعةِ الملك .

محبّةً تكسرُ الليلَ وتُغوي نهاراً يتأخّر ،

فيما نَتمرَّغُ في وردةِ النوم .

بعيدةٌ . تملأين غرفةَ الليلِ بطيفِكِ الشريد

وتُهملين الأحلامَ شاغرةً بكِ .

وحيداً ، أصغيتُ حتّى تجرَّحتْ حنجرتي مثلَ ذئبٍ يفتنُ الغريبَ

و أنتِ في ازدهارٍ لا يهدأُ

كحَجرٍ يطيرُ كلّما كتبتِ فيه اسماً يُخفيك .

يا أبعدَ من الغابةِ و أكثرَ كثافةً من الغيوم .

امرأة

تبعثُ الحريرَ في الدَّم
وتغزِلُكَ في النوم مثل قنديلٍ يَرسمُ السَّهرة
تنتخبُ لكَ الليلَ فتحنُو عليكَ الأحلامُ
ترأفُ بكَ في ظهيرة المطر مثل زُجاجةِ الله
مثلَ شُعَلٍ تَفتِنُ الظلمةَ
من أينَ ، مَن أينَ
فاكهةٌ تمنحُ جسدَكَ مجدَ المستقبل
وتمضي بكَ تمضي
وأنت تَهدُرُ دَمَكَ في خَلاعَةِ الماء
هي سَكينَةُ النيران
هو قَطيفَةُ الذهب .
بينكما صُدفةُ المسافة وبهجةُ الغياب
بينكما ليلُ العِفَّة وذَريعَةُ النَّدم .

هو		جالسٌ في كنيسةِ الكتابةِ
خائفُ الذاكرة .

هي		قرينةُ الوردة سفيرةُ النَّدم .

من أين من أين		مَليكةٌ عِشقُها يَمنَحُ هامتَكَ التاجَ
ومَدِيحُها يَصْقُلُ الذَهب ؟!!

هيأتْ الكنزَ ونامتْ

تَظَاهَرِي بالغَفلة . تَنْهَضُ بكِ هتافاتُ القلب . يَداكِ في سَريرةِ النهر . لأحلامكِ حُرِيّةُ القميص ، وللطبيعة غبطَةُ الماء . تظاهري ، ودَعي الموجةَ تكشفُ ترفَكِ المكنوزَ . هَودجٌ حارَبَتْ من أجله الشعوبُ . وَضَعَتْهُ ونامَتْ تحتَ شجرة ، قيل إنّها نخلةُ الليل ، وقيلَ إنّ الكواسِرَ تَعرِفُ السرَّ ، لكنّها تَقْصُرُ عن النَظر . بياضُك من حَريقٍ وشهوتُكِ تقودُ قَطيعَ النيران . لك قميصٌ يَنهَدُ مُستَبسِلاً بِهزيمةِ الهُجوم . فتظاهري لكي يعرفَ الرُماةُ أنَّ أرضاً تزخرُ بالهدايا وضَعَت الحَقائبَ على عَرَبةِ التِّيهِ وتاهَت . تَظاهَري بأنّكِ الأرضُ والحَقيبَةُ والعَرَبةُ والطريق .

تظاهري بالغيابِ وتماهَيْ مثلَ رَمَادِ الغابات : سَاكنٌ ومَجنُون .

تَرينَ السَاحراتِ تَخرجُ عن رَزانَتِها وتَهجُوكِ بسلالٍ مُفعَمَة بالرَغبة . ما عَليكِ إلا أن تُعلني المُدنَ المكتظّةَ بمكيدةِ النوم ، لِتَشهدي الدّماءَ تَطفرُ من الأنيابِ والمخالبِ مثلَ صمتِ البراكين . تظاهَري بالنّوم ، تستفردُ بكِ الكوابيسُ كأنّكِ ذاكرةُ المَخبأ ، تنتقلين مثلَ اللونِ الحائلِ من خِرقةٍ

إلى خَندَق . تظاهري أيَتُها الوَحِيدةُ في القتيلاتِ ، مُسَجَّاةً في عرباتِ التيه ، أكثرَ نحافةً من القضبان وأبعدَ من السَّديم . تظاهري بالغفلة ، لكنَ لا تَغفلي عن كنزِك ، جنّةٌ تَمرحُ في مُخيِّلةِ الناس .

هيِّئي الكنزَ وتظاهري بالنومِ . . ونامِي .

الليلُ حتى مُنتهاه

قميصٌ من حَريرِ الحَديد قَميصاً لَـهُ ،

هو الذي لم يَلبَسْ قميصاً .

عندما دَفعوه إلى الجلوس ، هو الذي لم يعرفْ مقعداً ، قالوا له ارْخ جسدَكَ . لأعضائه طبيعةُ السَّفر . لا يُشبهُ المكانُ مكاناً رآه . قالوا دَعْ كتفَك الوجيعةَ تأخذُ من هذه الفُسحةِ راحةً ، فَفي كلِّ منعطفٍ سوف تجدُ رُمحاً ونادباتٍ . عندما التفتَ كان كلُّ شيءٍ يتناسخُ أو يتحوَّلُ . بينَه وبين غرفةِ الليلِ غابةٌ تهدرُ أنهاراً ليست من ماءٍ ولا تَسيل . بين كتفيه حَربةٌ مَعقُوفةٌ غَرَسَها آخرُ المهاجمين . التفتَ فخرجَ كلُّ شيءٍ عن طبيعتِه . دَفَعُوهُ إلى جلوس ، هو الذي لم يضعْ جسدَهُ على سريرٍ ولم يرتخِ ولم يعرفْ الهَجعَةَ . قالوا ، فتحسَّسَ جرحَهُ ، والغابةُ تَهدُرُ أشجاراً ، والعصافيرُ تتفصَّدُ بأجنحةٍ مثقلةٍ أوشكت أن تنسى عادةَ الريح . مَن يَمنحُ الريشَ لذَّةَ الهواء ويَحمِي مَوضعَ الجُرح . لم تزلْ أعضاؤُه تتساءلُ عن مساءٍ مترَفٍ بالدَّمِ . دفعوه ، فمرّت أصابعُه الناحلةُ

في قميصٍ يرفلُ به ذاتَ موت . لم تكن حرباً وليس بين أيّامه ولياليه سَفرٌ . قالوا ، فتدافعت أعضاؤُه وهو ينقلُ قدمَه في وجع ولا يرى غيرَ الهباء . دفعوه فتكاسَرت المخلوقاتُ هاربةً من أَسرِ الغرفةِ مندفعةً في قميص حائل . حِرابٌ تطاردُه . يمنحُ جسدَهُ لأقربِ أحفادِه في بقايا السَّفرِ . إن ارتاحَت الأعضاءُ يفسدْ الجسدُ . لكَ أن تفضحَ الإرثَ بقميص مخذول . أيّامُه ولياليه والهواءُ الذي كلّما خفقتْ ريشةٌ تعثّرت النوافذُ بأقداح مخدوعة بشهوةِ الينابيع ، أيّامُه ولياليه . يُسمّونه بهجةَ اللهِ تتصاعدُ مِن أعضائه المناديلُ ملطَّخَةً ويهفو لمكبوتاتـه تتكشّفُ أمامَ جسدِه بقايا الرُّوح وأصغرُ أحفادِه يأخذُه الوهجُ : من أين جئتَ بكلِّ هذا ؟ ليسَ في الجَسدِ ليسَ في الروحِ . يتأرجَحُ مثلَ غيبوبةٍ مثلَ ليلٍ ينسى . لا يعرفُ ، لـه ، عليـه ، عندَه . منذُ الأصدقاء منذُ ردَّة البابِ منذُ الغرفة . لم تعدْ أعضاؤُه وليس بين أيّامه ولياليه غيرُ هيكلٍ مهدورٍ تغدرُ به الليالي والأيّامُ . قالوا له ، قالوا عليه . لكلامه طبيعةُ الأسلحةِ تَـهزِمُ تُـهزَمُ . يَختَضُّ دَمُهُ الباقي ، يصبغُ به جدرانَ الليلِ . وكلَّما غسَلوه بالحديد كلّما منحوه لشكيمة الغابةِ كلّما احتَفَتْ به النصالُ كلّما انثنى ليرأفَ بأعدائه كلّما بَينَ عينيه كلّما أسَّسَ لهَدم كلّما انتَحَبَت كلماتُه كلّما كَلَّمَ الماءَ كلّما كان يصغي كلّما الليلُ يَنسى كلّما الجرحُ والهوى كلّما الميلُ والتعديلُ . بينَه مسافةُ المساءِ المهيمنِ ، لا يعبأُ بتضرّعاتِ عناصرِه المتوجّعة المستوحشة ، يَحـمُّ جسدُه بتأوُّدِ الأرضِ وطقسِ الوهمِ ، انزاحَتَ شرايينُهُ تفتحُ الطريقَ لنصلٍ ضار . شُبِّه له ، فلا تتركوه وحيدَ الكتفِ موغلَ الليل كـمَن ينتظرُ لصّاً يتذرّعُ بالقميصِ ، ينتظرُ عَدواً يُشفقُ ، ينتظر ذئبةً تفوزُ به وتعصفُ بطحينها جسداً تَهدّلَ جلدُه وتَخَبْخَبَ في غابةٍ من الشظايا ، تقرأُ له مرثيةً ما

إن يلتفتْ ما إن يَنْـتُرْ عنقَـه المعروقةَ ما إن يحدِّقْ ما إنْ يظنَّ أنَّه يرى ماءاً . ماءٌ بين أيّامه ولياليه ، يسألُ ، يتأجَّجُ في غرفةِ النادبات ، يدفعونه إلى جلوسٍ ، هو الذي لم يطمئنَّ لقاعدٍ ولا قاعدة . عيونُه تكسرُ الأفقَ ، بينَه وبين أيّامه ولياليه سؤالٌ يُؤنسُ وحشةَ الطريق . يتدافعُ في حريرِ القميصِ . وَهْـمٌ في وَهْـم . لئلاّ تخدعَ الراحةُ آخرَ الأصدقاءِ . يَدُسُّ في الدم . ينتحبُ . قالوا له ، وهو ليس للراحةِ ولا الحريرِ . مثقلٌ بالكتفِ المكسورةِ والريحُ تخفقُ في نهضةِ الجناح ، يُصغي لهاتفٍ في مكانٍ لا يعبأ بجدارٍ يدفعُه لجدار : تَرفَّـقْ بكتفكَ تطلع منها طيورٌ وملائكُ حَولها حرابٌ وجيشٌ . هاجَتْ شمسٌ صديقةٌ لأيّامه . يتقاطرُ الكلامُ مثل سربٍ من المرايا . يرى أنّه يرى . يدفعونه إلى جلوسٍ فينهَرُه الوجعُ أن قِـفْ . أنْ لا تُصْغِ ولا تدع . أنْ اسكُتْ عن البوحِ واهْـذِ خاتمةَ الناسِ بين موتٍ وموتٍ . تَذكَّرَ نسيانَ الحجرِ والكيمياءِ . تَذكَّرَ أشجارَ الغابةِ غُصناً غُصناً لئلا يُصَدق .

يرفلُ بأصفادٍ صديقة ، مثلَ ثوبِ العروسِ مثلَ قنديلٍ يُراهقُ ويتلاعبُ بأشباح الناسِ وتحوّلاتِ القاطن والمسافر ، يقذفُ بأعضائه نحو تيه . يشكُّ فيما يستوجبُ الثقةَ ، يتدافعُ كما يفضحُ المساءُ الوقورُ مَساءً مثلَه . يكابرُ في رمادِ الغرفةِ ماءٌ ثقيلٌ لا يسمعُ ولا يَرى . لكَ هذا الجلوسُ ، لكَ ، وهو في غيمةِ السَّفرِ ، وحشٌ يُضاهي غوايةَ القميصِ ، يهذي بنهضةِ الرُّوح وهدأةِ الجسد . لكَ الكتفُ فارفقْ بها وانظرْ وانْتَظِرْ . يمضي ، يظنُّ أنَّه يَمْضي . سلاحُه ريشَةُ الرِّيح وهواءٌ ينعشُ الدَّمَ . يَهتَاجُ ، يدفعونه بكلامٍ يغفلُ بين أيّامه ولياليه . لا قميصٌ يؤرِّخُ ثلجاً في كتفٍ تتمرَّغُ في تُراثٍ في ليلٍ . يَدانِ مأخوذتان بصليلٍ راعفٍ يُصغي لتدافُعِ العناصرِ مَعصُوفةً يراها ، فيمضي به الظَّنُّ ، يمضي مثل

وشم ينحني على قنديلٍ يَشحُبُ برأسٍ مشدوخ. ولا هو يهفو إلى جلوسٍ، لم يعرفْ مقعداً ولا يطمئنُّ لغيرِ ما تدّخرُهُ ذئبةُ النوم. ليست أيّامُه ولياليه غيرَ جسدٍ يهوي فتنهرُه الروح. تركت الغابةُ عليه العبءَ. كتفٌ تنسُلُ مخلوقاتٍ لا يسعُها كتابٌ. مُنتهى شهوةِ الليلِ ذاكرةٌ مُزدهاةٌ وجَسارةٌ تزخرفُ الشُرفةَ. هاتفٌ من مكانٍ. كلّما حَرَّكَ الأصدقاءُ خبيئتَه صارَ له يأسٌ، وتيقّنَ أنّ أيّامَه ولياليه، ليست أيّاماً ولا لَياليَ.

يُسافِرُ ويَسهر

(1)

يُؤثِّثُ طريقَه بأشباحٍ في رهافةِ الريح . حُوذِيٌّ يغتاظُ لضراوةِ الغبار حولَ مواقعِ خيله . ما كانَ له أن يغفلَ عن رعشةِ الغريب . غريبٌ سهرَ الليلَ يملأُ الأفقَ أحلاماً ومَناديل . بينَه وبينَ الطريقِ بوصلةٌ ثملةٌ وأسرى مُجَلَّلونَ بالبياض . حوذيٌّ يسأمُ لامبالاة الفَرَسِ بغُرَّتِها الشقراءِ ، وتلويحةِ الوداعِ الواهنِ يغري أشباحَه بسهرةِ السَّفرِ عندَ منعطفِ المجرّات . يضعُ في قميصِه القديمِ نقوداً مثقوبةً بنسيانِ الدُوَلِ وذاكرةِ الناس . كَتَبَ الليلَ حتّى منتهاهُ ، قادَ عرباتِ السُّهوبِ ومحطّاتِ الثلج ، وعندَما شغفتْ به سفيرةُ الغابةِ تَرَكَ الخيلَ ومواهبَ السَّفرِ ، محتقناً ببريدِ النَّوم ، حيثُ الكتبُ بلا ذاكرةٍ ولا نسيان ، يضعُ جسدَه تحتَ شُرفتِها ، ويُحصِي أقداحاً تُسكرُ الغابةَ وتفيضُ بغيبوبة المغادرين . لم يكن وحيداً ، لكنَّه لم يرَ أحداً سواه . مَشغوفَةٌ به قادماً في خشبِ

العرباتِ المجنونةِ أفراسٌ تَهشَلُ به بِلا رأفةٍ ولا مكان . حُوذيٌ أرعنُ مثلَ هذا جديرٌ بأشباحٍ في دماثَةِ الغريبِ وهو يُمعِنُ في التيهِ ، يرى الذئبَ الحزينَ فيُصَابُ بالغبطَةِ . لأجلِ هذا هَجَرَ خشبتَه المقطورةَ بالريحِ ، غَفلَ عن سَفيرةِ الذئابِ ، مأخوذاً بوردة الجوع .

(2)

أيّها الحُوذيُّ الأرعنُ ، تعرفُ غوايةً تتوغّلُ في شراكِها . شبَحٌ تائهٌ يَشخصُ نحوَ الأفقِ المشحونِ بغبارِ الطلع . بينكَ وبينَ الخيلِ أكثرُ من الرفقةِ وأقلُّ قليلاً من السُلالةِ . معقودٌ في أسمالكَ الشعرُ ، وترفلُ في خطرٍ شاملٍ . وصَفوا لكَ جادَّةَ الطريقِ لتبدوَ لكَ المجرَّةُ ، وأنت لا تغادرُ بَهْوكَ المسوَّرَ بالوحشِ والبراثن . آنَ لكَ الكشفُ : فضيحةٌ لكَ وفضيحةٌ عليك . آنَ لك أن تصغيَ لوقع الحوافرِ وهي تَـدُكُّ منكَ الروحَ والجسدَ . لم نصادفَ حُوذِياً مغروراً مثلَكَ ، أحببناكَ مثلَ مناديلِ الوداع المرَنَّقَة بدموعِ القاطنِ والمسافرِ . أحببناكَ لئلاَ تصدّقَ لغيرنا حزناً ولا شَجَناً . تُمعنُ في ابتكارِ الوقتِ في انتظارٍ شاسعٍ لا يَشفُّ . لئلا تفتكَ بكَ الأوهامُ .

لم نكن لكَ المكان .

يا حوذيّنا الجميلَ ، ارفقْ بنا ولا تذهبْ أكثرَ مّما فعلت .

ليس ثمّة سفيرةٌ في انتظارِ خيولِكَ غيرَ هذه القلوبِ المرتعشةِ ، تأكلُ منكَ الغربةُ ووحشةُ الطريق . فأرخِ لخيولِكَ قليلاً وأصْغِ لزفيرِنا المكتوم . نفوزُ بكَ ليلاً واحداً ، ونموت .

المليكةُ ذاتُها

أخرجُ من عُزلةِ الذهب
مبعوثاً في مليكةٍ يَلــذُّ لها اللهوُ بسفراءِ الوحشة ،
فتمنحُ كلَّ قتيلٍ قميصاً يشفُّ عن قلبٍ يشتعلُ بِها .
سَليلةُ البَدو الشاهقةُ ،
من أينَ لها كلُّ هذا الجحيم المكبُوت
المليكةُ ذاتُها   راعيةُ النَيازك   سَيّدةُ المجرّات
سهرتُ عندَ شرفتِها لئلا يخالجَها شَكٌّ في الحُبّ .
المليكةُ ذاتُها
تنتخبُني مثلَ فتنةٍ تتماثلُ للنوم .
تُطلقُ حريرَها في موضعِ النَّحر فتَطفرُ المرايا
مثلَ أطفالٍ يَطلعونَ من بهجةِ الجسد .
تتقمَّصُ شهوةَ اللَّثم ، ذئبةٌ في حضرةِ الدَّمِ
تهتفُ : العبيدُ .. لا   الفرسانُ فقط

المـقاتلُ الوحيدُ أوّلاً .

تقمَّصَتْ موهبةَ المكابرةِ

تهتفُ : لا أحدٌ يهجو قبيلةً إلا شاعرٌ ينضَحُ البَراكين .

تقمَّصَتْ موهبةَ الثّلج

تهتفُ : الحُبُّ ليسَ في المغفرة الحُبُّ جَرِيمةُ الوقت

هندَسةُ السديمِ ، طريقُ الحَليبِ ، مَدارُ الجَديِ ،

مجرّاتٌ تزدَحمُ و تزدانُ ،

والتخومُ مفتوحةٌ أمامَ بهجة النيازِك .

المليكةُ ذاتُها ،

سَليلةُ القَبائلِ الشاهقةُ ، تقمَّصَتْ الشمُوخَ ، تَحرسُ فضتَّها في جسدٍ يكتنزُ بالأسلحـةِ ، يتكاسَرُ الفرسـانُ تحتَ شـرفتِـهـا لتـرميَ بالوردةِ وتصطَفِيَ ذئبـاً حـزيناً يُحسِنُ الهِـجَاءَ والهُـجومَ ، المليكةُ ذاتُ الاسمِ المَوصُولِ بقهوةِ البدوِ وأسرارِ السهرةِ ، من أينَ لهـا هذا الاسمُ الفاتنُ ، وكيف طابَ لها أن تلهوَ بي متروكاً في الهَمَلِ تحتَ شرفتِها .

مـا إن وضعتُ رأسِي في فَرْوِها الأليفِ حتّى اشتـعلَ الثّلجُ وصـارَ القميصُ بهواً من اللّهبِ وفي زُجَاجَةِ الجَسَدِ يختَلجُ نبيذٌ قديمٌ يُشرِفُ على العَسَلِ . نقتحمُ الحصنَ مثل كتيبةِ النوم . تَوْأمِ الجحيمِ

نتحاجزُ ونتكاسرُ ونُشرِفُ على الملكِ .

الغريب

أيُّها الغريبُ
هذا نهارُكَ المشحونُ بالعمل والمكتشَفات .
في أصابعِكَ شَهوةُ الباب
أنتَ الواحدُ القليلُ ،
تتكاثرُ كلَّما دَلَفْتَ في رواقٍ يأخذُكَ إلى سُرادقِ الجسد ،
حيثُ الذخائرُ يخبّئُها لك شخصٌ
لا تعرِفُه   لا يعرفُك
وبينكما ألفُ عُرسٍ و ألفُ جرسٍ
بينكما حريّةُ الهواءِ :
عضَلةٌ مفتولةٌ في الليلِ   مقتولةٌ في النهار .
أيُّها الغريبُ
تلكَ الصخرةُ المشتعلةُ في الأعالي
منذورةٌ لكتِفٍ ما

شَخصٌ للوحشةِ   شَخصٌ لقرينِها .
جَسَارةُ الحلمِ لُكَ   ولكَ احتضانُ الصخرةِ
أيُها الشَاحبُ   المشَرَّدُ   الوحيدُ .

ذئابٌ وتهذي

دَعني لذئابٍ تهذي أيّها الغريب .

في حَضنِ امرأة شاسعة ، ما أذهبُ إلى كوخ وما أفتحُ نافذةً وما أنظرُ في قَدَح حتّى أُصادفَها مُنتَظرةً . كأنّها لم تَنَمْ منذُ تَركْنا البيتَ . يومَ اقتسمتْ معنا النبيذَ والأمتعَة . وأوهمَتْنا أنّها أخذَتْ ما يكفي ، وتركَتْنا نحملُ الباقي ، لنكتشفَ ، وراءَ الجبلِ ، أنّها وضعتْ لنا زاداً زائداً ، لتقفَ متكئةً على ظِلْفَةِ البابِ لفرطِ الجوع ، وهي تُلَوِّحُ لنا بذراعٍ واهنة .

لم أُصادفْ امرأةً تحسنُ الوداعَ بمثلِ هذا البهاء .

عـيناكِ تقطُران دمـاً ، تنظرُ المرأة منتظرةً . ذاهبـاً في هذيانِكَ وأنتَ في حضنِ امرأة مثلِها . حضنٌ قرأتُ فيه زعفرانَ الطفولةِ في برجِ الجدْي ، قَـرينُ الأجنَّة . حضنٌ ينبتُ العشبَ لكي نلهوَ به ، فنتـواءمَ ونخـدعَ

الموت . في التيهِ والبردِ والسفرِ حضنٌ شاسعٌ يضُمُّني مثلَ جنين .
فأنجو من الموتِ أنجو من القتل . تعوِيذةٌ في القميصِ لئلا أتأخَّرَ عنْ
الحياةِ وأنجو . تأخرتُ وهي في الصبر تَشحبُ ، مثلَ خُلودٍ يُخطئُ
الموت .

ثمّةَ من يريدُ قتلَنا ، وهذا يدعو ليأسٍ أقلّ .

راهباتٌ في غفلة الكاهن

افتحْ صندوقَكَ الذهبيَّ ، واسكبْ الجِرارَ على آخرِها .
دَع الأرضَ تنتشي ببسالةِ نبيذِكَ
سِحرٌ سَرَقتْه لكَ راهباتُ الديرِ في غفلةِ الكاهن .
أطلقْ الدِنانَ
كلُّ دَنٍّ من هذا جديرٌ بغيبوبَة مكتَظَّة مثلَ ثَدي الثَاكل
سَتَرى صعيدَ الأرضِ مفتوناً بشَقائقِ الغموضِ
وهي تتفصدُ مِن الرُّوح
كأنَّها الدَمُ الخَفيفُ بينَ الصَّمتِ والكلامْ .
افتحْ بهوكَ الوثيرَ وانظر إلى السَّماء
كأنَّها السُّرَادِقُ كأنَّكَ الملكُ
لتدخلْ هذا الأفقَ ولتشمخْ بحُلْمِكَ ،
تطلقُه مثلَ غرَّةِ الفَرَس ،
لتمشِّطَ جبينَكَ طينةُ الغَيمِ وتُصابَ بغابةٍ تحرُسُ الليلَ .

أن تبذلَ جسدَكَ لهبُ الفضّة ،
تمتزجُ باللثغةِ المُسكِرةِ الطالعةِ في رائحة مَسكُونة بموهبةِ الشّمس
مَـــاءٌ ،   ما إنْ يَنْدَفِقُ حتّى تصيبَهُ جمرةُ الكِتابة .
قـيلَ إنّها تَميمَةُ الوحشِ

دمٌ
بلا هَـــوَادة
نَـصٌّ

أنْ تذهبَ إليه ،
أنْ تفضَّ ذهبَكَ المختوم ونبيذَكَ المكبُوت
وتبالغَ في الشّهوة .
اسكُبْ   وليكُنْ جسدُكَ القَدَحَ
و رُوحُـكَ الخمـرةَ الشريفة .

حديدٌ يَحْرُسُ

مَوْشومونَ بذخيرةٍ أرْخَتْ لها الكتبُ ، يتأبَّطون بهجَةَ الأنثى المرصُودة لخميرة الوقتِ . يأتونَ من دماثة الليلِ ذاهبينَ لفضيحة الجهاتِ . كلَّما وضعوا دمَهُم على حَجَرٍ شَبَّ وبالَغَ في مُضاهاة الكائنِ ، لا تَسَعُهُ التقاويمُ ولا تميلُ لمعدنه الذاكرةُ . سُلالةٌ طاغيةُ الحضورِ ، مُضيئةٌ بالزبدِ والصلصالِ ، وأكثرُ هيبةً من النار .

لوَقْع أبْصارِهم رهبةُ الغابةِ وغرور الأوج . ما من موجَة إلاّ وهيّأوا لراحتَها رملَ الأقاصي وغُرَفَ السفَر . ما مَنْ سَفَرٍ إلاّ وانتخَبَ وَحشاً يهذي . يَهيمونَ مثلَ ماءٍ مجنون . كلَّما انتَبَذوا أقْداحَ السهرةِ ، فَزِعَت أنثاهُمْ الفاتنةُ بذخيرتها . يَضَعونَ أدَواتهم المتعبةَ عندَ سفحِ الغَيم ، يُؤثّثونَ الكتبَ بأسمالٍ منسولةٍ من سماءٍ مسقوفةٍ بالصلاة ، يُنشدونَ مزاميرَهم وينفرونَ من جهةٍ تَخلَعُهم ، رافعينَ شظايا الأقفالِ في مائدةِ الطريقِ تمجيداً .

ثمّةَ حديدٌ يحرُسُ المَداخِلَ

ثَمَّةَ شَعبٌ من قُلامات البُركان
قيلَ إنَّه بُوصَلةٌ تُضلِّلُ النُسَّاكَ وسَدَنَةَ الهَيكل .
يَتَكلَّمونَ فتنهضُ معهم اللغةُ ،
وتختجلُ الكَلماتُ العذراءُ مثلَ طيورٍ ضائعةٍ في العماء . قيلَ إنَّهم سعاةُ الرياحِ الزُرق ، وإنَّهم أجملُ مَن تبادلَ الفَقدَ مع الخريطة .
عندَما يستريحُ حوذيُّ النيازكِ ويُسندُ مهاميزَه في خاصرةِ الخيلِ ، تتعثَّرُ به السلالةُ وتنوشُ مجاهلَ المجرَّةِ سائلةً عن جهةٍ ضائعةٍ وخطيئةٍ تنتظرُ المغفرة .
لن يهدأَ الحوذيُّ الزاهدُ المفرِطُ في الحلُم ،
سوف يُطلقُ طُيورَ الرعونةِ من أغمادِها ، سوفَ تَؤُجُّ مهاميزُه مثلَ عَجَلةِ العاصفةِ ، وتغمسُ نيازِكُه الشاحبةُ حوافرَها في يقظةِ الجحيم .
منذُ الآنَ لن ينسى أحَدٌ رنينَ الأهدابِ الملحدةِ ، قرينةِ الفتنةِ ،
تسألُ المحنة المبجَّلة .
أنثاهُم الفاتنةُ ،
شُغفتْ بها شريعةُ الغزوِ وشاغَلَتْها غريزةُ السَلب .
أنثاهُم الناطقةُ بالوعدِ ، رفيقَةُ الخُطوةِ والجلجلةِ ، تُعَرِّي نهدَيْها في مُجونِ الكارثةِ ، وتُطلقُ في المأساةِ عويلَ الابتهالاتِ . نَهدانِ تنحدرُ منهما غيبوبةُ المساءِ ، نشوةُ الضحايا ، بهجةُ الحِداد ، نَدمُ الدسيسَةِ ، شَعائرُ النهْبِ ، رَمادُ الأراملِ ، سُلالةُ الحديد .
أفراسٌ تُحسِنُ المكابرةَ وتخذلُ الموت .

وحيدة البحر

(1)

دَعُوها ،
هذه الوحيدةُ في البحر
تأخذُنا لجرحِها الفاتكِ ، وتُعطي غُرورَها بهجةَ الأشرعةِ
الوحيدةُ في البحرِ
كأنَّ المراكبَ لا تَرى الأفُقَ إلا موصُولاً بها .
دعوها
تسوِّرُها شهامةُ الأسماكِ
وتفخرُ بها الصواري المنثورةُ مثلَ رسائلِ الماء .
لأجلِها بَجَّلْتُ زعفرانَ الأقاصي
مَدَحتُ الأبيضَ لينسابَ مثلَ غنجِ الساحراتِ
وهُنَّ يخلعنَ الفتنةَ على السُّفُن .

آخيتُ حجرَ الميناءِ
وصلّيتُ لأجلِها ، الوحيدةُ في البحرِ
تضرّعتُ أن تظلَّ وحيدةً تكسر الريح
وتعيدُ لموجِ الهُجُومِ خيولَها الجامحةَ
لتظلَّ وحيدةً مثلَ حِصنٍ .
لكنها تبذّلتْ أمامَ مبعوثِ السماسِرة
لَهَتْ بصَريرِ المصارِفِ
وخذلَتْ بسالةَ النوارسِ متكاسِرةً
وهي تُمسكُ ذَيلَ فُسطانِها الأزرقِ .
تلك الوحيدةُ في البحر
دَعُوها
وحيدةً في البحر
لعلها في التَرْكِ ترأفُ بطفلِها الشاردِ الوحيد .

(2)

وحيدةً في البحرِ
تنساني وتتذكّرُ المستقبلَ وتلهو
فيما أبتكرُ شهوةَ السّفرِ والمغامراتِ
لأجلِها ،
أُعطي دمي لجُنونِ الموج
لأجلِها ، الوحيدةُ في البحرِ
لأجلِها

تَحَاجَزْتُ في حَدِيدٍ مُترَفٍ
وفتحتُ أعضائي على النار
لئلاَّ ينتابَها الغزوُ ، لئلا تُصاب بالحَجَرِ .
لكنّها رَقَصَتْ مثلَ البجعةِ المغدورةِ
لا البحرُ لَها و لا البحيرةُ
أقولُ لها تسمعُ و ترىَ و لا تقولُ .

منحتُها القلبَ تُمرّغهُ في طِينِ الخنادق
وتَقيسُ الأصْفادَ على مِرْفقيَّ وتَلهُو
منحْتُها جسدي تجرجرُه من قَتلٍ إلى قَبرٍ إلى مِقصَلة
وها أنا قابَ قوسَينِ من الفقد
وهي تلهو بي وحيدَ القلبِ والجَسَدِ والشَفتينِ .
أحسَنتُ لها المديحَ ، لَعلَّها تمنحُني الرثاءَ .
ستذكرُني في نسيانِها . . . وحيداً
شَحَذَته المعاركُ وغرَّرَ به الولعُ .
أخيراً ،
أخيراً حيثُ لا يكونُ الوحيدُ موجوداً
وليس في البحرِ قرصانٌ تكاتبُه
ليسعفَها بغارتهِ الأخيرة . .
وحيداً في البحر .

زفير الأحجار

يحضنُك الفَكُّ كأنَّه رأفةُ القَصْل .
يَحتازُكَ نصلٌ وهو يجهشُ
تحْسَبُ أنَّه الأمُّ تنتخِبُ لكَ المهدَ ، فيما هو لحدُكَ المحتوم .
فالحبُّ قبرٌ أحياناً ،
ويفتحون لكَ الأفقَ . . لتضيعَ
يرصدُكَ رصاصٌ يطيشُ في خطواتكَ ،
تظنُّ أنَّها بهجةُ الطبيعةِ تبعثُ لكَ أجنحةَ الوُلوعِ ،
وهو هلعٌ يرصُد لكَ الخطوةَ والطَّريقَ ،
فالقَدحُ يغلبُ الماءَ أحياناً .
وأحياناً تبرُدُ أطرافُكَ بفعلِ الوَحشةِ ،
وحدَكَ في كهف ،
تقرأُ كي تخدعَ النَومَ لئلاً يستفردَ كابوسُ الوَحيِ برأسِكَ ،
فالماءُ يُحايدُ أحياناً .

يتركُك الرفقةُ في الدار ، و زَفيرُ الأحجار يتصاعدُ طُيوراً .
يختلجُ قنديلُ المعنى لِيَشي نصفُ النَّصِّ بنصْف آخرَ .
لماذا تنامُ وتتيحُ لأشباحك حرِّيةَ المخيِّلةِ وسُلطةَ اللَّيل؟
لماذا كلَّما انتابَك الذُّعرُ
هَفوْتَ بأحلامِكَ إلى حُبٍّ يسبقُ الموتَ ويَليه؟
هل لديكَ أسماءٌ واضحةٌ لشَمسِ أيّامك ؟
هل لديكَ أيّامٌ لا ينالُ منها الوقتُ ولا يطالُها المكان ؟
ذاهبٌ في وطأة الغيابِ وعذابِ القميصِ وجنَّةِ الذئبِ ،
ما كانَ لكَ أنْ تبذلَ جسدَكَ لمهبِّ الحُبِّ الصارمِ ،
مثلَما يَضعُ الفارسُ شغافَهُ في شَفْرَةِ السَّيف . .
ويَحلمُ بالنجاة .

الأكاذيبُ كُلُّها

جَسدٌ يمتَزجُ فيه الحَديدُ بالملح ، يَخترقُ الوقتَ والمكانَ في جَحيم يضَعَكَ تحتَ وطأة البهو . لا تَطالُكَ طبيعةُ النّاس ولا يعودُ الكلامُ خاضعاً . مألوفٌ تَخرجُ عليه في مشهَد يُشبهُ لحظةَ امتثال الشّيء للشّكل ، يتخلّقُ في حَمأة الأنين . فضاءُ أخلاط تتقلّصُ فيه الأطرافُ ويَصيرُ للسّماء الخشنة كتابٌ وللحديد فَصٌ يتطَوّحُ في عُنُق تحرُسُه قرونٌ سودٌ تُرسلُ ألسنةً من شواظ ، والبابُ ينفرجُ في شكل أجْنحة ، لكأنَّ الكائنَ يوشكُ على الأوجِ ، فينفُضُ جسدَهُ كمَن يطردُ عناكبَ عالقةً ويميلُ ويعطف .

هذه أرضٌ كُلِّمْتُ بها .

أَلِجُ فيها الموصَدَ ، فأصِلُ جنوبَ النّاس . أصِلُ . وحيثُ أضَعُ نَظَري يكونُ قَتْلٌ كثيرٌ وصَلْبٌ وخوازيقُ . ليسَ بينَ هذه الأرضِ وأحلامي صِلةٌ ، ليسَ بينهُما علاقةٌ ولا أمَل .

كلّمَني وقالَ لي :

تَصِلُ أرضاً لا تَعرِفُ فيها طبيعةَ الحياةِ من طبيعةِ الموت . أهلُها أعداءُ أنفُسِهم . لا يرحمُهم أحدٌ . بيتُهم في شفرةِ الكوابيس . مقتولونَ مُخَوزَقُون . تَرفُضُ ذكرَهم الكتُبُ ويتعفَّفُ الرُواةُ عن أخبارِهم . ظُهورُهم مغدورَةٌ بالعَدُوِّ الصَّديق .

آخِرُ ما كَلَّمَني به :

تَخرجُ من حديدٍ قاتلٍ في هيئةِ الوحشِ لتألفَ الحديدَ المقتول . تَرى إلى النَّاس تَنسَلُّ في أجنحةٍ كثيفةٍ هاربةٍ من أتُونٍ فارأفْ بها . حَديدُكَ الأوّلُ أمعنَ في الشحذِ أمعنَ في الطعنِ أمعنَ في سلخِ الجلدِ وكسرِ العظمِ ، فارأفْ بمخلوقاتٍ تنسَلُّ من سُلالةِ الخوفِ وتَلجأ . كَلّمَني ،

وها أنا أرتجفُ في بهوٍ ليس بيني وبينَه غيرُ حديدٍ ، أخرُجُ منه وحديدٍ يسوِّرُ المدى . ليسَ هذا لي . لستُ من هذا المشهدِ ، لستُ منه ولستُ فيه . خرجتُ من حديدِ العرباتِ لئلاّ أنهارَ في خرائبِ الطبيعةِ . خرجتُ . أمامي الأبوابُ حتّى عتبةِ المنتهى وشريعةِ الفرار . هذه فجوةُ الأرضِ ، ولأحفادي فُسحةُ الأفقِ . وفي الأعالي سيرةُ الوحشِ الداجنِ يحيا ويحرِّضُ العناكبَ اللبونةَ لتمنَعَ الهواء . مَن يتبعُ الحديدَ منتقلاً من خطأ إلى خطيئة؟

آخرُ ما كَلَّمَني عنه :

يُرخي عنقَه الشاهقةَ ليلمسَ بحراشفِه الرهيفةِ ساكني الخيامِ والأكواخِ وصعيدِ الأرض . يكلّلُ مأتمَ العرسِ بمغفرةِ البَوحْ .
كَلَّمَني ،

فهتفتُ بالأحفاد . هتفتُ :
مَنْ يُنقذُ الحديدَ منتقلاً من خطأ إلى خطيئة؟
هكذا . . هكذا أعطي لشهوةِ الأحفادِ حرِّيةَ الفرار .
هكذا أنزاحُ مثلَ طوفان يجنَحُ .
هكذا أخلعُ الماءَ جلموداً منزوعاً من أفئدةِ الناس .
هكذا . .
هكذا . . .
يَشهدُ الفضاءُ الشاسعُ تفسُّخَ التخوم . ليَخرُجَ من هيئة ويدخلَ في هيئة . فترى الأعالي كيف يصيرُ اللحمُ والعظمُ والجلدُ والريشُ والحراشفُ البشريّةُ حديداً مائعاً يصهرُ الأشياءَ . .
كما يحلو له
كما يحلو له .
فتتفلّتُ نحوَ رحم لا تتمخّضُ ولا تُجهَضُ ولا تَلد . تَرتجُّ لوقع جنازيرِ المعدنِ الرديءِ مكتنزةً ببشرٍ لم يسَعْهم الوقتُ للكرِّ ، يهَبْهُم المكانُ للفرِّ من وصايا الطريق وأحوالِ السَّفر .

إذن كُنّا صدّقنا الأكاذيبَ التي تتماهى بها الطيورُ والحجارةُ مُتقمّصةً التلالَ . كنّا صدّقنا كلامَ البومةِ عن خَدينةِ الشؤم ، لا يطيبُ لها سوى وليمةِ الجِيَفِ والجآذرِ بينَ الثقبِ والثقبِ لتقعَ في البراثنِ . كنّا صدّقنا أنَّ النفائسَ التي ليست للنهبِ منهوبةٌ ، والأطفالَ المجنَّحين بشمعداناتِهم المضاءةِ في ليلِ الكونِ ليسوا إلا نقوشاً في هامشِ الرمل ،تَركتْها قَوافلُ الحَديدِ تمشي وئيداً دُونَ اكتراث ولا محبة . كُنّا صَدّقنا أن الخرائطَ التي تُسوِّرُ الأفقَ ليستْ إلا أصداءَ عويلٍ يَشْخَبُ

بالدَّم والدمـوعِ . كُنَّا صـدَّقنا أن الوطنَ بيتٌ لأطفـالٍ يَرشُـونَ الرملَ بأحلامِهم ويمشُونَ بخطواتٍ راعشةٍ تمزجُ القلبَ بالقدمِ . كُنَّا صدَّقنا كلَّ ذلك لنعرفَ غوايةً يجترحُها الكلامُ لمستقبل المخلوقاتِ وخديعتِها . إذن كُنَّا صدَّقنا الأكَاذِيبَ كُلَّها .

منذ بنات آوى

بناتُ آوى الجميلاتُ، يَجلسنَ في خديعةِ البَهو، يُؤوينَ الهاربَ والمشرَّدَ والغَريب. أطوفُ بوهجِ الشهوةِ وقَميصِ الأخلاطِ، لتطمئنَّ لصفاتي مليكةُ الليلِ. انتظارٌ غامضٌ في عزلةِ الذهب وخاتمةِ الأحلام، وليس لليأسِ أن يُدركَ أدواتي. فبناتُ آوى ضالّةُ المفؤودينَ وجنّةُ الوحيد. قيلَ إنّي مبعوثُ النيرانِ لجنّةِ الجسد. تَختلطُ في كَبِدي فَتْوى الهجوم وشريعةُ الفرارِ. زعفرانٌ تائهٌ في قصعةِ الحبِّ. تظاهَرتُ بالذئبِ، فتكَاسرَتْ في جسدي حيواناتُ الغابةِ. والوصيفاتُ يأوينَ إلى مخدَعي غداةَ كلِّ نصٍّ. أثيراتٌ في الأحلام تتزخرفُ بهنَّ الكوابيسُ. فَطِنتُ لغوايتهنَّ، فمن يجرؤُ على تفادي شَهوةِ المستذئباتِ، بطرتُ بمائهنَّ الخفيِّ وأجَّجتُ بثلجتِهنَّ مَكامنَ النساءِ الوَقوراتِ، وتمرَّغتُ في انتظارِ الأجنّةِ تتخلّقُ في طينِ اللهِ مثلَ كَمأةٍ باسلة. كنتُ القدمَ العاريةَ كنتُ شظيّةَ القلبِ الضاري كنتُ مسمارَ البابِ مارقاً زهرةَ الصدرِ كنتُ أسئلةَ الكهرباءِ كنتُ نحيبَ الأبجديّةِ

كنتُ ميراثَ الكتبِ كنتُ شظَفَ الخبزِ في العائلة كنتُ الحديدَ فاضحَ الليلِ كنتُ عاجَ العفّةِ تقيّةِ التجديفِ كنتُ الشهوةَ الخفيفةَ كنتُ النميمةَ وصمتَ الناسِ كنتُ الدَمثَ كنتُ في وحشٍ وفي أليفٍ كنتُ النومَ في هزيعِه الأثيرِ كنتُ أستجيرُ من المخلبِ بالنّابِ كنتُ أُشعلُ قنديلَ البَيتِ لئلا تَطيشَ بغتةُ الصديقِ كنتُ أصقلُ الرسغَينِ بمعدنِ الخَرسِ كنتُ أستَفزُّ يقظَةَ العدوِّ كنتُ أدْعَكُ الكعبَ بفروِ الخيلِ كنتُ أفرزُ النحرَ لشفرةِ النصلِ كنتُ أمْشي في لَزِجٍ ومائعٍ ومتهدّلٍ ورجراجٍ كنتُ أصرِمُ في هشيمٍ وأحرِثُ في ملحٍ كنتُ أرفعُ قدميَّ من شَرَكٍ وأضَعُهما في فخٍّ وأنتقلُ وأنداحُ وأتبادلُ وتَحوّلُ وأحتالُ وأنجو وأموتُ وأتعانَى وأختلجُ وأفطسُ وأفترسُ وأفنى وأبوحُ وأنجرفُ وأخلدُ وأمرَضُ وأتماثلُ وأبرأُ وأتماهى وأتبدّى وأغمضُ وأتوضّحُ وأتبذّلُ وأتعفّفُ وأفجرُ وأفتَضُ وأفترعُ وأستفحلُ وأنتفضُ وأنتمي وأنفصلُ وأتقاطعُ وأعترضُ وأتحاجزُ وأنهارُ وأجرؤُ وأخافُ وأعوي وأستذئبُ وآلَفُ وأنفرُ وأستفردُ وأستجيرُ وأبوحُ وأنوحُ وأنتحبُ وأصيحُ وأصرخُ وأبكي وأهذي وأهذي وأضربُ وأحتربُ وينالُ منّي فأهتفُ وأنخطفُ وينالُ منّي فأهذي وأهذي وينالُ منّي أهذي وينالُ منّي أهذي وينالُ منّي وينالُ منّي وينالُ ينالُ ينالُ

وها أنا أحصي الجراءَ وأداعبُها متوهّماً أنّها انتصاراتي .

بناتُ آوى المتمارياتُ ، يتقمّصنَ العفّةَ ويُظهرنَ سكينةً يَفزعُ لها القلبُ ، لكي يُحسنَ المارّةُ التدلّهَ بهنّ . بينَهنّ وبين الحيوانِ شُبهةُ الدواجنِ وشهيّةُ البَذَخ .

أصابني ما ينتابُ الذئبَ في حضرةِ المليكةِ :

دهشةٌ في الشرايين ،

بَهجةً في غرفة الذاكرة ،
واستحواذٌ مثلَ سحرٍ يذهبُ بالضحية .

مَن الماكثُ في سرير المشبوقةِ وهي تذرعُ المسافةَ بين النومِ والملاك؟ مَن الصارمُ باسلُ الجسَدِ بهيُّ السمْتِ يَغزو ويغترُّ ، فيختلطُ على التائه ماء الأفقِ بزئبقِ السرابِ؟ وضعتُ أعضائي في اللّذةِ الضاريةِ وتبذُّلتُ للبرائنِ ظنّاً أنّها الحَرير . تقدّمتُ كتيبةَ الفرسانِ كي أفوزَ بوردةِ المليكة ، وبناتُ آوى وصيفاتٌ يُطلقنَ مراياهُنَّ ورائي ، فيما كنتُ أقتحمُ الحصارَ مُدجَّجاً بمشاعرِ القتلى ، تنتخبُني سفيرةُ الذئابِ وتمنحُ المعدنَ شَهوةَ الطَّلقِ والقذيفة . شخصٌ مثلي ، استفرَدَت به الكتبُ وشُغفَ به الهذَيانُ ، لايَنجُو من خديعةِ البهوِ الزاخرِ بالليلِ . طاردَني حرسُ الخالقِ منذُ الكتابِ الأوَّلِ منذُ أروقةِ المكتباتِ المعتمَةِ منذ الغرفِ المُوصدَة منذ أكثرِ المخلوقاتِ جمالاً وجهامةً ومهاجمةً منذُ الكرسيِّ والمائدةِ منذُ الماء في مكانه منذ فَبرايرَ الثّلجيِّ منذُ آبِ الأخيرِ منذُ الاستجوابِ المؤجَّلِ منذ بناتِ آوى منذ الأصدقاءِ منذ أقاصي امرأةٍ في انتظارِها منذ بابِ المغامرةِ منذ شهقةِ النهدِ والنَّمرِ ونُعاسِ الآلهةِ منذُ شظايا القدمِ المذعورةِ منذ النَّومِ والموتِ والكوابيسِ منذ القلبِ والقيامةِ منذ شكلِ الكَلام منذ خَدم العَبيدِ منذ الجنسِ في الخلايا منذ الحديدِ والذهبِ منذ غَيظِ الهذَيانِ منذ الوحيدِ وحدَه منذ أن هذيتُ وانتهيتُ منذ نالني الهَوى ونلتُ ما بغَيتُ .

طاردَني الخَالقُ والمخلوقُ ، حتّى وصلتُ منهكَ العضَلِ فائضَ الجزَعِ واضعاً جسدي في شرفةِ الشنقِ مكتشفاً أنّني لم أذهبْ طولَ هذا الليلِ أبعدَ من حياةٍ مليئةٍ باللبونَات . بناتُ آوى ، وصيفاتُ ذئبةِ الملوك ، بناتُ آوى بَهيّاتٌ جَميلاتُ الطلعةِ ، يدخلنَ عليَّ ويأوينَ عندي

وَيُفزِعنني ويَفطرنَ قلبي مخدوعاً بهنَّ منقَّبات بفروةِ الذهب ، فأظنُّ أنهنَّ قناديلُ السهرةِ وقناني الخمرةِ الشريفةِ ، يمنحُها لجسدي حارسُ النبيذ وحاجبُ الغرفةِ الملكيّةْ .

لم يكن إلا أن أصدِّقَ ليلَ السردِ ليغمرَ أخلاطي في توتُّر القوسِ ، أهجو مغامرةَ النحلِ مادحاً زفيرَ العسلِ .

لماذا الآن فقط تفتحونَ في وجهي الكتُبَ وتندفعونَ نحوي ، كما لو أنني القتيلُ الوحيدُ مرتداً في حضرة الدم . تتصاعدُ الرائحةُ الزكيّةُ من قرمزِ الروح كلّما تدفَّقَ وحلُ المرافَعاتِ ، تَنصبونَ قُضاتَكم ومَحاكمَكم المُبجَّلةَ ، وأكونُ قد أكملتُ سخريتي من النطقِ السامي .

لستُم أقلَّ توغّلاً في الدم . أنا مَن أعطى جسدَه لبهجةِ الكشفِ ، وأعلنَ ذلكَ جهراً كأنّه يُضاهي جنّةَ الأوْج ، كنتم تنسِجونَ الشراكَ في عتمةِ البهوِ ، وتدفعونَ بأحفادي في ليلٍ مؤثَّثٍ بالوحشةِ ، حيثُ القبرُ لا يتَّسعُ لأكثرَ من فريسةٍ واحدةٍ وجنازةٍ راكضةٍ في سريرِها الأخيرِ . فَرَّ بيَ الشَكُّ من نحيبِ آكلي لحومِ البشر .

الآنَ تأتونَ لتبذُلوا مَراثيَكم .

الآنَ تدركونَ آثارَ دمي وتُطلقونَ على جثماني نشيدَ المذلّةِ .

الآنَ ، تُسمُّونَ لكلِّ صاريةٍ مرفَأً ، وتُرشّحونَ أحلامي لحشراتِكم النُّحاسيّة .

الآنَ .

كيف تُنقذونَ مَأتماً بمعدنِ الذبيحةِ ، تَتَفادَونَ حريقَ السفنِ منتظرةً مرصودةً بكلابِ البحرِ ، تقفزُ ، وتحرسُ السواحل .

قيلَ لي ذاتَ سفرٍ : نُعلِّمُكَ الغرقَ قبلَ البَحرِ .

وكنتُ أطفرُ في زئبق الحلُم . أرى إلى البحرِ ،
أغادرُهُ ، لأعودَ إليه بِوَهم النزهةِ .
موثاةً مائلةً ،
فيما تتكدّسونَ في براءةِ الثعالبِ وصلافةِ الضباعِ .
لستُ إلا شبَحاً تائهاً .
كابَرتُ لئلا أبدُوَ في صورةِ العرّافِ الأعمى . الآنَ يَحلُو لَكُم أن تطرحوا صوتَ الجبّاناتِ . تباهونَ بالكَوابيسِ والكوارثِ التي تَغرغرَ بها جسدي الليلَ كُلَّه .
آنَ لكُم أن تَصعَدوا بأبصارِكم أكثرَ فأكثَر .
أطلعُ من السهوبِ في قطيعِ من الوعولِ
مُعلناً أنَّها انتِقامَاتِي .
أعتزِلُكم ، مثلَ رَعيّةٍ تفقدُ مليكَها دونَ نَدَم .

يوسف

(1)

وضعتهُ في قَطيفةٍ
وغطَّتْهُ بغيمةِ الرُؤى
سَمَّتْهُ تميمةَ النهر والنخيلِ
جِنّيةٌ تُحسنُ مكالَمةَ الليل ،
تآلَفتْ مع الأيائلِ
فلمّا آنَ لَها الوضعُ . . وضعَتْهُ في قَطيفةٍ

في وردةِ الخشبِ
في مَـاءٍ جَـارٍ .

رَأَتْ مستقبلَ الموجِ ،
فأعلنتْ بشارتَها
لئلا يشغلَها الذاهبُ في غوايةِ الذئبِ .

(2)

يَـكرعُ الكأسَ تلوَ الكأسِ

يترنَّحُ ويهتاجُ

حتَّى إذا ما لَطمَتْهُ جهامةُ العَسَسِ في منعطفاتِ الطريقِ ،

خَرجَ من غفلتهِ برهةً خاطفةً ،

مسح تاجَ الشوكِ عن شَفَتَيه ،

ورفعَ عينيهِ ليرى إلى مصدرِ اللطمةِ .

لم يلمَحْ سوى قُضبانٍ صاعدةٍ ،

فدارَ بِجسدهِ دورةً كاملةً ليُلقيَ نَظرةً وَحيدةً ،

كأنَّها الأخيرةُ ،

على خريطةِ الليلِ .

يكتَشِفُ زنزانةً

وحولَه عشرونَ غولاً يتطَايرُ من أطرافِهم شررٌ عظيمٌ

وبين أكتافِهم تتهدَّلُ أسمالٌ مضفورةٌ

لتبدوَ رؤوسُهم في أقاعٍ مسدُولة .

يفرُكُ عينيه ويكرَعُ كأسَه الأخيرةَ كأنَّها الأولى

فيكبو على وجهِهِ في رغامٍ رَطبٍ ينضَحُ بسائلٍ لزِجٍ

جسدُه يتعفَّرُ وينتفضُ ويَشهَقُ ويضطَرِبُ في قهقهةِ العشرينَ غُولاً تُحيطُ بِهِ ،

يهمُّ أن . . . يتذكَّرَ ،

يتذكرُ . . . و ينسى .

(3)

في نُزهة الضباع
ليلٌ يتعثَّرُ بقفطانه المتخبْخب ويكبو عندَ المنعطَفاتِ .
سمعَت المرأةُ صرخةَ ولدِها الغريبِ كأنَّها تلِدُه الآنَ
رآتـه ، في ما تَرى الثاكلُ ،
أعضاؤهُ تمرُّ تحتَ آلة ضارية شلْواً شلْواً
وهو يمزِّقُ قماطهُ بصريخ يُفزِعُ البهوَ والأروقةَ .
تُزيحُ خشبَ النافذة / حجرَ الطريق / عقابيلَ الغابةِ ،
تُزيحُ صخرةَ القبرِ لنَرى امرأةً مُصابةً بالفَـقدِ :
(من أعطاكَ كلَّ هذا الحديدِ والدمِ والفداءِ المفقودِ ،
ألهذا ادَّخرتُ دمَكَ ولحمَكَ؟
ألهذا ركضتُ بكَ وضـلَّلتُ النصالَ لئلا تَطالَكَ ؟
ألمثلِ هذه الغيلانِ صـدَدتُ عنكَ الضباعَ ؟
مـا كانَ للماءِ الرَّؤوفِ أن يَصيرَ وحشاً عليك
كانت حيواناتُ الشمسِ ورائي ،
وأنا أطويكَ في المكانِ الذي لا يَطالونهُ)
وحين عبرتَ النهرَ ،
أيقظتُ لكَ زرقةَ النوم ، ورأيتُ لكَ نيزَكَ الحُلمِ
لكنّكَ الآنَ في الغَدرِ
في الغَـدرِ والمؤامراتِ .
هـل أنتَ يوسُفُ . . . وإخوتُـكَ لا يُحْصَــوْن .

سورة التلّ

للجسدِ صريخٌ يسمعُه المارّةُ بقربِ التلِّ . زعترٌ يتقصّفُ تحتَ حوافرِ جيادٍ محاصَرةٍ بالنّيرانِ . تتعثّرُ أقدامُ الناسِ وتستَيقظُ في أكبادِهم المواقدُ . فيبطئُ الرجالُ في عبورِهم . لينالوا هياجاً يدّخرونه لرمادٍ خامدٍ راكمَتْهُ سنواتٌ من وَهدةِ الأملِ . تتخفّى النساءُ وراءَ الأكَماتِ المحيطَةِ بالتلِّ ، ليروينَ مُهَجَهنَّ المحمومةَ في سنواتِ الفتنة ، ويَستَرِقْنَ النظرَ للعناصر المعصوفةِ بالجوعِ والعطَش وهي تَحُكُّ أعضاءَها في شَظَايا القَذائف .
جنسٌ له رائحةُ الطَلعِ . مشى الأحفادُ إليه يَلوذونَ من تأوّدِ الأرضِ . مشوا يحملونَ أمتعةً من خِرَقٍ وقلادات من عَظمِ الحيواناتِ اليابِسةِ وأحشاءِ طيورٍ مَنقوعةٍ في رَخو القَواقع . مشوا ، ترشَحُ أطرافُهم بالتعاويذِ وحشرجاتِ الحروبِ . جاءُوا يصطَرعونَ في شباكٍ منسوجةٍ بولَعِ القنّاصين .

قيل لهم : تستَرِيحونَ من السعيِ .

فألقوا بأكياسِهم المتهرِّئة لِفَرطِ ما شَرْشَتْها التضاريسُ . أحفادٌ وضَعوا كواهلَهم المتعَبة على أصول الأشجارِ ، وراحوا يرسُمون هندسةَ التلِّ ، يمنحونَه جيوباً سرِّيةً مشمولةً بالكبريتِ . أقبيةٌ خَفَرتْها يقظةُ الحيوانِ ، مخلوقاتٌ مشحوذةُ المخيِّلة ، تطلقُ أخلاطَها في رؤوس الطرائد القادمة من الأصقاع . أقبيةٌ تُسكرُ أحلامَ المفؤودين بفَجيعةِ المحنة ، تُسكرُها حَدَّ الترَنُّح . تَصَاعَدَتْ اختلاجاتُ الجِنسِ في التلِّ ، فبذلوا كوفياتِهم ، حائلةَ اللونَ ، لتَصيرَ راياتٍ تخدعُ الهزيمةَ والموتَ والمؤامرات . حين طوى الموكبُ بيارِقَه على نساء المخيَّم خشيةَ انكشافِ العورة ، نهرتهُ بسالةُ الطرائدِ ودفعتْ به تَهلُكةُ الكأسِ أمامَ الجسدِ .

آه

كأنَّه يسمعُ ، كأنَّه يَرى ،
كانَ الجنسُ يتلاطمُ ويتبرْكَنُ .
والنساءُ وراءَ ألأكَمات يرقُبْنَ شهيقَ التـلِّ شاهِداً لهنَّ .
يسحلنَ مكامنَهنَّ الخفيَّةَ بالكَمأِ ونتوءاتِ الحجَر

آه

أيّها التل الفاحشُ ، تتبـذَّلُ في شُرفاتك ذواتُ الريشِ وفتوةُ الفحولِ وسارقاتُ الزنابق . يا تلَّنا ، يا مهمازَ الأرضِ ، أيُّها الندبةُ المبجَّلةُ في الكتب ، أيُّها الألمُ ، ألم تجدْ في شهامةِ الرصاصِ فسحةً تختَبرُ فيها فصاحةَ الزعترِ والزعفَرانِ وبهجةَ اللُّغةِ ونبيذَ المعنى؟!

آه

منذورٌ لغفلةِ الوحشِ وكسَلِ الأساطيرِ. تَسمعُ الوصايا يلهجُ بها الأسلافُ، وترى كيف احتبلَ الأحفادُ تلكَ الغفلةَ وذلكَ الكسلَ، وتكاسروا على مداخلِ البحرِ

آه

لستُ الوعلَ الوحيدَ الذي اعوجَّت قرونُه وتحرَّقَ وبَرُه وأصابت القروحُ أطرافَه واليتيهِ لفرطِ العراكِ. وعولٌ كثيرةٌ تحرسُ التلَّ. لماذا طابَ لكم أن تستفردوا بي، وتتناهبوا دمي وتطَأوا جثماني المنتظَرَ؟ ألَم تكن الشرفاتُ مكتظَّةً بكم وقتَ كانت جهنَّمُ لا تكف عن الدفعِ بمبعوثيها لشتَّى المهماتِ:

تارةً لكي نساومَ على ماءٍ في النهر أو ماءٍ في القدح
وتارةً لكي نمدحَ الخَازوقَ ونتضرَّعَ للضريحِ.
وعولٌ كثيرةٌ تأرجحَت في متاهةِ الحروبِ المتناسلةِ

لماذا أنا دُونَ القَتلى؟
لا يلتفتُ التَّلُّ للهزلِ الدائرِ. ينحني على الجميع ويحضنُهم بحنانِه الوسيع، لئلاَّ يُقالَ إنَّ تلاً وقوراً مثلَه يسهو عن أطفالِه ومريديه.
ها هو، في بهجةِ الجغرافيا،
يمدُّ يدَه في جيبِه السريَّةِ ليفتحَ ذاكرةَ التفَّاحِ

آه

هل أنتَ هكذا دوماً في الملمّاتِ ،
تُحسنُ اللهوَ وتتبادلُ المرايا مع مريديكَ حتّى الانتشاء؟
إذن ، ما الذي أبقيتَ للنادل أيّها التلُّ الثملُ ؟
لا يحلو لكَ التهتُّكُ إلا ساعةَ يتهدَّجُ الجسدُ المَرْضوضُ تحتَ الغزوِ .
ألم أقلْ إنَّ هناكَ من يستحقُّ ، أكثرَ منّي ، الوقوفَ أمامَ امتحانِ الفلكِ ومشارطِ النطّاسين . فَلِمَ كلُّ هذا الهياج الفاجرِ يتصاعدُ مثلَ نحيبِ المرأةِ المَشبوقةِ ، في حينِ يصطرعُ الغزاةُ وحرسُ التلِّ في ضراوةِ مَن يتلو صلاةَ القتلى؟!
أيّها التلُّ ، ساعدْني لكي أتذكّرَ أسماءَ الذين ابتردوا في نارِكَ ، لكي أنسجَ لكلٍّ منهم كوفيّةً إذا كان حيّاً وكفناً إذا مـــاتَ .
ســاعدْني ،
فهذا دخانٌ باطشٌ يمنعُ الخلايا من تَبادُلِ الأدوارِ .

أحفادٌ يَنْهَرُونَ الصمتَ

تدفّـقوا من صخرةٍ تشتعلُ ، لتراكُمَ الأرضُ بقفطاناتِكم القرمزيّةِ وتلمسَ أطرافَكم ، تحزمون المدنَ بشكيمةِ الحجرِ ، تقودونَ الشجرَ والدواجنَ والفراشاتِ والنحلَ والمناديلَ مبلّلةً بالحزنِ ، تحرسون الظلالَ الهاربةَ والأحلامَ المذعورةَ في نومِ الأطفالِ ، تقودون الساحراتِ بقمصانِ هَلهَلَتها وحشةُ الغابةِ . راياتُكم كوفيّةُ البيتِ وثيابُكم حزنٌ ثاقبٌ . موشّحون ببسالةِ الذاهبِ نَحوَ تخومِ الخريطةِ وفجوةِ الأرضِ . غزاةٌ أليفون لأوهامِنا . نمشي في خديعةٍ سافرةٍ . جرجرَ الضباعُ أجسادنا نحوَ الجبِّ ، في وحشةِ الصحراءِ وسفنِ التيهِ مَنْ سيُسعفُ صخرةَ النارِ . بقفطاناتِكم القرمزيّةِ ، راياتُ الوقتِ ، تنقذون الماءَ من السكينةِ وتكرَعون نبيذَ الهجومِ لتَفزعَ المدنُ المستسلمةُ بنواقيسِ أفراسِكم الرشيقةِ ، مدنٌ تجرَّعَت عارَها هزيمةً هزيمةً . تذهبُ عن القتالِ متدرِّعةً بالتعاويذِ ونصوصِ السقيفةِ ، مذعنةً لرغبةِ الموتِ كأنّها تموتُ . كنّا نقولُ عن الأفقِ فيما نتضرّعُ للجثثِ علّها تنتصرُ لنا وتصدُّ عنّا الهوامَّ منسولةً

من الكبح تتراكمُ مثلَ تمائم الوَهم نَظنُّها الأوسمةَ فإذا هي وشمُ أعضائنا الذاهلة . سقيفةٌ تتفاقمُ حولَ الأرضِ بعرس باذخ . نصدّقُ سُرادقَ الفضيحةِ منصوبةً فوقَ الضحايا ، تنهضُ كلُّ ليلٍ من الكفنِ والمراقدِ الأبَديّةِ تقضُّ شراشفَ أحلامنا واستسلامَ رُؤانا . جديرون ببشارةِ الشخصِ وحنينِ القرمزِ وشبقِ الكائناتِ . تَخرجون على خريطة الأرضِ . تخبطون مدناً أسلَمَت قيادَها لأكثرِ الطغاة أناقةً وتيهاً ومباهاةً . تصيرون بريدَ الفَزَع لأكثرِ الشعوبِ اطمئناناً لسجنِها .

شعوبٌ تتناسلُ مثلَ الأرانبِ مذعورةً مثلَها ، تكزُّ على السكاكينِ بجراحِها لئلاّ يستبدلَها السفّاحون بالسيوفِ والخوازيقِ . شعوبٌ تتظاهرُ بتجرّعِ الماءِ فيما تَسُفُّ رملَ الصحارى المستفحلة ، تطلعون من صخرةٍ مُشرفةٍ على الدمِ الراعفِ مكنوزةً بسرائرِ الناسِ مثلَ نحيبِ الجبالِ وزَفيرِ النّهرِ المُنصبِّ . تُفسِدون الكلامَ . كلامٌ تُجَرُّ إليه الشعوبُ رقيقاً في ساحةٍ يتبادلُ فيها الأشقّاءُ الطعناتِ النجلاءَ ، حيثُ الطغاةُ يرونَ ويتبادلون أنخابَهم بعدَ كلِّ هزيمةٍ ينتصرونها بنا . نذهبُ إلى الموتِ قتلاً بسواعدَ نتعانقُ بها ونتمرّغُ في وحل أرواحِنا المهدورةِ . ذهبنا إلى الساحة بوهمِ الأعداء لنجدَ الأحبّاءَ في انتظارنا بالنصالِ المسنونةِ ، لنسقطَ معاً في احتضارٍ طويلٍ . تسألُنا الأرضُ عن العرسِ الذي وَعدنا به فنتلعثمُ وتختلجُ ، أفواهُنا مملوءةٌ بالترابِ . لا نعرفُ هل كنّا نقبّلُ الأرضَ كي تصفحَ عن سهونا وغفلةِ قلوبِنا ، أمْ كنّا نكبتُ صرخاتِ الذعرِ لفرطِ الحبسة . كنّا ذريعتَكم لارتداءِ أكثرِ القفطاناتِ خجلاً ، نحن أحبابُكم الخاطئون نسمعُ نشيجَكم ينبعثُ في صخرةٍ مشتعلةٍ ، مثلَ حمَم تصعدون من الأقاصي ، وتقذفون بقناديلكم نَيازكَ تبغتُ الغافلَ والنائمَ والمأخوذَ والشريدَ والقاطنَ والمسافرَ ، تبغتُ العبيدَ وهُم

يرفلون في حُرْياتِهم المكبُوتة . صَمتٌ يَخْلَعُ الأكبَادَ مِنْ نُواحِها ويَفْتِنُ الأرضَ بأزهارِ القِرمِزِ البَاهِرة ، صَمْتٌ يَنْهَرُ وَهْدَةَ المَهْد .

حالة الاحتضار الطويلة

نفتديكَ ببتولةِ عذراواتِنا يا مهندسَ الكوارثِ المسائيّة
نُرخي لكَ أعناقَنا خاشعينَ وأنتَ تُرشدُ سنابكَ الفتك
لئَـلا تُخطىء أحـلامَنا
صلَّينـــا لَك
صلَّينـــــــاكَ

أوشكْنا على التلاشي ننتظرُ قدومَكَ ، تُهدهدُنا بكَ أمّهاتُنا الحانياتُ لنغفوَ ، فلا تعرفُ عيونُنا النومَ ولا نهجَعُ في مكان . نتوقَّعُ رنينَ أقدامِكَ على جليدِ الليلِ ذاتَ شتاء ، فقد قِيلَ إنَّ البردَ أحلى المواسِم ، حيثُ تصابُ درّاعتُـكَ بقشَعْريرة الماء كلَّما شاغبَها المطرُ وطاردَها الثلجُ . نتوزعُ في المنعطفاتِ وأبراجِ الوُديان ، نرصدُ قدومَكَ عن كثب ، لندركَ تأجّجَ نار الأضاحي لحظةَ نلمحُك تلوِّحُ بالبيارقِ في الأفقِ . ساررْنا أصدقاءَنا قطّاعَ الطرقِ وبعثْنا بهم كشّافين يستظهِرونَ أمامَكَ السبلَ ليسبقوك بأخبـارِ الغـزوِ . لم يكن لنا شـأنٌ سـوى انتظارِك ، وكلّمـا طالَ الوقتُ

وتأخّرتَ ، ازدَدْنا يقيناً بكَ ، وأوشكنا على هزيمةِ اليأسِ . لم نيأسْ لكَ ، أرسلتَ إلينا الدّليلَ والأدلاّءَ يُبشّرون بحتمِكَ . لم نعرفْ عن وجودِك ، مجَرّدُ وجودِك الغائبِ لغزٌ . توغّلتَ في الخرافةِ ولم نزلْ نتجرّعُ يقينَ قدومِك ، نتمرَّنُ كلَّ يوم على قرابيننا بين يديك آنَ حضورِك . نتخيّلُ الحدثَ كأنّه الآنَ ، كأنّهُ هنا . نتخيّلُه ونؤدّي الشعائرَ بالتفاصيلِ . يتحسّنُ أداؤنا . نُصبحُ أكثرَ خبرةً وحماساً لاستقبالِك . صارَ كلٌّ منّا يُتقنُ واجبَه في حضورِك . نتخيّلُكَ ، نحن الذينَ لم نرَكَ ولا نعرفُ لك شكلاً ولا هيئةً . طاغياً تقبلُ من جهاتٍ لا صلةَ لها بهندسةِ الطبيعةِ . يتقدّمُك غيمٌ كثيفٌ يشِفُّ ، فيما تتقدّمُ ، ويُفسحُ لمواقعِ خطواتِك ، لتبدوَ في كوكبةٍ من الملائكِ ، ترفلُ في جبّةٍ وهبَها لكَ الوجَلُ ذاتَ ليلٍ ، لنتخبّط في براثنِ الخجل . ترتعشُ أطرافُنا لفرطِ الذهولِ . نتهيّأُ ليومِك ، ونُصابُ بالبغت . مخلوقاتُنا الصغيرةُ مثلَ الأطفالِ ، تُهرعُ في أرجاءِ المدينةِ ، تتدفّقُ بألوانِها الباهرةِ في اتّجاهِ موكبِك لتبدوَ ، وهي في زينةِ البهجةِ ، كمن يسكُبُ سلّةَ الأزهارِ في الطرقاتِ ، موسيقى تنبعثُ من المكامنِ الخفيّة مختلطةً بضحكاتٍ تُشبهُ الأجراسَ . مواكبُ الأطفالِ تتدافعُ ، ينتظمُها شغفُ اكتشافِ القادمِ الغريبِ . وفي الشرفاتِ المندلقةِ من أردانِ المنازلِ مثلَ أثداءٍ مثقَلةٍ بالنبيذِ ، تقفُ نساؤُنا الوقوراتُ لابساتٍ فساطينَهنّ البيضاءَ برائحةِ زفافِهنَّ ، يزيّنّ شعورَهنّ بالورودِ الحمراءِ فاضحةِ الدلالةِ ، ويرشُقن المارّةَ بنثارِ الياسمينِ ، تلك الزهورُ الثلجيّةُ الصّغيرةُ . ويَصطفُّ رجالُنا على أكتافِ الطرقاتِ يتبادلون لذّةَ ارتعاشِ العضلاتِ الحميمةِ وهي تُفلتُ من الصبرِ . أجسادٌ في صلابةِ الثلجِ وضراوةِ العملِ . آلاتٌ تنحتُ الوقتَ والتغضّناتِ . لم يبقَ موقعٌ إلاّ وسقَطَت عليه شظيّةُ بركانٍ

تحرسُه يقظةُ الطين ، يصهرُ العناصرَ الغامضةَ لحياة المدينة . تصطفُّ الأجسادُ مترنّحةً بفعلِ النشوةِ . تتأرجحُ في تَصديقِ ما يحدثُ وخلع آخرِ حالاتِ الموتِ الدائم . فقد قِيلَ لهم ، منذُ الليلِ السابقِ ، إنّك في ظاهرِ النخلِ ، تبدو بهالاتِك السديمِيّة . فنفضَ كلٌّ منهم يدَه من طينِ الشغلِ ، وتنادوا لطقوسِ استقبالك . أمّا أكثرُ شبابنا فتوّةً وحماسةً ، فسوف يخطفُ كلٌّ منهم صديقتَه المهتاجةَ مندفعاً بها إلى الساحاتِ الزاخرةِ بالصخبِ لتزدادَ صخباً ، برقصٍ ينتخبُ موسيقاه من الأقدام وهي تعصفُ بالأرضِ النائمةِ لتصحُوَ ثمّ لا تعرفَ النَّوم . ماعليكَ إلاّ أن تصلَ لترى مدينةً يتأجّجُ فرحُها . مدينةٌ سرعان ما تخرجُ عن رزانتِها لتصعدَ إلى شاهقِ الغيم ، مثلَ امرأةٍ خارجةٍ من سريرٍ مشبوق . لن ترى مدينةً مثلَها . لقد درسْنا التفاصيلَ كلَّها ، حتّى أنّ عددَ المرّات التي ستقرعُ فيها الأجراسُ محسوبةٌ مثلَ ساعةِ القلبِ ، تصحبُها مآذنُ تعلنُ صلاةَ البهجةِ . وهي صلاةٌ لا يجوزُ فيها حُزنٌ ولا كآبةٌ ولا خشوعٌ ، ولايتعبُ عنها الجسدُ . عندها سوف ينسكبُ نهرٌ من شهوةِ الشعير ، منساباً في شوارعِ المدينةِ وأزقّتِها ، متخلّلاً الأجسادَ الصاخبةَ ، نهرٌ يفيضُ لتنتخبَه الجموعُ بأقداحٍ لا تكادُ تُترعُ حتّى تَفرَغَ . ومن يتخلّفْ عن انتخابِ الماءِ الذهبيِّ سوف يَرشُّه الآخرون لكي يغتسلَ ويتَوهّجَ . وما إن يتوسّطْ موكبُكَ ساحةَ المدينةِ حتّى تكونَ النشوةُ قد دفعتْ الناسَ إلى التهدّج . ساعتَها لن نعرفَ ما الذي سيفعلُه هذا الاحتفالُ الفاتنُ . فهذه الساعةُ الفوضويّةُ لن تكونَ تحتَ السيطرةِ . سيجدُ الجَميعُ فرصتَهم لإطلاقِ مكبوتِ العُمرِ . سينفجرُ الصبرُ الضاري الذي صاغَ في أذهانِ الناسِ صُوَراً لكَ لم يحتملْها خيالُ البشر . وربّما جازَ للحبِّ أن يفتِكَ بالعشيقِ والعاشقِ . ليصيرَ الحلمُ

أجملَ أشكالِ القَولِ . وماعليك إلاّ أن تتهيّأ لاحتمالاتٍ لا تُحصى . فقد غبتَ طويلاً . تأخرتَ عن المواعيدِ كلِّها ، المواعيدِ التي كنتَ تـزيِّنُ بها رُسُلَكَ وسُعاتَكَ ، الذين سرعانَ ما يتحوّلون إلى جنـدٍ مـدجَّجين ويُمعنون في البطشِ . أمّا نحن الذين صَدَّقنا بشاراتِهم وترغيبَهم ، وخضعنا لترهيبهم ، نحن البشرُ العاديّون ، الخطاةُ الجناةُ ، المنذورون لتصديقِ ما لا يُصدَّقُ وانتظارِ ما لا يُنتظرُ ، فلا جُناحَ علينا إذا نحنُ أطلقنا ذَخيرتَنا عليكَ دفعةً واحدةً ، مثلَ انتفاضةِ الأقاصي . نتمرَّغُ في أجمل ذرواتنا نشوةً بفضيحةِ حضوركَ ، نبجِّلُك للمرّةِ الأخيرةِ ، بفتكٍ يَمحوكَ ويَفْدي بك المدينةَ ، مدينتَنا المريضةَ بحبِّك ، المدانةَ بوهمِ انتظارِك ، المَشغوفةَ بفكِّ طلاسمِكَ وقراءةِ زعفرانِ محوِك . مدينتَنا الفخورةَ بأنّها ، من دونِ المدنِ ، التي ستنـالُكَ

وتنـالُ منك .

قَرينُ الوَحشة

جسدٌ ذاهبٌ ينتحبُ في دمائه الأنبياءُ .
ليس إلاّ أن أضعَ قلبي ، مثلَ نيزكٍ مثقوبٍ بالصدأ ، تحتَ العجلاتِ الضاريةِ لتضرِبَ في العَظْم ، ولتَكُنْ صاعقةُ الليلِ وسادةً للمُكابر .
أنا ، الواقِفُ في الهذيانِ ، أكتشفُ الآنَ بأنّي سهرتُ العمرَ أنسجُ هاويةً لخُطواتي نأمةً نأمةً ، زاعماً أنّني القويُّ المقاومُ القادرُ على المجابهاتِ . أنا المَخلوقُ الأضعفُ بلا يقينٍ ولا حُجَّة . كابرتُ مثلَ جبلٍ يجهشُ في حضرةِ الغيمِ . كائنٌ يقفُ مثلَ فضيحةٍ في قَلبِ الكاهنِ . شهوةٌ تَفتحُ النهايةَ وتأخذُ يديَّ بحنانِ الجريمةِ وكسلِ الأفعى ، لكي أسقطَ مثلَ عروسٍ تفقدُ عفافَها أمامَ الجموعِ في الساحةِ ، وللناسِ دليلُ الدمِ .
ثمّةَ شخصٌ يذهبُ ورقةً ورقةً .
أنا قرينُ الوحشةِ منتصَفُ الهزيمةِ قاعُ الوهم جنسُ الندم أسنانُ الأهتمِ ولَعُ البهيمةِ طنافسُ الشيطانِ جهامُ العَسَسِ هودجُ النوم خسائرُ الليلِ غنجُ الذبيحةِ ، جنّةُ الجحيم محروسةٌ بهوامٍّ شرهةٍ ، لديَّ من الحقدِ ما

يكفي قطيعاً من ذئابِ الشهوةِ ، ولكم أن تُطلقوا دهشةَ الهجوم في أَرجائي دونَ أن ينتابَكم ضميرُ الآثمِ ، ولكم حرِّيةُ الأسلحةِ لكي تأخذَ نَصيبَها ممَّا يتبقى .

أنا ، الخارجُ من صبرِ الناسِ ، الملطَّخُ بالخطيئةِ ، رسولُ الكلام . لم يبقَ سوى نهايةٍ تليقُ . أنا الوحيدُ الواقفُ في شفيرٍ شاحب ، ذهبتُ إليه منذُ ذبالةِ الخيطِ البالي ، متوهِّماً أنَّه أوَّلُ الغَزْلِ في وشاحِ العُزلَةِ ، وضعتُ روحي في المَهبِّ . قيلَ إنَّ المجرّاتِ سوفَ تتذكَّرُ أهدابي . فلكم بهجةُ القتلِ ، وأنتم تضَعون نصالَ سكاكينِكم في قلبي ، تَنفُرون اللحمَ وتَطالون العظمَ فتَطفرُ فضَّةُ روحي في وجوهكم لصلافةِ الفتوى .

أنا الذئبُ الذاهبُ في ليلِ الملجأ ، خديعُ الخبرةِ شاغلُ النيرانِ مُشعِلُ الفتنِ متعهِّدُ الهشيمِ جامحُ الدم متجهِّمُ القلبِ خدينُ الشياطينِ . ضَبعٌ يلغُ في دماءِ القتلى بأشفارٍ مُرتعشةٍ شبقاً ، وأنيابُه تكزُّ على عظمِ الجثَّةِ ، كما يخلعُ نبيٌّ قميصَه المَهتوكَ . جديرٌ بكلِّ ما تقدرون عليه من الفتكِ ولتكُنْ حُرِّياتُكم رايةَ الإنتقاماتِ .

أنا هدفُ القناصين ، طاشت روحي بين أياديكم . تعفُّون ، ولا يليقُ بكم . أنتم أعذارُ القتلى ، خطاياكُم أكثرُ من براءة الطفلِ . ليسَ لكم أن تُبالغوا بِيَدٍ ترتجفُ وهي في مِقبَضِ المِعوَلِ المَثلوم بِصَدإٍ عَتيقٍ كنبيذٍ فاضَ بي ولَم يحتملْ الصبرَ في نزيفٍ يذبحُ الخلايا . يوشكُ الليلُ أن يصير كفناً يرأفُ بالمُتلعثمِ أمامَ الحبِّ ، المبتهجِ بنحيبِ المحتضرين ، المتأرجفِ برهابِ النصلِ من جهاتٍ جَمَّة .

آنَ السفرُ

آنَ السَّفَرُ ، ولا رُجُوع .

لم يَعُدْ في الفَضاء هواءٌ لكي تأخذَ الجثّةُ شهقةً .

ولتكُنْ منكُنْ الوصيفاتُ لهودجِ الليلِ . ولتكنْ منكنْ شديداتُ البأسِ ليأتيَ الحدادُ من الأقاصي . ولتكُنْ منكُنْ النائحاتُ يدفَعْن بفرحٍ دفينٍ جثماناً يذهبُ .

وضعتُ قدمي في قوس الشنق بشهوة المنتحر . أكلَ الوقتُ منّي ، أكلَ الزهرةَ والغصنَ والجذعَ والجذورَ . محروسٌ بالحسرةِ والخوفِ ، خفتُ من كلِّ جهةٍ وكلِّ شيءٍ ، وفاتني الخوفُ من نفسي ، من دسيسة تُفسدُ الخطوَ والطّريقَ . ملطّخٌ بالخطايا والأخطاءِ ، لا أشحذُ رأفةً وليس لكم أن تكترثوا بأملٍ ما ، وما من برهة للفرِّ من مجدِ المراثي وصريرِ النعشِ وسلطانِ اللّيلِ . ليكُنْ منكم الحَفّارون ثابتو السواعدِ برُفُوشٍ تطالُ العمقَ من الأرضِ . وليكُنْ منكم طغاةٌ يُحسنون التجهيزَ بدقّة الصّائغ وبصيرةِ العالِم ، ليبدُوَ الجنازُ صارماً والنّهايةُ مهيبةً ، لتكونوا بأكبادٍ صلدة ، فلا تناوِشَ أفئدتكم رجفةُ التردُّدِ فيما تَضعون الجثّةَ في الغَسلِ والكَفنِ والنعشِ واللحد .

لا يليقُ أن أراكم مرتجفي الفرائصِ ، تُشفقون على ذئبٍ قانتٍ ينقذُه القتلُ .

الكتاب الثالث

جنة الأخطاء

انتحارات

سنقرأُ شعراً
يـؤلِّفُه الأصدقاءُ وينتحرون
ونغتاظُ مما سيخسرُه الأصدقاءُ
لتبكيرِهم في الذهابِ
فلهم عندَنا جنّةٌ في العُيون .
لـدينا لهم ما تبقّى لنا
من بلادٍ ومن حانة ،
يستعيدُ بها السّاهرونَ مراراتِهم
في زجاجٍ كئيبٍ ويحتدمون .
لدينْا لهم جوقةٌ من بقايا الحروبِ ،
جنودٌ يُؤدُّون كُلَّ النهاياتِ
يَفتونَ في جنَّةِ اللهِ
ويستفسرون عن الشَّمسِ ،

حتّى يكادَ الجنون .
أيُها الأصدقاءُ
لديْنا لكم
من تراث الضغائن مخطوطةً حُرَّةً
فكيف سنقرأُ شعراً لَكم
وأنتم بعِيدون عمّـا أدّخرناهُ لِلّيلِ
من قهوة مـرّةٍ
ومن فُلَذاتٍ و أعداء لا يرحمون .
لماذا تشكُّونَ أنّـاً وحيدونَ من بعدِكم ،
ونحن هنا في البرائنِ مُستوحشون
ونرفلُ في الوهم ،
كيف تُسمُّون أخطاءَنا نزوةً
ولديْنا لكم ،
- لو تَركتُمْ حماقاتِكمْ بُرهة
خصومٌ ألـدّاءُ
يَسْتَرِقُونَ من النصِّ ما يجعلُ السيفَ تفّاحةً ،
يُغالون في الاجتهادِ
ويستنفرون إذا مسَّهم صمتُنا .
أيّها الأصدقاءُ الوحِيدون في صمتِهم ،
لماذا ذهبتُم بِمنعطف فَادح
ولكم عِندّنا العاشِقاتُ اللواّتي يَطِرنَ لكم شهوةً
ويغسلِنَ بالرغَباتِ الحَميمةِ أجسادَكم .
لدينا لكم - لو تَريثتمُ

- نزهةً في الهزيع النَـزيهِ من النصِّ ،
كي تأخُذوا آخرَ الأوسمة ،
فكلُّ انتحاراتِكم عَبَثٌ عارمٌ
وكلُّ احتمالاتِنا مظلمة .
لماذا تظنُّون أنَّـا قرأنا لكم سَأماً
وتنتحرون .
لماذا لنا وحدَنا أن نُرمِّـمَ إرثَ الضَغائنِ بالشِّعرِ
كي نستحِقَّ اللحاقَ بكم ،
ولكم وحدكم رغبةٌ في الغيابِ
كما تَشتَهون .
أيَها الأصدقاءُ الحمِيمون ،
ماذا سيبقى من الشعرِ يقرأُه الآخَرون علينا
لنُنقذَ أرواحَنا بغتةً
رَيثَما يستردُّ الخصومُ طبيعتَهم في الكتابِ
و ينتحرون .

أنين القصب وجوارح الهجرات

(1)

وضعَ يدَه في البحيرةِ ،
كمن يغمسُ رِيشةً في قصعةِ الكلامِ
لم يكن من القصَبِ ،
وليس للحبِّ ما يُمنَحُ ،
ولا بين الوحش ذئبٌ جديرٌ بوحدةِ الثلجِ .
يمضي ،
يأخذُه نحيبٌ مكبوتٌ ،
بينَه وبينَ البيتِ الليلُ وشكلُه
النومُ و حلمُه الأخيرُ .
يزعمُ أنَّه ضاربٌ في خريطةِ الناسِ
يُعلنُ السَّفرَ ،

ويعقدُ أحلافاً مع المكانِ .
روحٌ مغلولةٌ ،
و يُرخي لمكوثِه الجسدَ شلواً شلواً
يُحصي عرباتِ الليلِ ويفتحُ للحجرِ صداقةَ الحلُمِ
ثلجُه أكثرُ كثافةً من كـرَم الطبيعةِ ،
وللجبلِ رسائلُ من مرفأ اَلليلِ
حجرٌ خفيفٌ يتأرجحُ ويتكلّمُ مثلَ كتبٍ في الرفِّ .
لماذا تؤجِّلُ ذهابَك
وأنتَ ليسَ هنا
ولا يطالُكَ غيرُ الغائبِ وقرينِ القوافلِ .

(2)

لماذا تشيّدُ القِلاعَ و تَسكنُها
لينتابَك فزعُ الزائرِ كأنَّه العدوُّ ،
لا يَسعُكَ الوقتُ ولا المكانُ يكفِيك .

(3)

من أين لكَ كلُّ هذه الوحشةِ و أنتَ جنَّةُ النِّصالِ .
دع اليدَ في البُحيرةِ وأفرشْ ريشةً تطيرُ بكَ
يزدادُ لكَ الأفقُ وتتأجّلُ لأجلكَ المواعيدُ
دَع الكلامَ على سجيّتِه و اكتُبْ

تقرأ الطَبيعةُ ثلجَكَ الكثيفَ .

(4)

جاءَ مُكتظّاً بالبكاءِ
لا الكتفُ له ولا النهرُ
يُحصِي قُمصانَه المتعَبَة لفرطِ الطّريق
ويخدعُ النومَ بالليلِ
لئلاّ تَطالَه يدُ المسافة .
متى يَنَامُ خَفِيفَ القَلْبِ
هادئَ الجوارِحِ
منساباً مثلَ يَتِيمٍ نسيَتْه الثَواكلُ
وغفلت عنه المرضِعاتُ .
يأتِي كأنّه لَن يذهبَ ،
فيما هو يرتّبُ أحجارَ الغرفةِ
جاهِزاً مثلَ كتيبةِ الهجوم .
يتهجّى العبورَ كأنَّه في غَياهبِ المنفى .

(5)

ذِئبٌ ليسَ لاسمِه حروفٌ
ووجرُه رِيفُ الكِتابة وخسارةُ الناسِ ،
مُوغِلٌ في القطِيعةِ ويعْلنُ أنّه الجسورُ .

(6)

سَيذهَبُ ،
سَيذهَبُ ،
لأنّه لمْ يأت من مكان
سيذهبُ لكي يُصدّقَ أنَّ للّخريطة إسماً آخرَ
غير البيت وأنينِ القصبِ .

(7)

يا حُبُّ ، خذ منه الجسدَ وأتركْ له الروحَ ،
ولا تجعلْ من سفرِه هِجرةً
وامسحْ برحمتكَ زجاجَ قنديلِه
لكَي يُصيبَهُ النَّومُ
النومُ لِلّيلِ واحدٍ
قبلَ الموتِ وبعده .
يا حبُّ .. هذا قرينُكَ .. خُذْه
رسولاً كسولاً .. بَينَ البحرِ والبُحَيرةِ .

جنة الفوضى

(1)

اطمَئِنُّوا لَحظَةً كَي تَبْدأ الفَوضى
ويَنْهالَ عَلينَا غَضَبُ الأسْلافِ
كي ينتصرَ الشُّكُّ على أحلامِنا ، ،
فلتطْمَئِنُّوا لحظةً .

(2)

يبتكرون الريشَ للشرفةِ والماءَ لأنفاسِ الحديد ،
أخذوا ماءَ المرايا والهواء .
أخذونا للبكاء .
ربّما يقتنعُ الموتى بما يقترِحُ النومُ من الأحلامِ ،

هذي جنَّةٌ يُخطئُها الناسُ قُبيلَ الموتِ ،
هذا الفقدُ تَفْسيرٌ من الخبزِ و تَاريخُ الطحين ،
هذه الكوكبةُ المُحتَرِبَة . . .
كالضحايا الغاضبة .
اطمئنُّوا لحظةً في ردهةِ الشكِّ
وخَلُّوا سادةَ الريح يُغنُّونَ تفاسيرَ الملوك
وينالون من التاريخ
يمشون على أشلائنا .
سادةٌ من مصدرِ الفولاذِ
جاءوا يَمنحون الناسَ مكنوزَ الكباريتِ
و يُعطون عَبيدَ اللَّهِ درساً في السُّلوك .

(3)

بيني و بينَ الأصدقاءِ الآنَ تاريخٌ من الأحلاف
مِنْ تهويدةِ الثكلى ،
ومن موؤدة تطوي ضفيرتَها لآخرِ مَرَّةٍ في نحرِها ،
من سالف يأتي ويحكمُ .
ليس إلاَّ جنَّة تهوِي . . . وبين الأصدقاء
مَن يُسمِّي هذه الفوهةَ دهليزاً لمستقبلنا .
فلتطمئنُّوا ، سوفَ تَبكونَ على أغلى تفاصيلِ هوانا
و تنامون على أكبادِنا ،
هذه الفوضى لنا . . فوضى علينا .

الأصدقاء هناك

أصدقاءٌ
ينسِجون أسمالهم الجديدة
في صباحِ مفقودِ الشّمسِ .
أجسادُهم تنْتفضُ وأيديهم في حمأةِ الشُغلِ
يغزِلون اللغةَ بشغَفِ الحواة وثقةِ المحترفين
يهَبون صوفاً للصيفِ وثلجاً للشتاء .
أصدقاءٌ في شرقِ الماءِ
يتقنون العَملَ في الوحدةِ .
أقفُ في الساحلِ ،
أنظرُ إلى أشباحِهم ترسمُ الأفقَ ،
أبعثُ الكتبَ في قَواريرَ تشِفُّ عن كلماتي ،
فيفيضُ بِهِم الرفـقُ بها
ويركُضون على الجسرِ بأقدام مشتعلةٍ .

ورّاقُون مكتظُّون بالمخطوطاتِ
هناكَ ،
جسرٌ يَمدحُ الجغرافيا ويهجو التاريخَ ،
و يرصدُ الكتابةَ مثلَ عدُوٌّ ،
يَكنُّون النصَّ في آباطِهم ،
ويَنحدِرون مثلَ وعولٍ تُزخرفُ الطريقَ ،
أحتضنُهم ،
يَعبرون الهلعَ ،
ذاكرتُهم من الدمِ
وأصابعُهم مزمومةٌ على شظايا الزجاجِ
ملطَّخين بِفَلذات الأفْئدة .
نتلاطمُ في منتصَفِ الحبِّ والموت
مثلَ موجٍ يتبادلُ الملحَ ويفْتنُ السفُنَ .
أجسادٌ فتيَّةٌ عاريةٌ ، حيثُ لم يكتملْ القميصُ للصيفِ
ولا الغبْطةُ للشتاءِ
الأصدقاءُ الوحيدون هناك .

خطاطون

يتناوبُ تِسعةُ خطّاطِينَ على جسَدي
بالقصَبِ الطَازِجِ والآياتِ وحبرِ الجنَّةِ ،
يهتاجُون كتاجِ الهودج في العُرسِ ،
ويبتهجون ،
ويفترعُون عذاراهم فيَّ علانيَةً .
خطّاطون أصِحّاءُ ،
ويختبرون صنوفَ الخطِّ بعشقٍ مشحوذِ الحرفِ .
أصابعُهم تتوتّرُ في غنجٍ من فرْطِ الحُبِّ ،
ويخترقون اللحمَ ،
يكزُّون على عاجِ الفضّةِ ،
يطفرُ زئبقُهم مختلطاً بالصّهدِ
على جسَدٍ مرضوضٍ بالخيلِ وشطحِ الخطِّ .
يطغُون بكحلِ العيْنِ على فوديَّ ،

ويرشحُ خمرُ الوجدِ على أطرافِ محابرِهم ،
ولهم رقعٌ ينضحُ ماءُ الشهوةِ فيها ،
يتدلّى نصفُ كلامِ اللّهِ على ثلثَي طنافسهم ،
يَجْلون الثلثَ الأسودَ
مثلَ سيوفِ الحقِّ الواضحِ في جسدي .
يتهجّونَ الكوفةَ والبصرةَ ،
يتداحون كخمرِ الهودجِ ،
يختارون الناضجَ من قصبِ التذكارِ ،
ويغتصبون الأبكارَ من الكلماتِ ،
فينْهضُ في جسَدِي جيشُ النومِ ونردُ الليلِ ،
يدبُّ البنجُ الأسودُ مثلَ الفتنة .
يَسْتَعِرُونَ ،
يزفُّون عذاراهم في جسَدٍ يتغرغرُ بالرغبةِ .
ينْهالُون ،
يَخطُّون الخطَّ ويبتهِلون ،
كأنَّ اللهَ يُكافئُهم بالجنَّةِ في جسدي .

تسعةُ خطَّاطين أجلاَّءَ ،
تؤيِّدُهم روحي بالمحوِ ،
فيضطربونَ
ويختلطون بوحيِ الحرْفِ ،
يَنزُّون الدَّمَّ
ويمتزجون بشفرتِهم

في قصبٍ مختلج الأوداجِ
على جسدٍ يشبَقُ في لَيلِ ضحاياهُ ،
يكادُ المُعجِزُ ،
يلتهبُ النص على أعضاءٍ خاشِعةٍ ،
فتشبُّ الشهوةُ في مذبوحِ الروحِ ،
يهبُّ الخطّاطون
يلوبون بتِسعِ مرايا موغِلةٍ في السرِّ ،
يَفضُّون الخَتَمَ عنِ الأبوابِ التسعةِ
في أشلاءٍ خائفة ،
وكلامُ اللّهِ يُزيِّنُ بالأسماءِ زجاجَ المشكاةِ ويحرسُها .
تسعةُ خطّاطين
يذوبون لفرطِ الشطحِ
ومجدِ الجسَدِ الذاهبِ في الشطرنجِ
وزهرِ النوم .

ذاكرةُ الذئب

للذئبِ ذاكرةٌ مفعَمةٌ بالألمْ
وللذئبِ أنثاهُ ،
كي يستوي بالغريبِ من الناسِ
تهجُره ليلةَ الحبِّ ،
تنساهُ حيناً ،
وتذكرُه عندَما يستجدُّ العدمْ .
وللذئبِ أن يُكملَ الليلَ منتظِراً ، ثمِلاً
في قميصٍ من الشَهواتِ
بعينَينِ محمومتينِ يَصدُّ السأمْ .
وللذئبِ حزنٌ نبيلٌ وذاكرةٌ جمرةٌ
فالعشْقُ طقسٌ ،
وينتحرُ الذئبُ حينَ تبالغُ أنثاهُ في الوهمِ ..
مِثلَ الندمْ .

الضغائن

أحصي تيجانَ الوعولِ العشرةِ
وهي تنحدرُ من رؤوسِ الجبلِ
مزخرفةً ثلجَ الليلِ بحنينِ الكتابةِ .
وكلّما قرأتُ تسعةً
أخطأتُ التاجَ العاشرَ ،
فيتولّى الثلجُ ذريعةَ الحيوانِ
وهو ينهالُ على عرشِنا
بالضغائِنِ .

سَرْدُ الأسطورة

هل كانت يدُ الليلِ الوحيدةُ مُنقذي
وصَديقتي في النوم ،
كان السردُ ينقلُني لخطوطِ الخرافةِ ،
و احتمالُ البحرِ يأخذُني بزرقتهِ
لأذهبَ في غيابِ الناسِ .
هل كنّا على حُلم كثيف
عندَما عادَتْ سفينَتُهم بزرقتِها
وكان أبي يُدلِّـلُ آخرَ الأبناءِ
لم يعثرْ على أثري ،
هربتُ موشَّحاً بالخوفِ
وحشاً شارداً
والبابُ مفتوحٌ على الأسرارِ ،
والأطفالُ يعتقدونَ بالجنيةِ الزرقاء ،

والباقي لنا من جَنةِ الأخطاءِ
كي نبكي .
مُخيلةٌ و قِنديلٌ و مُحتَملان :
نِسيانٌ وذاكرةٌ .
وكان البابُ يوشكُ أن يوارَبَ
عندَما أدركتُه بيدينِ راعشتينِ ،
و النومُ البعيدُ يُمدُّ لي جنيّةً
أو ملجأً في يقظةِ النسيان .

أسطورة

لعينَينِ
رمّانتانِ من الحُزنِ ،
للماءِ ساقِيتان على جسَدٍ ضَارعٍ .
أيّها اللّيلُ
يا ليلَنا الأبديَّ
اسقِنا ،
علَّنا نستعيرُ من البحرِ أسطورةً
يلتقي عندَها الغائبونْ .

أعداء

لَنْ يَبكِي عَلينا ، عَائِدينِ إِلى شُجَيراتِ القَرنفلِ ،
غَيرُ أعداءٍ لَنا ،
يخشَون عودتَنا ،
ويرتجلون أخطاءً لعلَّ البرتقالَ يشي بنا
ويشيعُ نكهته ، فيتبعُنا بريدُ النحلِ ،
يفضحُنا ترفُّعُنا عن التمويهِ .
أعداءٌ
سيبكون الغِيابَ ،
يؤلِّفون صداقةً فِي دفترِ الأخبار ،
أعداءٌ لَنَا
سَئِموا الخصومةَ واستعادونا وطاروا خلفَ هجرتِنا
لئلاً نستديرَ لهم .
بكوا من فرطِ حيرتِهم :

لهم نحن ، إذا عدنا لهم ،
أم أنَّ شهوتَنا تلاشت فيِ شجيراتِ القرنفلِ ؟!
لا يُعزِّينا سوى أن يُصبحَ الأعداءُ
أعداءً لنا حيناً . . و ينصرفون .

ضائعٌ .. ويَضيع

(1)

أضعُ الوقتَ على الطاولةِ وأَفتحُ بابَ الغابةِ :
(شخصٌ يضيعُ)
ثمَّةَ شخصٌ آخرُ ينهرُني .
أتحسَّسُ العشبَ بِقدمينِ عاريتَينِ ،
جليدٌ يتقصَّفُ بين لحمٍ يرتعِشُ وعشبٍ طازجٍ يتفلَّتُ .
يأخذُ الشخصُ نصفَ أوكسجينِ الغابةِ
بِشهيقٍ عميقٍ
وينقذفُ مثلَ طائرٍ
في فضاءٍ يخلعُ الثلجَ .

يستجيبُ للنداءِ الغامضِ ، يتركُ السُبلَ المطروقةَ

ويذهبُ في كمائنَ أخطأتها الطَرائدُ ،
يُفسدُ خططَ الشراكِ ويفضحُ الشباكَ المموّهةَ
فتستيقظُ شهوةُ الطيرِ والهواءِ .
يضيعُ ، ويُضلِّلُ الأطيافَ ،
يلهثُ ،
زفيرهُ يسبقُ خطُواته مغموراً بغيمةِ الرؤى
تكادُ تنهمرُ على سترَته المعفّرةِ بِليلٍ عابثٍ ،
يَضيعُ ، كأنّه يَرى .

بغتةً يكتشفُ الحيرةَ تُحدّقُ به ،
قدماهُ مغروستانِ حتّى الكاحلَينِ
في جليدٍ يتهشّمُ ويفيضُ في قَدمين مجنّحتينِ
بالفراشاتِ .

يضيعُ كأنّه يسمَعُ
ذئبٌ يضلُّ الطريقَ نحوَ الجبلِ .
وحينَ تُدركُه شهوةُ الأوجِ يُلقي بجسَدِه في تعَبٍ
ويُديرُ رأسَه بغطرسةٍ من يتفقّدُ أطيانهُ .
يَطيرُ في وجهِه جناحٌ مدلهمٌ فيَفرُّ ،
كمن يُسعفُ جسَدَهُ من وهدةٍ وشيكةٍ .
(شخصٌ يخرجُ من غيبوبةِ الناسِ
ليَضيعَ في غَابةِ نفسِه)
ثمّةَ شخصٌ آخَرُ هناك .

ينتشلُ قدمَيه من قبضةِ الجليدِ ،
كمن يسحبُ جذوره من مَكان .

(هذا صباحٌ جَديرٌ بِغموضِ الفتنةِ ،
أهربُ من غربتي إلى ضياعِي)

يتقدَّمُ ،
مبتعداً عمَّا يعرفُ ،
ذاهباً إلى ما يُريد .

(2)

من أنتَ ؟!
وحدَك في الوَحشةِ
لا تعرفُ مَن أنتَ ،
يجهَلُك الأحفادُ ، مثلَ أسلافٍ يَزعُمُون جهلَكَ .
تفتحُ الطرقَ في ثلج ينحسرُ ،
تتثاءبُ حولَك الغصُونُ
ولا ينثنِي العشبُ تحت قدميكَ .
خفيفٌ ،
زفيرُكَ يرسُمُ تاجَ الملاكِ وتزدريكَ الزواحفُ
لفرطِ مُروقِكَ .
لكِنَّك تَضيعُ وتقتحمُ ،

ينتظرُكَ ذئبٌ يهجِسُ بقدومِك
ترأفُ بك البراثنُ مكتشفاً ،
مثلَ شخصٍ يَسألُ :
(من أنتَ ؟!)
فتُدركُ الصوتَ .
تَسألُ :
(من أنا ؟)

تمتلكُ الغابةَ ، مستسلماً للتحدّي .
شخصٌ ضائعٌ . . وَضيعٌ .

القتلى

عادةً يَنتصِرُ القتلى
ويهدونَ سلاماً للّذي يبقى من الأحياءِ
كي ينتصِروا قبلَ المماتِ .
عادةً نَمدَحُ أشلاءَ ضحايانا بشِعرٍ شاحبٍ
نمَنَحُ أشكالَ البكاء
للّذينَ انْتَصَرَ الحُبُ عَلَيهِمْ ،
ونُسمِّي جنّةَ الأخطَاءِ ميراثاً لهم ،
ونُصلّيهم ، ونفديهم بنا
ليبَاهوا بتراتيلِ الصلاة .

عادةً تبكي مرايانا علَينا
ينقُضُ اللّهُ صلاةَ الخوفِ كي يُنقذَنا ،
والذي يبقى من الوصفِ لقتلانا ... رُفاة .

عادةً ينبثقُ السحرُ وليلُ الناسِ في منتصَفِ الأحلامِ
في رُمَّانةِ التعزيمِ ،
والمأتمُ منصوبٌ ،لكيِ يعتقدَ القتلى بما يعتقدونْ
فيهبّونَ فرادى مثلَ ريشِ الطيرِ مغدوراً ،
وينسوْن كلامَ اللّه في الموتِ ،
ويرثُونَ مديحَ الوقتِ
فيما . . .
يبطُلُ السحرُ وتبقى الساحرات .

جسد / 1

رأيتُـكَ في جَسدٍ تنتحبُ فِيه الفحولُ
وتنبثقُ الصواعقُ من أردانِه .
متروكٌ في الزِفير ،
تدكُّـهُ إناثُ الخيلِ بصهيلِ الشهوةِ وشغفِ النسلِ ،
يصدُرُ منه الكلامُ مثلَ قصبةٍ تندَسُّ بين الحديدِ والحُزن .
رأيتُكَ في جنسِ المذبوحِين ،
تلهَجُ فيكَ النارُ والزجاجُ المكسورُ .
جَسَدٌ يهذي بالحبِّ وروحٌ يقصُرُ عنها الموت .

جسد / 2

جسدي جحِيمي ،
والذِي يبقى من الماضي لكِ ،
ولكِ احتمالُ الليلِ .
لي جسدٌ . . . لكِ
مثلَ انتظارِ الماءِ ،
مثلَ زجاجةٍ تبكي على قلبَيْنِ مفدوحَيْنِ .
لي جسدٌ مُضاعٌ
مثلَ عرشٍ يُعلنُ الحكمَ الموشّى بالمرايا
وهي تختزلُ الخَليقةَ في ارتعاشٍ شاهقٍ ،
يبقى من الماضِي . . لَكِ .
جسدِي جحِيمِي ،
فانظري من شرفةِ التأجيلِ .
ينتظرانِ في وَلعٍ وينطفئانِ بالنيران .

يختلجانِ في غيبوبةِ البِلَّورِ .
هل يبقى لنا غيرُ احتمالٍ واحدٍ :
أَنْ لا نَمُوتَ بَقِيةَ الأيامِ
منسيّينَ في كرّاسةٍ مقهورةٍ في كوكبٍ مكسور .

الحَجَر

لا أحدَ يعرفُ الحجرَ مثلي .
بذرتُه في أجنَّـة الجبلِ ، و ربَّيتُ فيه وردةَ المعادنِ
فشبَّ مثلَ طفلٍ يمشي وتبعتُ خطاه .
صمته قلبٌ يُصغي ، وعزلته أبجديةٌ تعلِّمُ الكلامَ .
صقيلٌ يشفُّ عن الكنزِ ، وينبثقُ في كتبٍ وفي مرايا ،
أقرأُ فيه زجاجَ الجنَّةِ وتعويذةَ العشقِ .
يتصاعدُ خفيفاً ، ويمنحُ الريحَ صداقةَ الكتابةِ ،
مثلي .

متوحِّدٌ ، ويؤنسُ الغريبَ ،
ماؤُه يقظةُ الأوجِ ،
يحرسُ نومَ الشجرِ ، ويحنو .
له في كلِّ منحدرٍ بَريدٌ يَغسله الثَّلجُ

ويأخُذُ من البحرِ رسالةَ المَوجِ .
عينانِ تنضحانِ بالولع وطفولةِ الغريب ،
طريدٌ مثلُ نَمرٍ ، يتأرَجحُ في شباكٍ تتدلَّى حولِي .
يسمعُ النبضَ في الوريدِ ،
يشِفُّ ويشبقُ و يشطحُ ويَهذي ،
مثلي .
يعرفُ السرَّ و الفضِيحةَ موغلٌ في القرائنِ ،
تأخذُ منه الوردةُ أَسبابَها ويرصدُ الجبلَ
في حالِ الوجدِ والتلاشي .

مثْلي ،
أسماؤُه في المَعادنِ وذريعةِ العدُوّ
مثلي ،
عاشقٌ يذوبُ ، ماءُوه القلقُ وجنّةُ الفقدِ .
يُكابِدُ الحبُّ ، مشحوذاً بالسفَرِ وشهوةِ الغيابِ ،
مثلي .
وحده يعرفُ تاريخَ خطاي وأخطائي و يغفرُ وينسى
مثلي .

البقايا

ما الذي يبقى لنا؟
أشْياؤُنا المَغْدُورةُ الأحلام ،
ليلُ الناسِ ، تقويمُ النهاَيةِ ، غبطةُ الثكلى ،
تفاصيلُ الهوى ،
وتميمةُ المجنونِ .
هل يبقى لنا الدفنُ المؤجَّلُ
واحتمالاتُ المقامرِ
وهو يرهَنُ ثوبَـه
وينامُ في الباقي من الأشياءِ ؟
ما الذي يبقى لنا
جسرُ العودةِ المكسورُ و القتلى ،
وخمسونَ كتاباً في نِظامِ الشعرِ والتأويل ،
و الأعداءُ . .كانُوا يطمئنُّونَ على حسرتِنا حيناً ،

يدُقّون المَساميرَ على صُلبانِنا حيناً ،
يباهون بِنا .. و يُباهونَ علينا .
ما الذي يبقى لنا
جنّازُنا ، كتفٌ مهشّمةٌ ، تُراثٌ شاخصٌ ، شُورى ،
شهيدٌ شامخٌ ، أسطورةٌ تقتادُنا أسرى ،
وماءُ الوجهِ يغسلُ جزمةَ الأعداء؟

ليلُ السَّردْ

عبرَ المآتمَ كلَّها
لكيْ يُعلنَ يأسَه من الجبِّ والقميصِ .
مدحَ قـراءتَه وبالغَ في الغيابِ ،
لكيْ تتأكَّدَ أمُّـه أنَّـه أكثرُ الأبناءِ قدرةً على السفرِ ،
دون أن يفسدَ سكينةَ البيتِ .
غسلَ المعدنَ بجوعِ العائلة ،
وبحثَ عن سببٍ واحدٍ يَدعو لموتٍ رحيم ،
وعندَما هَمَّ بالنصِّ ،
عازَتْه التعازيمُ .
فبدأ في سردٍ على هواه .
بدأ في فضحِ مخطوطاتٍ كنزها لهُ أبوه في حديدةِ الدار .
وأخذَ يُـؤلِّفُ الكتبَ كأنَّـه يؤثِّثُ ليلَ النصِّ بأشلائِه .

تعويذة السفر

أيّها الحُبُّ يا صديقي
ضَعْ يدك على قلبِها في السفرِ و الإقامة ،
وامنَحْ لها الحلمَ في النوم
واجعلْها مُطمئنَّةً ،
فثمّةَ كلُّ هذا الحبُّ لها
وثمة هذا الغريبُ في انتظارِها
وحيداً إلى هذا الحَدّ
وثمّة الليلُ . . الليلُ كلُّه
وثمّة ما لا يوصفُ
وثمّة ما لا يُقالُ ،
أيهّا الحبُّ يا صديقي .

صوت شاحب

يصهَلُ تحتَ شرفات الدورِ
حولَ أسوارِ القصرِ ،
فيطيشُ حلمُ العقلاءِ ،
ويستعيدُ المخبولون جنونَهم .
يقبضُ العشّاقُ على نصٍّ يبدأونَ به ليلةَ الحبِّ .
فيقصدُ الجميعُ ظاهرَ المدينةِ بحثاً عن الشخصِ ،
فلا يَجِدون غيرَ شبحٍ يتقمَّصُ أشكالاً
تتراءى لكلٍّ واحدٍ فِي صورةٍ ،
حيثُ لا يكُونُ الشخصُ في مكان .

الهدية

الجسدُ قلعةُ الروحِ ،
لكنّها تَخذُله
فيجوزُ للشخص أن يشكَّ في دسيسةِ الذهبِ ،
مثلَ مصادفاتٍ تلهو به
فيحلو له ذلك ويَطيبُ .
ذخيرةُ الجسدِ .
تأخذُ القلبَ والصدرَ والقميصَ
وتطالُ المخطوطاتِ ،
فَيهَبُ مكتبتَه للأصدقاء
كمن يُهدي جُثّةَ النيرانِ والأسئلةَ
لأجسادٍ طائشةٍ بالذخائرِ .

قيلَ له : يا مُحمد ..

...وكانَ في الحُلم
نصفٌ في الماءِ
ونصفٌ يَجدِلُ الحبلَ ،
وبَينَهُما مشيمةُ الهواء .
يكتبانِ في الخشبِ ما يمحوه الملحُ والحسكُ ،
يتأبّطُ الريحَ ويهدهدُ القلوعَ
لئلاّ تغفلَ عن الأفُقِ .

قيلَ له ،
وكانَ فِي راحةِ التَعبِ
بين السفرِ و الإقامةِ ،
يسمعُ القواقعَ وتُصغي له طبيعةُ الغيابِ
وقلبُه في البيتِ –

يا مُحمَّدُ . .هذا طفلُك الشقيُّ . .
إغفرْ له ما تقدَّمَ من ذنبٍ وما تأخَّرَ .
طفلُكَ الذي ينامُ حينَ يذهبُ الناسُ إلى العملِ ،
مشحوذُ القلبِ بحزنٍ كثيفٍ ،
وينتحبُ .
طفْلُكَ الذي لَكَ والذي عَلَيك ،
يدسُّ غوايتَه بين الوردةِ وجنَّةِ الناسِ ،
بينَ الكلمةِ و المعنى ،
يفتحُ الأفقَ لِهاويةِ التفاسيرِ ،
و يجتهدُ و يهتمُّ . .
قيلَ له ،
وكانَ في الحديد .
قميصٌ قديمٌ يتفلَّتُ من القلوعِ ،
يكشفُ أكثرَ مما يسترُ .
تُصيبه ندامةُ الغائبِ وبكاءُ العائدِ
بينَهُ وبينَ الماءِ رِفقةُ المنطفئِ ،
بينه وبينَ النارِ لَهفةُ المشتعلِ ،
يأتزرُ بنصفِ الأرضِ وصدرُه في الريحِ والشظايا
حَديدتُه قيدُ الكاحلِ
و قلادةُ الكاهلِ .
خديجتُه في مغزلِ الوقتِ ،
لا تفقدُه
ولا تنالُه .

يا محمَّدُ .. إنَّه طفلُكَ ،
تَراهُ مثلَما تلمسُ الحديدَ ممتثلاً لشهوةِ اللهبِ
يا محمَّدُ ،
فَارأفْ بِه
ولا تقلْ لَه أفَ ولا تنهرْ خطاهُ .
طفلُكَ الذي بذل لكَ جناحَ الذلِّ
وحملَ كيسَ عظامِكَ
وأعلنكَ في القبائلِ مثلَ بَيرقٍ .
طافَ بجسدكَ يغسلُه من نفطِ الحقولِ ،
ويشحَذُه بِالتمرِ واللبَّنِ .

قيلَ لهُ ،
وكانَ في طفولتِه الأخيرة ، مهداً تُهدهِدُه يدُ اللّهِ ،
تحنو عليهِ النوارسُ وتتلو عليهِ رسالةَ البحرِ .
طفلٌ يكتهلُ ويشيخُ وتفيضُ به فضَّةُ النومِ
أحلامُه كفيلةٌ بِه
وبينَ يديهِ ينشأُ النخلُ مثلَ جنَّةِ الليل ،
مشمولاً ، وليسَ لولدِه سلطةٌ عليه .

يا مُحَمَّدُ ..
تُصابُ بِالهذَيانِ وينتابُكَ الحديدُ
وتأخُذُك رجفةُ الأقاصي ،
فاشطحْ كما تشاءُ ،

وتيمَّـمْ بالوحي كما تشاءُ ،
ولكَ أن تغترَّ بِولَدِكَ
وهو يَعِـقُّ ويجحدُ ويتيهُ
ويقودُ العصيانَ عليك .
قيلَ له : يا مُحَمَّدُ
طفلُـكَ مثلُـك
يرثُ الحبْسةَ والعزلةَ والكهفَ ،
ويتمجَّدُ بكَ ويسأمُ .
قيلَ له
يا مُحَمَّدُ
وكانَ في حديدَةِ الحُلُمِ .

خديجة ،
زعفران لمنديلها

هذيتَ بنا منذُ ليلَينِ ،
كنَّا هَذَيناكَ
كانت خديجةُ مُؤودةً بالغيابِ
هتفنا نُسلِّي لَها القلبَ ،
عينانِ مأخوذتانِ
وتاريخُها فضّةُ النومِ .

رأتْ ،
أَو تراءى لَها ما رأت ،
زوجةً لابنِها ،
رأت ، أَو هَـذَت ، أَو هَذَينا لها .

قيلَ لها :

يا خديجةُ . .
هذا صغيرُكِ العاشقُ الفتيّ .
هُيّئَ لكِ
خُذيه ،
لئلا تأخذه الفتنةُ بِالناسِ إلى خمرةِ التهلُكةَ .
يا خديجةُ ،
واغْويهِ ،
فليسَ له مهبٌّ سواك .
قيلَ لها ،
وكانت في الشهوةِ ،
في بهجةِ الصهدِ يتفصّدُ تحتَ وطأةِ الكلامِ ،
في الريحِ وهي تمزجُ الطلعَ بالهواءِ ،
في بيتِ الحريقِ وهو يمحو ،
في ليلِها ، واهب الكوابيسِ ،
في ردهةِ الكهفِ ، فوهةٌ للخراب .

يا خديجةُ . . هذا فتاكِ ،
طَريدُ الزنازِنِ والحاناتِ
خُذيهِ ،
واجعليهِ خدينكِ الأثيرَ ،
ودثريهِ بشغفِكِ الباذخِ
يدحمك ،
ويمنحُ نسلكِ المجدَ ،

خُذيهِ ،
واسدُلي وشاحكِ في مهدهِ ومثواهُ .
صغيرُكِ الغرُّ وفتاكِ الفاتنُ
وفارسُكِ المأخوذُ بترفِ المعنى .
قالوا ، يا خديجةُ ،
فُضّي طفلَكِ المفتونَ
كي يجتازَ محنتَه ويبرأَ من رخامِ الكهفِ ،
فُضّي وحشَكِ المذعورَ كي يهوى .
وقالوا ،
ضمّخي شفتيهِ بالرؤيا لكي يهذي
و قالوا ،
زيّني بالزعفرانِ يدَيه أو خدَّيهِ .
مكتوبٌ لهُ .. يبكي لَكِ ،
ولهُ القَطيفَةُ.
وانخطافُ الزيتِ في القنْديلِ
و القفطانُ يبلى في بكاءِ النارِ .
قالوا ،
تَسمعينَ اليومَ فرْحتَه الذبيحةَ وهو يزخَرُ بِالنصالِ
و كلَّما يَهذي ،
يرى القتلى وينتهبُ الطريقَ لهم
و أَنتِ في انتحابِ البرْزخِ اليوميِّ
بين الدفن و الأعْراسِ
قالوا ، يا فُراتَ الناسِ

وحدَكِ تسمَعين الماءَ يشخبُ دونـهُ
ويموتُ من عطَش
ووحدَك تنهَلين النَومَ والأحلامَ .

سوفَ ينتابُ الفتى هذيانُـه ،
ويَقودُه مَلَـكٌ ،
وتغفو أمّةٌ في ثوبِـهِ ،
وملاكُـه السريُّ يَمضي شاهقاً وجلاً ،
وبينَ يدَيكِ يكتبُ ليلَنا الأزليَّ ،
بينَ يدَيكِ .. يَهذِي
عندَما يَهوي إليك
وكلّما يهذي ويهدمُ هيكلاً ،
يَهذي .. ويَبنينا .. و يَهْدمُنا ..
يرى مستقبلاً فينا .

يَهذي ،
عندَما تخلو يداهُ من القرنفُلِ و الحديد ،
وعنْدَما يَسرِي به مَاءُ الحَدِيقَةِ
ينتشي في ثَوبِه ،
يحنو على كـتبٍ ويمحُو قهوةً
ويظلُّ يهذي .

ربّما تنتابُه الرؤيا و يجترحُ المَعاجزَ ،

يهتدي بالبرقِ
كي ترمي السماءُ عباءةَ الفوضى وتنتخبَ الكتابةَ ،
علّه يزهو بها .
فلربما منحته أسماءً وترياقاً
ليقرأ ،
ربما طارتْ به الحمّى
ونـزَّ الضوءُ من أطْرافهِ ،
ومضى يُهلهِلُ سرَّه في بهجةِ الأسماءِ ،
ليلاً هاطلاً في زمهريرِ الروحِ ،
يهذي
مثلَما تُفشي غيومٌ حُبَّها للأرضِ .

نُعاس

كان لي أن أفتحَ البابَ المواربَ
وهو منسِيٌّ وراءَ البيتِ .
زرقتُه الكئيبةُ ملجأً للطفلِ
يهربُ من ظلامِ الدرسِ
من نوم الظهيرةِ من نعاس كاذب .
هل كانَ لي في مجلسِ التأنيبِ أخطاءٌ ملفّقةٌ
لتعترفَ الطيورُ بقدرتي في الريح .
هل كانت صلاةُ معلّمِ القرآنِ
كافيةً لتأجيلِ الظلامِ أمامَ أحلامي ،
لأفتحَ بابَ أيّامي ، لكي لا تسرقَ الأشباحُ ذاكرتي
وتمحو شمسَ أقلامي .
ووحدي سوفَ ينساني وراءَ البيتِ
وحدي سوف ينساني .

دم

كنّا نبالغُ
عندَما ننسى دماً يجري على أوراقِنا ،
لكنّنا نعفو عن الماضي
ونخجلُ عندَما نتذكّرُ المستقبلَ المفقودَ ،
نفتعلُ العِراكَ لكي نؤجّلَ موتَنا .
هل شِعرُنا أحلى من التذكار ،
هل كنا تزّوجنا الهواءَ بِغيرِ أجنحة
وأقنعنا ضحايانا ببعضِ المُستحيلِ ،
وهل لنا في مقبلِ الأيّامِ ليلٌ واحدٌ يحنو .

اختبار

ماذا يفعلُ شخصٌ مثلي ،
قصلتهُ الأيامُ بوحشٍ .
يتقمّصُ جنسَ الأشباحِ ويبكي .

ماذا يفعلُ للموتى
حين يجوبون طريقَ الجبّاناتِ
ويختبرونَ حضورَ الأحياء .
ماذا يفعلُ شيخُ الأشباحِ
لموتى يحتفلون بأخبارِ بقاياهُم
في ليلِ الوهده .

أخطاءُ الليل

قيلَ إنَّ النساءَ أكثرُ رأفةً من الرجالِ
بأخطاءِ الليلِ .
فكنَّ إذا شَقّت الثاكلُ ثوباً
خاطت لها العذارى قـفطانَ القرمزِ
يُهَدهِدنَ به القتلى لئلاً يموتوا .
وإذا اشتبكَ الليلُ بالنهارِ
كنَّ يسمعنَ ، وكنَّ يرَيْن ،
وكانَ بينهنَّ من يؤجِّجُ شهوةَ القتلى
قبلَ أن يذهبوا إلى الموتِ ،
وكنَّ أكثرَ رأفةً من الرجالِ عليهم .

وقيلَ إنّهنَّ يُرقِّعنَ ليلَ رجالهنَّ بحكمةِ النومِ ،
فكلُّ خطيئةٍ تقعُ وأنتَ في النومِ

كأنّها لم تكن .
وكنَّ يهمسنَ في أجسادِ رجالِهنَّ :
(كلّما كانَ الخطأُ كبيراً و فَاحشاً
بدا كأنّـه صوابٌ شاملٌ) .

ارتجال

تنسى وتـذكرُ
كي تُسمِّيَنَي ، وحيداً ، نجمةَ الأقداح ،
تشربُ من شغافِ الروحِ ، تنتخبُ الوضوحَ
وتطلقُ الفتوى على الأعداءِ كي يستأنفوا الأنخابَ .
تدعُوني عدواً صَادِقاً
وتَـدُقَّني في الكأسِ
مثلَ الغامضِ المفضوحِ
تبكي كي تُسمِّيَنَي . .
وتمحوني بعيداً في هتافِ الليلِ
نجماً ضائعاً في الروح .

صلاة الكائن

كُنّا نغنّي حولَ غربتِنا الوحيدةِ
كالعذارى في انتحابِ الليل
كنّا نتركُ النسيانَ يَأخذنا على مهَلٍ
لئلاّ نفقدَ السلوى . .
ونذكرَ . . أنّ عشّاقاً لنا كانوا هنا
واستأثرُوا بالفقدِ ،
سابونا على أوهامِنا وتقلّصوا عنّا ،
وأهدونا إلى الأسلاف .
لَو أنّ عُشّاقاً على ميزانِهم مالوا قليلاً
أو تمادوا في تغزُّلِهم بعذراواتِنا ،
أو بالغُوا .
لَو أنّهم جاؤوا قُبيلَ الماءِ ، أفشينا لهم أسْرارَنا ،
كنّا توضّأنا لهم بالنرجِسِ النّاريِّ ،

لو جاءت رسائلُهم لنا كنّا قرأنا سورةَ الرمّانِ
سوَّرنا بلاداً بالتراتيلِ ، انتَخبنا بهجةً أخرى ،
وكنّا زينةً في الليلِ ، كي لا تُخطئَ النّيرانُ ،
كي تُغوي العذارى شهوةُ الأحلامِ
توقظَ فتنةً من نومِها .
لو أنَّهم ماتوا قليلاً قبلَنا . .
كنّا تمهّلنا قُبيلَ الموتِ
أو كنّا قَتلنا بعضَناً حبّاً ،
مكثنا في خطايانا
وأجَّلنا مُكاشفةَ العدوِّ لعلَّهُ يعفو
و يذبحُنا برفقٍ ،
علَّنا نُخفي عن الجيرانِ شهقَتَنا ،
نكابرُ ، ننتحي في ركنِ خارطةٍ وننسى هجرةً
ونغضُّ طرفاً عن منافينا ، ونُنكرُ جُرحَنا .
كنّا تشنَّجْنا على أكبادِنا ،
كنّا كتمنا ،
لم نكابدْ غبطةَ العُشّاقِ
لم نفتحْ كتاباً فاتناً في الحُبِّ
أو كنّا قنعنا بالخسارةِ كُلِّها ،
لو أنَّهم .

مَنْ أنتَ

(1)

مَن أنتَ
حتَّى يَصدُرَ الشعراءُ عن أسمائِك الفصحَى
ويختلفوا بنَحوِكْ . . ؟!

من أنتَ ، . . . في لهوٍ ،
وبينَ يدَيكَ يشتبكُ النحاةُ
ويفْتديكَ سُعاتُهم ويطِيشُ وحيُك .

هل أنتَ مجنونٌ بكى العشّاقُ في قُمْصَانِه
وتكاسروا . .
وبقيتَ وحدَك .

(2)

يا أنتَ . . من أنتَ .
سمَّيتَنا زينةَ الأرضِ ، رُمَّانةَ الصولجانِ
وسمَّيتَنا جنَّةَ النومِ .
من أنتَ ،
حتَّى تقودَ العصافيرَ في غابَةِ النَّارِ ،
سمَّيتَنا كي ترانا أسيريْنِ في شفرةِ الحُبِّ
نبكي عليكَ . . و نبكي مَعَك .

(3)

أيّها الشخصُ
يا صمتَنا في الكتابِ ،
سنبكي عليكَ ونبكي مَعَك ،
فهيِّئْ لنا أن نحبَّ كما نشتهي أن نموت .
أيّها الشخصُ
يا صمتَنا أوّلَ النصِّ يا صوتَنا في السكوت .

حَدّادُون

خطُّ الخطوطَ على غيابي
حزنُ أمّي و اتّزانُ أَبي ،
وحدّادُونَ مغروسونَ حتّى نصفِهِم في الأرضِ
يَسقونَ المساميرَ التي تحنو على سُفنٍ ،
يروزونَ الحديدَ بريشةِ الميزانِ ،
والخطُّ الرشيقُ على ثيابي
يقرأُ القرآنَ
يتلو في كتابِي سُورةَ الأحزابِ .
حدّادونَ يختلجونَ في ترفِ التُّرابِ
يؤثّثون النومَ بالحَسَراتِ
ويبدأُ الترتيلُ ،
ينطفئونَ في ذَهَبٍ ويتّقدون .
حدّادونَ مصلوبونَ في حُفَرٍ مُصفَّحةٍ

لتنثالَ الكتابةُ في نشيجِ النارِ
نهراً في المجامرِ يوقظُ الفولاذ .
كانت جنَّةُ الأسماء
تنتخبُ المواسِمَ كَي تُعمِّدَ طفلَها بالعُشبِ
تبذلُ حضنَها للطَّيرِ والحيوانِ
تخدعُ موتَنا وغيابَ أَسْرانا .
وكانت قهوةً ويداً وأحداقاً مُشرَّعةً ،
وترنيمَ البكاءِ على شهيدِ الناس .
جاءت من قطيفِ اللؤلؤِ المسنونِ
من نخلٍ كثيفٍ سوفَ ينْسانا ،
فهيَّأتَ الكَلامَ لنَا ، وشالتْ حزنَنا كالتَّاج .
كانت تستضيفُ البحرَ كي تحمي حَديقتَها
وتفتحَ للصدى تعريشةً يرتاحُ فيها قبلَ أن يهتاج .

كانَ موزَّعاً بينَ الحديد وكاسراتِ المَوجِ
ضاعتْ مقلتاه ، كأنَّه حُلُمٌ بعيدٌ
سوفَ ينسى طفلَه المحبوسَ ،
لمْ يسألْ كتاباً ،
لم يؤرِّخْ لاسمِه المخطوطِ في بيتَينِ
من نوم ومن سَفَرٍ .
تناول آلةَ التهذيبِ ، وهي زُجاجةُ المشكاة ،
كي يحمي حديدتَه الوحيدةَ وهي تأخذُه إلى امرأةٍ
لها تفَّاحَةٌ في سهرةِ الأسرى .

تخطُّ له الخطوطَ وتستعيرُ الصحنَ
كي تبكيَ على مرآتِها
وتؤرجحَ الذكرى على ولدٍ يغيبُ ويختفي ويضيعُ .
حدَّادونَ ينتخبونَ آلةَ حربِهم
من مَعدَنٍ يَحْنُو
ويَستعصي على النسيانِ .
مُختبلونَ ، مثلَ تألُّقِ الورَّاقِ وهو مُضرَّجٌ بالحبرِ
مثلَ دماثةِ الميزان .

وصايا

سألتُها أن تستعيرَ غموضَ أحلامي لتفسيرِ الوصايا

وهي تهدرُ في دمي .

أن تحتمي بالماء كي نبكي معاً ،

أن تستعيدَ رشاقةَ القرويِّ وهو يصدُّ ، في شجنٍ ،

غيوماً سوفَ تحصدُ حقلَه قَبلَ الأوان .

سألتُها بالكيمياءِ وشهوة التأويلِ

أن تأوي إلى كوخي قُبيلَ النصِّ

كي ينتابني دفءُ الخليقةِ وهو ينتخبُ العناصرَ .

قلتُ أيّامي لها ، لو أنّها مالتْ قليلاً

واستعارتني لتأخيرِ المراوغة المثيرة وهي تفتكُ بالمكان .

قلتُ أيّامي لَها

وكتبتها في فهرسِ الذكرى وصحنِ الزعفران .

قلتُ أيّامي مُزيَّجةٌ بها ،

لكنّها قرأت كتاباً نائماً ،
فنذرْتُها في طقسيَ السرّيِّ للباقي من الأيّام ،
للقرويِّ حِينَ يعيدُ ترتيبَ الفصولِ ،
أضأتُ أيّامي بها
كي ترشدَ الشمسَ الأخيرة للخفيِّ من الحقول .

مَزاجُ النَّرد

كنّا تَهَيَّأنا لتَفسيرِ العلاقة
بينَ دفءِ البيتِ والحُلمِ الّذي لا ينتهي ،
كنّا .. ، تَماهَينا بِذئبٍ كامنٍ فينا ،
وتسعينَ احتمالاً شاخصاً للموتِ ،
قاومنا ترنحنا لفرطِ الحُبِّ ،
أوشكنا على ندم ،
فأجّلنا العِناقَ ولَوعةَ العُشّاق
أجّلنا قيامتنا لندّخرَ الغيابَ ونخدعَ الرزنامةَ الكسلى ،
وكنّا شاهدَ القتلى على عُشّاقِهم ،
جئنا نُؤجّجُ وردةَ المَجنونِ
نَختَبِرُ احتِمالاً واحداً للحُبِّ .
وكلّما طشنا ، ذهبنا في بعيدِ الناسِ ،
فاضتْ كأسُنا وتبادلَ الأنخابَ جيشٌ يَهزمُ الدنيا بنَا .

كنّا . . ، ستمحونا يدٌ
وتُعيدُنا لغةٌ إلى مخطوطةِ التأويلِ
نقرأُ في زجاجِ الوقتِ كي نُغوي سُلالتنا
نُكابِرُ ، كي نَصدّقَ أنَّ حباً سوفَ يُسعِفُنا
فيحكُمُنا مزاجُ النردِ .
نهربُ من تفاصيلِ المكانِ إلى زمانٍ هاربٍ
لنحرّضَ الأسرى على حُرَّاسِهم
ونُؤنِّثَ الدنيا بهم .
كنّا نصبُّ النارَ في الشهَواتِ
نوقظُ فتنةً فِي النصِّ
حتَّى يَرْكضَ القتلى إلى عُشّاقِهم ليلاً
وينتقمونْ .
فَنَقُولُ : عامٌ طازِجٌ
ونقولُ : جيشٌ خارِجٌ
ونقولُ : روحٌ هاجرت
لتحلَّ في جسَدٍ غريبٍ واحتمالٍ واحدٍ للموت .

الجنون

سينَالُ منكَ الجنونُ ،
ما دامَ الأسلافُ يرصدونَكَ ،
ويجمعون لكَ القرائنَ
ليروكَ في الأخطاءِ .

جنونٌ تظُنُّ أنّه نصُّكَ الحصينُ ،
فيما ترى نصلاً في الحنجرةِ ،
و الكتابُ بيتُكَ الأخير .

جنونٌ لكَ ،
تنالُه و ينالُ منك .

أسلافٌ من الصلدِ وفسادِ الروحِ ،

لا تأمنْ ولا تأخذْكَ غفلةٌ عمَّا يصفون .

جُــنٌ عليهم ،

فليسَ فيهم من يرأفُ بكَ ، ولا يسمعونَ لكَ

ولا يرِيدونَ الحُجَّة ، وعلى مَضَضٍ يـقصلون .

أسلافٌ لكَ وأنتَ وحدَك ،

ينتخبونَكَ مثلَ خصوم الله

عدوّاً تتكفَّلُ به النقائضُ .

صاحبُ الخريطة

يطوي خريطتهُ ويُعطيني يداً أُخرى
لكي أَجتازَ فردوسَ الجحيم ،
أُشيدَ بالماضي ، أُعيدَ كتابةَ المستقبلِ المغدورِ .

يُعطيني يداً ،
ويمدُّ ديوانَ المظالم في بِلادٍ كلُّها طرقٌ مخرَّبةٌ ،
كأنَّ اللّه سوف يؤَجّلُ الفتوى ويمدحُنا
لكي نختارَ ، بعضَ الوقتِ
بين عدوِّنا وخصومِنا
ونُهادنَ الماضي ليأخُذنا إلى مستقبلٍ مَفقود .

يقترحُ الشِّراكَ لنا ويَهوي في يدٍ مهزومةٍ ،
وينالُ من تاريخنا الشخصيِّ

يأخذنا لهاويةٍ ويزعمُ أنها حريةُ الأحياءِ .. قبلَ الموتِ .
يرتجلُ الحوارَ ، يعيدُ خربطةَ الخرائطِ
كي نُصدِّقَ أنّنا نمشي إلى مستقبلٍ ،
مُتقهقرينَ ،
لنا الخيارُ ، بوحشةِ الغاباتِ ،
بين عدوِّنا اليوميِّ والخصمِ المؤجَّل .

سيِّدَ التأويلِ
أدركْ سيِّدَ الشكِّ المُبَجّل .

كيف نتركُ جنّةً في النّارِ كي نهفو لفردوسِ الجحيمِ
وكيف نتركُ كوخَنا في عزلةِ الملكوتِ
كي نمشي إلى طلَلٍ تزخرفُه النهايةُ باجتهادِ سَيِّدٍ .
يطوي خريطتَه ، وتطويه يَدٌ
فَيمدُّ لي ..
ونكونُ في الموتِ المُؤقّت
بينَ أعداءٍ (تفادَيتُ المَرائي)
والخصُومِ (يُباغتون مدائحي)
ويمدُّ لي ..
ونكونُ في حلٍّ من التفسير .

الساحرات

تركتُ لهنَّ الأخبارَ
يكتُبْنَها كما يحلو لهنَّ ،
ساحراتٌ يبتكرنَ الليلَ ،
قليلاتُ النومِ ، حاسراتُ الشَّعرِ ،
مُحرَّراتُ الصَّدُورِ ، يتهجَّينَ الأطْفالَ ويرضعنَ الهواءَ .
يَحكُمنَ الغابةَ مثلَ بيتِ الحُلم ،
ويخدعنَ الظهيرةَ لكي تذهبَ باكراً ،
أُصدِّقُ أنهنَّ الشَّجرةُ حيناً ،
ومدخنةٌ تُرسلُ رمادَها الخفيفَ حيناً ،
ودائماً يبعثنَ برسائلِ السهرةِ مع الجنادبِ و أُمَراءِ العتمة ،
فأمحو بياضَ السريرِ الموحشِ وأتبعُ الرائحةَ ،
مثلَ ذِئبٍ يمشي في نساءِ الجنَّة .
يسمعنَ قصصاً شرَّدتني

وحزناً أورثني إياهُ سَفَرٌ طويلٌ وزنزانةٌ نادرة .
يُصغينَ لبَوحي مثلَ رأفةِ الأمِّ .
طفلٌ تمحوه جذورُه وعيناهُ تسعانِ الأفُقَ .
وعندَما تأخُذُني الغفوةُ
يمسحنَ أصابعَهنَّ الرحيمةَ في روحي
فيطلعُ ريشٌ خفيفٌ يحملُني
وينسابُ بي ذئبٌ أكثر رهافةً من الشبحِ .
يسهرنَ في تدوينِ أخباري بقية الليلِ
فيما يذرعن الغابةَ في جنونٍ مشغوفٍ بما يفعلُ .
شعورٌ طَائشةٌ ،
صدورٌ مغسولةٌ بالريح
وجَسَدٌ مَنْسيٌ يحلمُ بكوخٍ في مكان .

وردةُ النَهرين

خبّأتِ وردتَك المقدّسةَ الندى في ملتقى النهرينِ
فارتاحي قليلاً .
ربما نجلُو زوارقَنا ونوقظُ شهوةَ القرصانِ ،
هيّأتِ لنا رمّانةً في جنّةِ الأخطاءِ
موهتِ الخريطةَ واكتنزتِ شقرةَ الغاباتِ
فارتاحي قليلاً
كي نؤنّبَ بعضنا ، ونضيعَ في ليلَينِ
من لبنٍ وعَاج .

ربّمَا ،

نهران يلتقيانِ في تاج ،
ووردتُك النّدية منتهانًا ،
والقواربُ جمّةٌ ،
ولديكِ وقتٌ للتكاسُل عن ربابنةٍ وكشّافِينَ

يعتقدون بالطرقِ الوحيدةْ .

كلّما نجتازُ نهراً جاءَ نهرٌ .

وردةٌ في المنتهى
لنضيعَ في الأشْتاتِ ،
فارتاحي قليلاً .

سوفَ نقتلُ بعضنا ونغضُّ طرفاً عن ضحايانا
لنفقدَ كنزكِ المكنونَ ،
نامي في خبيئتكِ المقدَّسةِ النَّدى
نامي طويلاً .

نارٌ تمسكُ بالنار

خضراءُ
تنقلك المُوسيقى لجنَّةِ المنتهى ،
بينَ نشاطِ اليقظةِ وريبةِ الشخصِ .
شخصٌ يأسرُكِ بهودجِ الفتنةِ ،
يغريك بذؤآباته الطائشةِ ،
أوسمةً يطرد بها الغيمَ ، ويُغويكِ .
تحمينَ جسدكِ من شهوةِ الرقصِ بنعاسِ الخجلِ
تزمِّـينَ أعضاءكِ بمزقِ القميصِ ،
كمنْ يحبسُ طيوراً محتقنةً
في قفصٍ مكسور .

ينهرُ العاجَ
لِئَلا يغفلَ عن البرقِ

ويمدحُ الوترَ ليفتحَ الماءَ على الهاويةِ ،
يقودُ كتيبةَ الأقاصي بيدينِ شاردتين ،
يمدُّ إليكِ جسوراً تأخذُ لزهرةِ الملاك
ويمنحُ النحاسَ موهبةَ الذهَب ،
ينبثقُ ويندفقُ ويستعيدُ .
وأنتِ في نيزكِ الشكِّ
جليدٌ يتبلَّرُ ويتقصَّفُ ويذوبُ ،
نمورٌ تصْحُو ، وأجنحةٌ تَتناسلُ
وشجرٌ يذهبُ في النوم .
خضراء .. خضراء ومفعمةٌ باللهبِ
ترتعشينَ مثلَ ناسك يلهجُ ،
وتنفصلُ منكِ الأطرافُ ،
يضيقُ بكِ المقعدُ والبهوُ ،
تضيقُ الغرفةُ والبيتُ والمكان .
يصيرُ الفضاءُ قميصاً يتهتكُ
وأنتِ في جسدٍ يجــنُّ ، وليسَ لكِ سلطانٌ عليه .
يئجُّ في أحداقكِ الجمرُ
تروزينَ الشخصَ بِضغينةِ الشبقِ
متشبثةً بِغصنٍ يحترقُ على هاوية .
نارٌ تمسكُ بالنارِ ،
تطيشُ بكِ الأخْلاطُ والعناصرُ ذاهبةً ،
تصرخُ منكِ أمرأةٌ في ذروتِها ....

مَديحُ اليأس

لم تكن أخطاؤنا أغلى من الأبناءِ ،
كابرنا لكي نخفي هوانا عن مُعذِّبنا
مَدَحنا يأسَنا ، تُهنا وسمَّينا اختلاجَ الروحِ تفسيراً ،
تقمَّصنا الهواء .

لم تكنْ أخطاؤُنا أغلى ،
تماهَينا ، شَحَذنا نعشَنا ، متنا ،
وسمَّينا هوانا كاسرَ النسيانِ
أَرخَينا مراثينا لئلا يعرفَ القتلى طريقَ الموتِ
...ـئَلا تُشفِقَ الرؤيا على أخْطائنا .

لم ينتخبْنا سيِّدُ الأسماءِ ،لم نحضرْ دروسَ النحوِ ،
لم نعرفْ مكاناً آمناً للحبْ .

جئ لنا واذهب إلينا

ذلكَ البابُ الموارِبُ غيرُ مكترثٍ بوحشتنا الغريبةِ
وهي تهتفُ في النوافذِ واصطخابِ الروحِ .
يا البابُ الموارِبُ غيرُ مكترثٍ
تواضعْ برهةً وأرأفْ وصدِّقْنا قليلاً ،
أيُّها البابُ الموارِبُ غيرُ مكترثٍ بنا
اغفرْ لنا واسألْ وصادقنا قليلاً .
هل تمادينا وبالغنا بحبكَ كلَّ هذا الليلِ
كي يأتي عليكَ الوقتُ تنسانا
وتبقى موصداً .
نغفو على أشلائنا ،
نحنُ الذينَ انتابنا ماءُ العناقِ وساعةُ الرؤيا
وأنتَ مواربٌ ،
قمصاننا مثقوبةٌ ويداكَ في وحشيّةِ النسيانِ تمحونا .

لماذا وحدنا قمصاننا مثقوبةٌ بالقلبِ
هل نهفو إليكَ وأنتَ في غيبوبةِ الرؤيا ؟
ترانا دونَ أن تحنو على ماينتهي فينا .
أيُها المرْصودُ والعشاقُ ينتظرونَ في بهوِ المسافةِ
قُلْ لنا واغضبْ علينا
وامتحنْ واعصفْ بنا واشفقْ علينا ،
إنّما لا تعتذرْ عنّا أمامَ الناسِ .

يا بابَ النَّجَاةِ ومنتهى أَسرارنا
إفتحْ لنا وانظرْ
و لا تغفلْ
و لا تقسُ علينا .

أيُها البابُ الموارِبُ . .
جِئْ لنا . . واذْهبْ إلينا .

طائرُ الحلم

طيرٌ في مكانِ الرأسِ ،
بينَ كتفَيْنِ وسيعينْ
مكتظَّينِ بالتجربةِ و صنوفِ الفقدِ .

شخصٌ طائرٌ
يلهثُ في ظلِّ إمرأةٍ تكادُ أَن تخفَّ عنِ الأرضِ .
يُسعفها جناحُ العفَّةِ الباهظةِ ، وعيناها طيورٌ .
تـزمُّ القلبَ في صدرٍ مكتنزٍ بالرهبةِ ،
مثقلٍ بالولعِ وفَهارسِ الطفولَةِ .
بغتةً ، تندفَقُ نارٌ في الرواقِ ،
طَلقٌ ينسِفُ طيرَ الرأسِ
في شخصٍ مأخوذٍ بامرأةٍ تعبرُ الغيمَ ،
ينفجرُ ريشٌ كثيفٌ مترفٌ بالأحلامِ ،

فيصيرُ فضاءُ الرواقِ عرْشاً شاغراً
وعريشةً في الهَباءِ .
ثمّةَ ما يمنحُ المَرأةَ نيزكَ الضياعِ ،
فتندفعُ مضرجةً بصرخةِ الريشِ
تقتحمُ البهوَ ،
خلفَها رواقٌ مفعمٌ بشظايا الصوَرِ وجنّةِ الخطأِ ،
كتفان شاغرانِ وشخصٌ مفقود .
تدخلُ ملتاعةً ،
أحداقها أشّداقُ غورٍ مقصوفة ،
وتصرخُ مثلَ ثَاكلٍ تفقدُ أبناءَها التسعةَ دفعةً واحدة .
تنهار في ركنِ البهوِ
تدفنُ وجهاً شارداً في ذخيرةِ الصدرِ
تبكي وتمزجُ القلبَ بذريعةِ الندَمِ ،
تنتفضُ في جسدٍ يفقدُ الحصنَ
بارئاً من دسيسةِ الذهبِ
وسرِّ الأسماء .

نارُ الرواقِ تَرنُّ في أجراسٍ مجنونة ،
والمرأةُ مزدانةٌ بريشةِ المَلك ،
تهبطُ آبارَ الوهدةِ متهدّجةً ببخارِ الروح .
ترى في البهوِ صلاةً منصوبةً مثلَ عاشقٍ ينتظرُ القُبلةَ ،
فتنهضُ ،
تَضَعُ وجهَها في الأبيضِ الرزينِ

وتبدأُ في التضرُّعِ ،
مثلَ أيقونةٍ فرغتْ منها المعجزةُ توّاً .

كفّانِ مبسُوطتانِ ،
رواقٌ مترفٌ بالريشِ المغْصوفِ ،
جسدٌ يغلِبُ المرضَ ،
شخصٌ مفؤودٌ
وامرأةٌ تكادُ تذهبُ .

جَمرةُ الفقدان

ماذا سيبقى عندما تنهالُ جمرتُنا الخفيّةُ
في هواءِ الليلِ
ماذا يختفي فينا ،
وهذا ماؤُنا الدمويُّ يستعصي ،
وطيرُ الروحِ ينتظرُ احتمالاً واحداً للموت .
□
هلْ نـمشي على ليلِ الحديد لِجنَّةٍ تهوي
ونمدحُ بالمراثي ،
ربما ينهارُ أَسرانا على تذكارِهم ونؤجلُ الأسلافَ .
هل نمْنا طويلاً كي نجرِّبَ موْتَـنا
فينالُنا ، ... ويؤلفُ الأَشياءَ .

ماذا ينتهي فينا ويبدأ ،

عندما تبقى بقايانا على بابِ المساءِ
وتصطفينا شهوة المكبوتِ ،
ماذا سنقرأُ في المرايا ،
هل نؤنِّثُ سورةَ الفتوى بتفسيرٍ يُكافؤنا على الأخطاءِ .
لو كنا عرفنا جمرةَ الفقدانِ ، وهي علامةُ الشكوى ،
ستمدحُ موتنا .. متنا .

□

هنا يأسٌ سيُنقذنا من الأحلامِ ،
نحنُ شهوةُ الفردوسِ
نهذي في جحيمٍ غيرِ مكتمل
لكي نسهو عن المكبوتِ والرَّغبوتِ .
لوْ نارٌ ستُوقِظُ ماءَنا ... كنَّا تمادينا لئلا ننتهي .
يا منتهانا
هل سرى ترياقُنا فينا
فأدركنا مرارتنا وأوشكنا على ندمٍ
فقدنا منحنى أحْلامنا في الوهمِ ،
قلنا شعرَنا كي يفضحَ المعنى ويغفرَ أجملَ الأخطاءِ ،
لَو قلبٌ لنا أغفى على كُرَّاسةِ الأسْماءِ
كنَّا ننثني شغفاً ،
فنشهَقُ في اندلاعِ الحبِّ
يذبحُنا ويلهو في شظايانا .

بكينا مرَّةً للحُبِّ ، لم نكملْ أغانينا .

بكينا حسرةً ،
وتماهت الذكرى مع النسيان ،
لو كنا مزجنا ليلَ قتلانا بماءِ النوم
لم نهملْ قصائدنا على ماضٍ لَنَا .
متنا قليلاً وانتهَينا في البدايةِ ،
لم نؤجِّلْ سرَّنا
كنا انتحرنا قَبلَ قتلانا و أخْطأنا كما نهوى ،
فلا ماءٌ سيرْثينا و لا نارٌ ستَمدحُنا .

شعراء

يرسمُ الشعراءُ الطبيعةَ قبلَها ،
ويبتكرونْ ،
ويبنونَ كوخاً يُغادرُه ثـلَّةٌ من الأشقِياء .

يغنُّونَ حيناً ،
ويفتتحون طريقاً لكي يأخذَ الماءُ شكلَ النَّهَر .
يَبُثُّون في الطينِ ذَاكرةً للشجَر
ويكتَشفُ الطيرُ ألوانهُ من كلامِ القصائدِ
يختارُ أسماءَهُ النادرَة .

عندما يخرجُ الشعراءُ من النَومِ
يبدأ الفتيةُ الأشقياءُ انتهاكاتِهم
يعبَثون قليلاً ،

ويدافعون ، كأنَّ الطبيعة تنتابُهم ،
يعصفونَ ويَصَّاعَقُون
وتأخذُ أَطرافهم في النحولِ كأنَّ الفصولَ
ستبدأُ تواً ،
كأنَّ الطفولَةَ
تنتخبُ الشكلَ في بغتةٍ ،
والعيون
تُحَملقُ مأخوذةً بارتجالِ الطبيعَة .
والفتيةُ العَابثونَ يُؤدُّونَ أَخطَاءهُم جوقةً جوقةً
كاحتدامِ القصائدِ في بهجةِ الوقتِ .

والكائناتُ تَفضُّ الهدايا
وتأخذُ صُورتها الفاتنهْ
كأنَّ السنَةْ
تُؤسِّسُ للخلقِ ، والناسُ مذْهولةُ البدْءِ
تلثمُ ثلجاً شفيفاً يزيِّنُ مرآتَها كي تَرى ،
مَا الذي يفعلُ الشعراءُ لأحلامِنا الواهنهْ .

يعبثُ الشعرُ بالنثرِ
ويرتكبُ الفتيةُ الأشقياءُ الجرائرَ مغفورةً
مثلما يخدشُ الطفلُ نهداً ويبكي عليهْ ،
مثلَما يكسرُ النصُّ صُورتَهُ
فتنهالُ تفَاحةُ الحبِّ

تستغرقُ المَرأةُ في عاشقٍ ضائع .
مثلَما يفضحُ الذئبُ أسطورةً فيّ القميصِ المدمَّى
ويعترفُ الأُخوةُ الأبرياءُ
فتعفو الطبيعةُ عن خالقٍ عابثٍ ،
وتصلّي إليه .

تحت الصِفر

أسماءُ المُحالينَ على النسيانِ أشباحٌ مؤجّلةٌ
وتخطئُ في روايتِها تفاصيلُ الكلامِ ،
وثلجةٌ في الكأس .

لا تغفلْ ،
فأنتَ مُعرّضٌ للّيل ،
والكتبُ الحزينةُ محضُ أخطاءِ مراوغةٍ
وضعفٌ فاضحٌ في النحوِ .
تحتَ الصفرِ
يتملّك الممثّلُ باحتمالِ النوم .
صوتُ الشارعِ اليوميِّ . .
يوميٌّ ،
فهل كانَ الكتابُ جنازةً ،

والناسُ يرتاحونَ في النسيان ،
في تعويذةِ الماضي
وتأجيلِ التأويلِ احترازاً .
كلّما نامَ المهرجُ ينعسُ الحرّاس .

تحتَ الصفرِ ،
مَن يَشربُ عَصيراً بارداً غيرُ النُحاةِ ،
مُصَحّحي القاموسِ ،
والباقون يرتجلونَ قهوتَهم
وينتظرون .

تحت الصفر
يَنسى كاتبُ الماضي خطيئتَه ويُخطئُ في الهجاء
ويبدأُ الشكوى من الليلِ الكثيفِ ،
ويلتهي بالنصِّ ،
كي يبكي لنا تغريبةَ الميزانِ ،
يُوقظُ فتنةً
وينامُ في الأخرى .

وتحتَ الصفرِ تِسعةُ فِتَيةٍ ،
ناموا جزافاً ،
بالـغوا في شهوةِ التفسيرِ ،
وانتَحَلوا خريفاً يخدعُ الأحلامَ .

فاضطرَّ المدرّسُ أن يبثَّ الشكَّ
في الكُتبِ التي تبكي لنا
ويلومَنا ، ويُبجّلَ الأصنامَ .

تحتَ الصفرِ ، قالت بوصلاتُ النصِّ ،
إنَّ النحوَ بَصْريٌّ وإنَّ الصَرفَ كُوفيٌّ ،
وتحت الصفر تسعةُ فتيةٍ ،
تلهو تفاصيلُ الجنازةِ باستعادَتِهم جزافاً
كي تُؤجِّلَهم ،
وتقترحَ القرائنَ
للّذين يَروْنَ في كُرّاسةِ التفسيرِ
أشباحاً وضفدعةً وطابوراً من الأسرى ،
فينتظرون تحت الصفر تِسعةَ أشهرٍ أخرى ،
وحَمْلاً كاذباً .. في جنَّـةِ الأخطاء .

فهارس

يمشي مخفوراً بالوعول 1990

***

عزلة الملكات

***

أخبار مجنون ليلى 1996

***

قبر قاسم

الكتاب الأول

الكتاب الثاني

***

الكتاب الثالث

للشاعر

البشارة – البحرين – أبريل ١٩٧٠
خروج رأس الحسين من المدن الخائنة – بيروت – أبريل ١٩٧٢
الدم الثاني – البحرين – سبتمبر ١٩٧٥
قلب الحب – بيروت – فبراير ١٩٨٠
القيامة – بيروت – ١٩٨٠
شظايا – بيروت – ١٩٨١
انتماءات – بيروت – ١٩٨٢
النهروان – البحرين – ١٩٨٨
الجواشن (نص مشترك مع أمين صالح) – المغرب – ١٩٨٩
يمشي مخفوراً بالوعول – لندن – ١٩٩٠
عزلة الملكات – البحرين – ١٩٩٢
نقد الأمل – بيروت – ١٩٩٥
أخبار مجنون ليلى (بالاشتراك مع الفنان ضياء العزاوي)
– لندن / البحرين – ١٩٩٦
ليس بهذا الشكل ، ولا بشكل آخر – دار قرطاس – الكويت – ١٩٩٧
علاج المسافة – دار قبر الزمان – تونس – 2000

يصدر

- علاج المسافة 2000
- له حصة في الولع
- الأزرق المستحيل
- لا تكلمهم إلا رمزاً